



جمهورية السودان  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية  
كلية الدراسات العليا  
دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية  
شعبة التفسير وعلوم القرآن

# إرشاد العقل السليم لأبي السعود والسراج المنير للخطيب الشرييني

من بداية الجزء السادس عشر إلى نهاية الجزء الثامن عشر

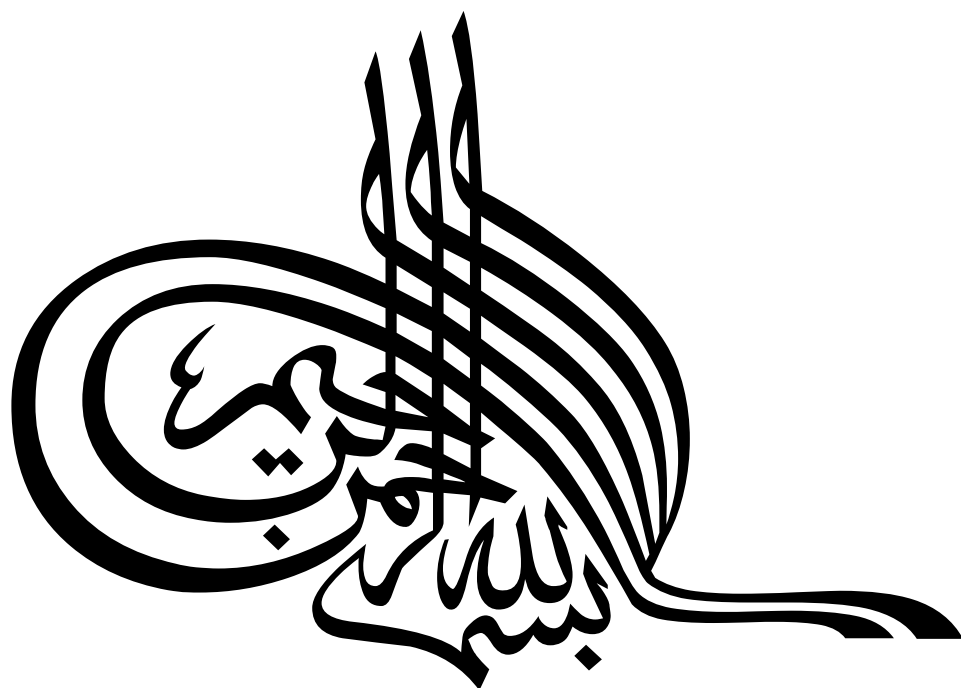
(دراسة تحليلية مقارنة)

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير)

إشراف الدكتور/  
يوسف صابون دهب

إعداد الطالب/  
رضوان شعوي ناصر الدواسي

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



## استهلال

قال تعالى:

﴿ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا  
مُصْبِحٌ مِّمَّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ زُجَاجَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ  
مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا  
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

١ . سورة النور: الآية: ٣٥ .

## إهداء

- إلى أمتي الصامدة في وجه التحديات على الرغم من ضخامة الخطوب،  
وتتابع المكائد والمؤامرات التي تزول من هولها الجبال الشامخات.
- وإلى وطني الجريح (يمن الإيمان) أسأل الله تعالى له الأمن والعافية والخير  
والسعادة، ولسائر بلاد المسلمين.
- وإلى علماء الإسلام ودعاته، منارات الهدى ومصابيح الدجى..؛ أحسن  
الناس عملاً وأكثرهم لعباد الله نفعاً.
- وإلى روح والدي الحبيب - رحمه الله تعالى - وأسكنه الفردوس الأعلى وكتب  
أجره.
- وإلى والدتي الحنون التي أمدتني بدعائها، شفاها الله وحفظها ورعاها.
- وإلى رفيقة دربي وشريكة حياتي (أم يوسف)؛ التي وقفت بجانبتي؛ حفظها الله  
تعالى.
- وإلى إخواني وأخواتي حفظهم الله ورعاهم.
- وإلى جميع أساتذتي وزملائي وأصدقائي؛ وفقهم الله.
- وإلى كل مسلم مخلص غيور على أمته، ينظر إلى ماضيها المشرق بكل  
فخر واعتزاز، ويسعى لنهضتها، وريادتها من جديد.
- . إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع.

## الباحث

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله -ﷺ-  
القائل: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»<sup>(١)</sup>.

وبعد:

أتقدم بالشكر والتقدير لجمهورية السودان ولشعبها الكريم، ثم لجامعتنا العريقة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ممثلة في رئاستها، وعمادة الدراسات العليا وموظفيها، ثم لمن له الفضل بعد الله -ﷻ- في إنجاز هذه الرسالة المشرف عليها فضيلة الدكتور/ يوسف صابون دهب، الذي لم ييخل علي بثمانين وقته، وتوجيهاته القيمة، وتصويب قلمه، أشكره على سعة صدره، وأخلاقه الفاضلة وتواضعه، فأنعم به من عالم مرب، أسأل الله أن يطيل في عمره لخدمة دينه، ويرزقه حسن الخاتمة، ويجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور/ البدري عمر بشارة مناقشاً خارجياً.

وفضيلة الدكتور/ يوسف إبراهيم البدري مناقشاً داخلياً.

كما أستغل هذه اللحظات لأشكر والدتي الغالية، وزوجي وإخواني، على كل ما بذلوه وساندوني به لإكمال هذه الرسالة.

كما أشكر أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في جميع مراحل حياتي الدراسية، والشكر موصول لكل من أعانني في دراستي هذه، وأخص منهم الدكتور الفاضل/ عبدالله الريمي، فلجميع مني كل الشكر والتقدير.

<sup>١</sup> . سنن الترمذي، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ( ١٩٥٤ )، ( ٤٠٣/٣ )، وقال الترمذي: هذا

## مستخلص البحث

موضوع البحث: "تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود والسراج المنير للخطيب الشربيني من الجزء السادس عشر إلى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم دراسة تحليلية مقارنة".

في هذا الموضوع سعى الباحث إلى إبراز جهود عالَمين جليلين من العلماء الذين خدموا كتاب الله، وذلك من خلال التعريف بهما وإظهار القيمة العلمية لتفسيريهما، والمنهج الذي سار عليه كل منهما؛ مع ذكر المصادر التي اعتمداها في تفسيريهما. وقد اشتمل البحث على مقدمة وبابين مكونة من ستة فصول، وخاتمة، وفهارس. حيث اشتملت المقدمة على أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهج البحث وهيكل البحث.

أما الباب الأول ففيه فصلان: تضمن الفصل الأول التعريف بالإمام أبي السعود، ومكانته العلمية، وعصره وتفسيره، وذلك بإيراد اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وصفاته وعقيدته ومذهبه، ووفاته، وطلبه للعلم، وشيوخه وتلامذته، وآثاره العلمية، وثناء العلماء عليه، والحالة السياسية والاجتماعية والثقافية لعصره، كما تضمن التعريف بالتفسير وقيمه العلمية، ومصادره ومنهجه في التفسير، وتضمن الفصل الثاني التعريف بالإمام الخطيب الشربيني، ومكانته العلمية، وعصره وتفسيره، وذلك بإيراد اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وصفاته وعقيدته ومذهبه، ووفاته، وطلبه للعلم، وشيوخه وتلامذته، وآثاره العلمية، وثناء العلماء عليه، والحالة السياسية والاجتماعية والثقافية لعصره، كما تضمن التعريف بالتفسير وقيمه العلمية، ومصادره ومنهجه في التفسير.

أما الباب الثاني فقد عني بالمقارنة التحليلية، وفيه أربعة فصول: يتضمن الفصل الأول: آيات العقائد؛ وذلك بإيراد آيات الإيمان بالله، وآيات الكفر والشرك والسحر، ويتضمن والفصل الثاني الأحكام الفقهية عند الإمامين، وذلك بإيراد آيات العبادات وآيات المعاملات، ويتضمن الفصل الثالث الآيات الكونية والقصص والأمثال القرآنية عند الإمامين، ويتضمن الفصل الرابع علوم القرآن عند الإمامين؛ وذلك بإيراد القراءات القرآنية وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وقد ختم الباحث دراسته هذه بخاتمة ضمنها أهم النتائج والتوصيات أهمها: أن هناك تقارباً شديداً بين الإمامين حيث إنه لا تكاد توجد نقاط خلاف بينهما إلا ما ندر، ثم ذيل بحثه بالفهارس الفنية الكاشفة عن مضامين البحث.

## Abstract

Subject of the research: " Irshad al 'Aql as-Salim by Abdul Su'sud and Al-Siraj Al-Munir to Khatib Al-Sherbini from the sixteenth to the 18th part of the Qur'an comparative analytical study." In this topic, the researcher sought to highlight the efforts of two great scientists who served the book of God, by introducing them and showing the scientific value of their interpretations, and the approach followed by each of them, with the sources that they adopted in their interpretations.

The research included an introduction and two chapters of six chapters, a conclusion, and indexes. The introduction included the importance of research, reasons for its selection, previous studies, research objectives, research methodology and structure of research.

The first section is subject to two chapters:

The first chapter included definition of Imam Abu Saud, scientific stature, and his time and interpreted, by including his name and lineage, the birth and upbringing, and his qualities and his faith and doctrine, and his death, and his request for information, and his elders and his students, and its scientific, and praise the scientists on it, political, social and cultural situation of his time, also included the definition interpretation and scientific value, its sources and its method of interpretation, and included the second chapter definition of Imam al-Khatib El-Sherbini, scientific stature, and his time and interpreted, by including his name and lineage, the birth and upbringing, and his qualities and his faith and doctrine, and his death, and his request for information, and his elders and his students, and its scientific, and praise the To water it, political, social and cultural situation of his time and, also included the definition of scientific explanation and its value, and its sources and method of interpretation.

The second part is the analytical comparison, and it has four chapters:

The third chapter includes the verses of the universe, the Quranic stories and proverbs in the two imams, and the fourth chapter includes the sciences of the Qur'an at the time of the imam. The imams, and by reading the Quranic readings and the reasons of descent and the copyist and copied, and through addressing the researcher for all these topics, the results of the most important: that there is a close convergence between the two imams since there are almost no points of disagreement between them but rare.

The researcher concluded his study with a conclusion, including the most important findings and recommendations, and then the tail of his research in technical catalogs revealing the contents of the research.



## مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، واتبع هداه، واقتفى خطاه.

ثم أما بعد؛ إن علم التفسير هو من أفضل العلوم، وأجلها قدراً، وأرفعها منزلة، فالقرآن الكريم منبع العلوم الإسلامية، ومصدر التشريع، وأساس علم التوحيد، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الرسول ﷺ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>(٣)</sup> يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ»<sup>(٤)</sup>، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»<sup>(٥)</sup>.

لذا جاءت هذه الدراسة نتيجة طبيعية لرغبة ملحة في أن أخوض غمار الدراسات الإسلامية المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى.

فهذه دراسة تحليلية مقارنة تتناول (تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود، والسراج المنير للخطيب الشربيني)؛ من الجزء السادس عشر إلى الجزء الثامن عشر.

### أهمية البحث:

إن شرف العلم بشرف المعلوم، فعلم التفسير من أشرف العلوم؛ لتعلقه بكتاب الله - ﷻ -، ومن هنا تأتي أهمية البحث، للوقوف على جهود عُلَمَاءٍ من الأعلام الذين

١ . سورة الأنعام: الآية: ٣٨.

٢ . سورة الإسراء: الآية: ١٢.

٣ . سورة الجن: الآية: ١، ٢.

٤ . سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

خدموا هذا العلم، والكشف عن جهودهما في خدمة كتاب الله -ﷻ-، وقيمة هذين التفسيرين، وإظهار منهجهما، والمصادر التي اعتمداها في تفسيريهما.

### أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

١. إنه مشروع من مشاريع المطروحة من قبل كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، فوجد رغبة في نفسي لهذا الموضوع.
٢. منزلة الإمامين، وسعة علمهما؛ وأهمية التفسيرين للمختصين، وطلبة العلم.
٣. دراسة تفسيريّ مفسرين عاشا في عصر واحد، وفي بيئتين مختلفتين.
٤. لم تهتم الدراسات السابقة بالتفسيرين المذكورين اهتماماً كاملاً، وإنما اقتصرَت على أجزاء معينة منهما.
٥. العيش مع القرآن الكريم ومعرفة معانيه من خلال النظر في هذين التفسيرين العظيمين.

### الدراسات السابقة:

بحسب اطلاع الباحث لم يجد دراسة علمية تناولت المقارنة بين الإمام أبي السعود والخطيب الشربيني في تفسيريهما للأجزاء ( ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ).

لكن هناك دراستان علميتان تناولتا المقارنة بين الإمام أبي السعود والإمام الخطيب الشربيني في بعض أجزاء القرآن على النحو الآتي:

- السراج المنير للخطيب الشربيني وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (دراسة تحليلية مقارنة) من بداية الجزء الثامن والعشرون إلى نهاية الجزء الثلاثين، للباحث: خالد عبدالله محمد الشيخ، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: مبارك إبراهيم التجاني، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا، شعبة التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

- السراج المنير للخطيب الشربيني وإرشاد العقل السليم لأبي السعود من الجزء الثاني والعشرون إلى الجزء الرابع والعشرين (دراسة تحليلية مقارنة) ، للباحث: محمد صالح محمد النصيري، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: محمد حسن محمد عبدالرحمن، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا، شعبة التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

وهناك دراسات آخر تناولت الكلام عن هذين الإمامين كل على حدة ومنها مايلي:

- أبو السعود وآراءه الكلامية، للباحث: بدر الدين محمد عبد السلام، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد رمضان عبدالله، الجامعة الإسلامية، بغداد، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، للباحث: ثقل بن ساير بن زيد الشمري، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: فريد مصطفى سلمان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم علوم القرآن، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

### أهداف البحث:

من أهم أهداف هذا البحث نيل الأجر المترتب على خدمة كتاب الله عز وجل، وثمة أهداف أخرى؛ منها:

١. إبراز علمين من العلماء الذين خدموا كتاب الله - ﷻ - بالتعريف بهما ومكانتهما، وإظهار القيمة العلمية لتفسيريهما.
٢. المقارنة بين التفسيرين؛ لمعرفة المصادر التي اعتمدا عليها في تفسيريهما، ومنهجيتهما في تناولهما للآيات القرآنية.
٣. التعرف على معتقدهما، ومذهبهما من خلال دراسة آيات العقائد، والأحكام.

### منهج البحث:

وأما منهج الدراسة فقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي والمقارن، ، حيث قارنت تفسير أبي السعود وتفسير الخطيب الشربيني للآيات موضوع الدراسة، وأوضحت أين يتفقان وأين يختلفان، واتيت بأقوال المفسرين السابقين واللاحقين في حالة الاختلاف ثم بينت الراجح ما أمكن.

ويمكن توضيح ذلك بشئ من التفصيل على النحو الآتي:

١. نسبت الأقوال إلى أصحابها ومصادرهما.
٢. كتبت الآيات بالرسم العثماني، وعزوتها إلى سورها وأرقامها.
٣. خرجت الأحاديث من مصادرهما الأصلية، بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، وبينت ما ذكره أهل الشأن في درجتها - إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما - فإن كانت كذلك اكتفيت بتخريجها منهما أو من أحدهما.
٤. عرفت المصطلحات والألفاظ الغربية الواردة في البحث من كتب اللغة.
٥. ترجمت للأعلام الواردة في متن الرسالة عدا المشهورين من الصحابة - رضوان الله عليهم -.
٦. اذكر بيانات المصدر والمرجع كاملاً عند وروده لأول مرة في حاشية البحث، وإذا تكرر وروده أكتفي في الحاشية بذكر اسم المصدر والمؤلف ورقم الجزء والصفحة.

٧. خرجت الشواهد الشعرية من كتب الأدب وعزوتها إلى مظانها.

٨. عرفت بالأماكن والمدن غير المعروفة الواردة في البحث.

### هيكل البحث

يشتمل البحث على مقدمة، وبابين، وستة فصول، ومباحث، ومطالب، وخاتمة:

\* المقدمة وتشمل على:

أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.

## الباب الأول:

التعريف بالإمام أبي السعود والإمام الخطيب الشربيني

وفيه فتلان:

الفصل الأول: التعريف بالإمام أبي السعود وعصره وتفسيره.

وفيه أربعة مطالب:

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي السعود.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبه، ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: صفاته، وعقيدته، ومذهبه

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طلبه للعلم.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام أبي السعود.



وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية.

المبحث الرابع: التعريف بتفسير الإمام أبي السعود.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب.

المطلب الثاني: قيمته العلمية.

المطلب الثالث: مصادره في التفسير.

المطلب الرابع: منهجه في التفسير.

الفصل الثاني: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني وعصره وتفسيره.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبه، ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: صفاته، وعقيدته، ومذهبه

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني: مكانته العلمية،

وفيه أربعة مطالب:



المطلب الأول: طلبه للعلم.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام الخطيب الشربيني،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة الثقافية.

المبحث الرابع: التعريف بتفسير الإمام الخطيب الشربيني،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب.

المطلب الثاني: قيمته العلمية.

المطلب الثالث: مصادره في التفسير.

المطلب الرابع: منهجه في التفسير.

## الباب الثاني:

الدراسة المقارنة بين تفسيري إرشاد العقل السليم لأبي السعود والسراج المنير للخطيب الشرييني من الجزء السادس عشر الى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم.

وفيه أربعة فصول:

### الفصل الأول: آيات العقائد عند الإمامين.

وفيه مبحثان:

#### المبحث الأول: آيات الإيمان.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: آيات الإيمان بالله.

المطلب الثاني: آيات الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: آيات الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الرابع: آيات الإيمان بالرسل.

المطلب الخامس: آيات الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السادس: آيات الإيمان بالقدر.

#### المبحث الثاني: آيات الكفر والشرك والسحر.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آيات الكفر.

المطلب الثاني: آيات الشرك.

المطلب الثالث: السحر.

### الفصل الثاني: الأحكام الفقهية عند الإمامين.

وفيه مبحثان:



## المبحث الأول: آيات العبادات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آيات الصلاة والزكاة.

المطلب الثاني: آيات الصوم والحج.

## المبحث الثاني: آيات المعاملات، والآداب والأخلاق.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آيات المعاملات.

المطلب الثاني: آيات الآداب.

المطلب الثالث: آيات الأخلاق.

## الفصل الثالث: الآيات الكونية والقصص والأمثال.

وفيه ثلاثة مباحث:

## المبحث الأول: الآيات الكونية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.

المطلب الثاني: آيات خلق الإنسان والكائنات.

المطلب الثالث: آيات نزول المطر وتصريف الرياح.

## المبحث الثاني: آيات القصص.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آيات القصص الأنبياء.

المطلب الثاني: آيات قصص القرآن.

المبحث الثالث: آيات الأمثال عند الإمامين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالأمثال القرآنية.

المطلب الثاني: آيات الأمثال عند الإمامين.

الفصل الرابع: علوم القرآن عند الإمامين.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القراءات القرآنية عند الإمامين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالقراءات القرآنية.

المطلب الثاني: القراءات القرآنية عند الإمامين.

المبحث الثاني: أسباب النزول.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول.

المطلب الثاني: أسباب النزول عند الإمامين.

المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني: الناسخ والمنسوخ عند الإمامين.

## الخاتمة:

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات.

## الفهارس: وتشمل على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



## **الباب الأول:**

### **التعريف بالإمامين أبي السعود والخطيب الشربيني**

وفيه فصلان:

**الفصل الأول: التعريف بالإمام أبي السعود وعصره وتفسيره.**

**الفصل الثاني: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني وعصره**

**وتفسيره.**

## **الفصل الأول:**

### **التعريف بالإمام أبي السعود وعصره وتفسيره**

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي السعود.**

**المبحث الثاني: مكانة الإمام أبي السعود العلمية.**

**المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام أبي السعود.**

**المبحث الرابع: التعريف بتفسير الإمام أبي السعود.**

## **المبحث الأول:**

### **التعريف بالإمام أبي السعود.**

وفيه ثلاث مطالب:

**المطلب الأول: نسبه، ومولده، ونشأته.**

**المطلب الثاني: صفاته، وعقيدته، ومذهبه.**

**المطلب الثالث: وفاته.**

## المطلب الأول

### نسبه، ومولده، ونشأته

#### نسبه:

اختلف المؤرخون في اسم أبي السعود، غير أن أغلبهم مجمعون على أن اسمه: محمد، وقد اقتصر بعضهم . عند التعريف به . على الكنية واللقب، وبعضهم توسع في اسمه، وسنعرض أقوالهم مرتبة حسب تاريخ وفاتهم، فقد يصل الباحث من خلال هذا الترتيب إلى نتيجة مُرضية.

يقول طاش كبرى زاده<sup>(١)</sup>: «هو أبو السعود بن محمد بن مصطفى العماد»<sup>(٢)</sup>. ويقول العيدروس<sup>(٣)</sup>: هو «أبو السعود؛ محمد بن مصطفى بن عماد الأسكليبي»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

١ . هو أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير عصام الدين طاش كبرى زاده، مؤرخ تركي الأصل، مستعرب، ولد في بروسه، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتقل في البلاد التركية مدرّسا للفقه والحديث وعلوم العربية. وولي القضاء بالقسطنطينية سنة ٩٥٨ هـ فرمد وكف بصره سنة ٩٦١ هـ، مات سنة: (٩٦٨ هـ)، له تصانيف منها: (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)، و(مفتاح السعادة)، و(نوادير الأخبار في مناقب الأخيار)، وغيرها، انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢ م، (١/ ٢٥٧).

٢ . الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبرى زاده، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥ م، ص ٤٤٠.

٣ . هو عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، شمس الشموس، محي الدين، أبو بكر، مؤرخ، وشاعر، وباحث، مشارك في بعض العلوم. أصله من اليمن. ولد بأحمد آباد من بلاد الهند، وسكن حضرموت، ثم عاد إلى أحمد آباد فتوفي فيها سنة: ١٠٣٨ هـ، له تصانيف منها: (النور السافر عن أخبار القرن العاشر)، و(فتح القدسي في تفسير آية الكرسي)، و(الروض الناضر في من اسمه عبد القادر من أهل القرنين التاسع والعاشر)، وغيرها، انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين محمد المحبي الدمشقي الحنفي، (ت: ١١١١ هـ)، دار صادر، وهي مصورة على الطبعة المطبوعة بالمطبعة الوهبية، بمصر، ١٢٨٤ هـ، (٢/ ٤٤٠)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ٣٩).

٤ . الأسكليبي: نسبة إلى أسكليبي، وهي قصبة في أماسية الرومية، وتعرف اليوم بالاسم نفسه، وتقع في تركيا،

انظر: تاريخ أماسية، للدكتور حسين حسام الدين، دار بردي للنشر، سوريا، ت بدون، ص ٦.

٥ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ٢١٥.

ويرى الباحث أن طاش كبرى زاده - وهو أقدم من العيدروس - لم يشر إلى الاسم: محمد، وإنما أشار إلى الكنية: أبي السعود، وربما أنه اشتهر بكنيته أكثر من اشتهاره باسمه، بدليل تسمية التفسير بتفسير أبي السعود.

وكلاهما ينصان على أن اسم جده: مصطفى، بخلاف نجم الدين الغزي<sup>(١)</sup>؛ فإنه يقول: هو «محمد بن محمد، المولى أبو السعود العمادي الحنفي»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عبد اللطيف زاده<sup>(٣)</sup>: هو «المولى أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى ابن مولانا عماد الدين مصطفى العمادي»<sup>(٤)</sup>.

ويقتصر أحمد الأدنه وي<sup>(٥)</sup> على اللقب والكنية فيقول: هو «المولى الأعظم أبو

---

١ . هو محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري القرشي الدمشقي، أبو المكارم، نجم الدين، مؤرخ، باحث أديب، مولده ووفاته في دمشق، سنة: ٩٧٧هـ، من كتبه: (الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة)، و (لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر)، و (حسن التنبه لما ورد في التشبه)، و (النجوم الزواهر)، وغيرها، (توفي سنة: ١٠٦١هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٦٣).

٢ . الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، (٣/ ٣١).

٣ . هو عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى المتخلص بلطفي، الشهير بـ«رياض زاده»، فقيه حنفي لغوي؛ من علماء الروم، كان قاضياً في أسكدار، (المتوفى: ١٠٨٧هـ)، من كتبه: (أبكار الأبكار)؛ فيما يغلط به اللغويون، ألفه للسلطان محمد الرابع العثماني، مرتباً على الحروف، وكتاب في (أسماء الكتب)؛ على نسق كشف الظنون، في مجلد صغير، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤/ ٦٠).

٤ . أسماء الكتب، لعبد اللطيف بن محمد رياض زاده، (ت: ١٠٨٧هـ)، تحقيق: محمد التنجي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٣م، ص ٣٢.

٥ . هذا الكاتب ليس من المشاهير، ولهذا وقع اللبس في اسمه، فقد وقع الخلاف في الحرف السادس، فهو إما (راء) (راء أو هاء) على الخلاف، إذ لم يجد له المحقق ترجمة، ولعل الأقرب للصواب ما دونه المحقق وأنه (الأدنه وي)، لأن كلام المحقق أقرب من ما يذكره غيره، فنتمسك بهذا حتى يأتي من يثبت أنه (الأدنروي) بيقين، وهو: أحمد بن محمد الزاهد الأدنه وي الرومي ائلهير بشيخ زاده، ألف رسالة في تفسير قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً)، قال في كشف الظنون: علقها حال كونه مدرساً بإحدى المدارس السليمانية لتعيين مراد الزمخشري والبيضاي، وله أيضاً: (شرح مفتاح العلوم في المعاني والبيان)، (توفي سنة: ١٠٣٣هـ)، انظر: كشف الظنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، (ت: ١٠٦٧)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (١/ ٨٥٤)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت: ١٣٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط بدون، (١/ ١٥٦).

السعود العمادي»<sup>(١)</sup>.

ومثله قول الشوكاني<sup>(٢)</sup>: هو «أبو السعود أفندي، الإمام الكبير، عالم الروم»<sup>(٣)</sup>.

ويقول يوسف سركيس<sup>(٤)</sup>: هو «أبو السعود، أفندي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي»<sup>(٥)</sup>.

ويقول الزركلي<sup>(٦)</sup>، وغيره: هو «محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود»<sup>(٧)</sup>.

---

١ . طبقات المفسرين، لأحمد محمد الأدنه وي، (ت: ق ١١ هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٩٨.

٢ . هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان، (من بلاد خولان، باليمن)، عام ١١٧٣ هـ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة: ١٢٢٩ هـ، ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤ مؤلفاً، من أشهر كتبه: (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، و(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، و(الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)، و(تفسير فتح القدير)، و(إرشاد الفحول)، وغيرها، (المتوفى سنة: ١٢٥٠ هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، (٦ / ٢٩٨).

٣ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط بدون، (١ / ٢٦١).

٤ . هو يوسف بن إليان بن موسى سركيس: صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة - ط، أحد عشر جزءاً في مجلدين، ولد ١٢٧٢ هـ، بدمشق، وانتقل إلى بيروت طفلاً، وقضى ٣٥ عاماً في خدمة البنك العثماني، كاتباً، فمديراً، في بيروت ودمشق وقبرص وأنقرة والآستانة. واستقر بمصر سنة: ١٩١٢ م، فاشتغل بتجارة الكتب، وصنف كتابه: (معجم المطبوعات)، وله: (جامع التصانيف الحديثة)، و(أنفس الآثار في أشهر الأمصار)، توفي بالقاهرة، (سنة: ١٣٥١ هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٨ / ٢١٩).

٥ . معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف بن إليان بن موسى سركيس، (ت: ١٣٥١ هـ)، مطبعة سركيس، بمصر، ١٩٢٨ م، (١ / ٣١٦).

٦ . هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي، ولد ليلة ٩ ذي الحجة ١٣١٠ هـ، في بيروت، ونشأ بدمشق، وأخذ عن علمائها، وأولع بكتب الأدب، من كتبه: (الأعلام)، و(شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز)، و(علمان في عُمان)، و(الإعلام بمن ليس في الأعلام)، توفي (سنة: ١٣٩٦ هـ)، في مدينة القاهرة، انظر: الأعلام، للزركلي، (٨ / ٢٦٧).

٧ . الأعلام، للزركلي، (٧ / ٥٩)، ومعجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، (ت: ١٤٠٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، (١١ / ٣٠١).

ويقول إسماعيل البغدادي<sup>(١)</sup>: هو «محمد (ثم تحقق أن اسمه: أحمد) بن محيي الدين محمد بن مصطفى الأسكليبي العمادي، شيخ الإسلام، أبو السعود الرومي، الفقيه الحنفي»<sup>(٢)</sup>.

وبحسب علم الباحث أن البغدادي لم يذكر دليلاً على أن أبا السعود اسمه: أحمد، ولم يذكر ذلك المؤرخون الذين هم أقرب زمناً إلى أبي السعود من البغدادي.

ومن خلال ما سبق يخلص الباحث إلى أن أبا السعود هو: شيخ الإسلام<sup>(٣)</sup> المولى<sup>(٤)</sup> أبو السعود أفندي<sup>(٥)</sup> محمد بن محيي الدين محمد بن مصطفى العمادي<sup>(٦)</sup> العمادي<sup>(٦)</sup> الأسكليبي المنشأ، الرومي<sup>(٧)</sup> الأصل، الحنفي<sup>(٨)</sup> المذهب. من علماء الترك المستعربين<sup>(٩)</sup>.

---

١ - هو إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: عالم بالكتب ومؤلفها. باباني الأصل، بغدادي المولد والمسكن. أقام. زمناً في (مقري كوي) بقرب الآستانة، مشغلاً بإكمال كتابه: (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون وله: (هدية العارفين، أسماء المؤلفين وأثار المصنفين)، توفي (سنة: ١٣٣٩هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (١/ ٣٢٦).

٢ . أنظر: هدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٥٣).

٣ . أطلق على أبي السعود شيخ الإسلام بوصفه مفتي الديار، وكان شيخ الإسلام مساوياً للصدر الأعظم، وهو أعلى مكانة دينية في الدولة العثمانية، انظر: الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية، لمصطفى بركات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٢٧.

٤ . يطلق هذا اللقب على المالك وعلى العبد المعتق، ويستعمل بوصفه من ألقاب السيادة، ويطلق على علماء الدين والسلطين والوزراء على السواء، انظر: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م، ص ٥٢٠.

٥ . لقب فخري، قيل: هو من الكلمة اليونانية العامية أفنديس، وتعني صاحب والمالك والسيد والمولى، وقد استعملت لقباً لأصحاب الوظائف الدينية والمدنية ورجال الشريعة والعلماء، وأطلق هذا اللقب على قاضي اسطنبول، انظر: الرتب والألقاب المصرية، أحمد تيمور، دار الكتاب العربي، مصر، ط ١، ١٩٥٠م، ص ٦٦، والألقاب والوظائف العثمانية، ص ١٥٠.

٦ . نسبته هذه إلى والد جده عماد الدين، انظر: من الفصول العمادية إلى الفتاوى الحامدية، ثمانية قرون من تاريخ أسرة دمشق، للدكتور عمر العمادي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ١٤.

٧ . الرومي: أطلقت هذه الصفة على سكان الدولة العثمانية في جزئها الأوربي وهي تعود اصلاً لأن هذا الجزء كان كان تابعاً للدولة الرومية من قبل فأنسحبت التسمية بعد ذلك على العثمانيين المسلمين وخصوصاً بعد الاستيلاء على القسطنطينية، انظر: قضاة مصر في القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادي عشر الهجري، للدميري، تحقيق وتعليق ودراسة، عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ويوسف مصطفى المحمودي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٣٥.

٨ . نسبة إلى المذهب الحنفي، كما هو معروف.

٩ . الأعلام، للزركلي، (٥٩/٧).

وقد نص أبو السعود نفسه في مقدمه تفسيره حيث قال: «وبعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي؛ أبو السعود محمد بن محمد بن العمادي»<sup>(١)</sup>.

واشتهر بين الناس بخواجه الشلبي، ويعرف بكنية أبي حنيفة الثاني، والمعلم الثاني<sup>(٢)</sup>، وخطيب المفسرين<sup>(٣)</sup>.

أسرته:

يمكن أن يتناول الباحث أسرة أبي السعود على النحو الآتي:

#### ١ . والده:

كان أبوه الشيخ محيي الدين محمد بن مصطفى العماد<sup>(٤)</sup>، من أهل العلم<sup>(٥)</sup>، وكان مشهوراً بلقب: (يا وصي الأسكليبي)، وله من المصنفات: أحوال السلوك؛ رسالة في التصوف. تعلية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وشرح الواردات الكبرى؛ لبدر الدين السيمائي في التصوف، سماه: حقيقة الحقائق في شرح كشف أسرار الدقائق، توفي سنة: (٩٢٢هـ)<sup>(٦)</sup>.

#### ٢ . والدته:

لم تكن أم أبي السعود هي الأخرى بعيدة عن العلم، فقد كانت كما قال العيدروس: (بنت أخي العلامة مولانا علاء الدين علي القوشجي)<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

---

١ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١/٣).

٢ . المعلم الثاني: نسبة إلى أن المعلم الأول هو شيخ أبي السعود، وهو شيخ الإسلام أحمد بن كمال باشا، انظر: القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية، عرض ونقد، رسالة دكتوراه لمحمد بن عبد الله بن عمر الحلواني، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ص ١٠١.

٣ . انظر: المرجع السابق، ص ١٠٠، ١٠١.

٤ . انظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، (١/٣٩٨).

٥ . انظر: النور السافر، للعيدروس، (١/٢١٥).

٦ . انظر: هدية العارفين، للبغدادي، (٢/٢٢٨).

٧ . هو علاء الدين علي بن محمد القوشجي، فلكي رياضي، من فقهاء الحنفية، أصله من سمرقند، ومعنى القوشجي في العربية: حافظ البازي، وأعطاه محمد خان مدرسة أيا صوفية، فأقام بالآستانة، وتوفي فيها سنة: (٨٧٩هـ)، له عدد من المصنفات، انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن أمين اللكنوي الأنصاري الهندي، (ت: ١٣٠٤هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٤هـ، ص ٢١٤، والبدر الطالع، للشوكاني، (١/٤٩٥)، وهدية العارفين، للبغدادي، (١/٧٣٦).

٨ . النور السافر، للعيدروس، (١/٢١٥).

### ٣ . أولاده:

ذكر المؤرخون ستة من أولاد أبي السعود، ثلاثة من الذكور، وثلاث من الإناث، غير أن المؤرخين اقتصروا على أسمائهن فقط دون إيراد تراجم لهن، ما عدا منق<sup>(١)</sup> فإنه يذكر أن أبا السعود زوج إحدى بناته على أحد تلاميذه، وهو نكساري زاده وسترأتي ترجمته عند الحديث عن تلاميذ أبي السعود، ويمكن تناول أبنائه على النحو الآتي:

#### أ . أحمد:

نقل الغزي عن المولى قطب الدين<sup>(٢)</sup> نزيل مكة المشرفة ما قاله في حقه: (كان نادرة زمانه في الذكاء، والحفظ، والآداب، لم يسمع في هذا العصر له بنظير في هذا الباب، اجتمعت به في سنة: (٩٦٥هـ) بمدينة اسطنبول، وهو مدرس في مدرسة رستم باشا<sup>(٣)</sup> بخمسين عثمانياً، فأكرمني وأضافني وباسطني، فرأيت من حفظه، وذكائه ما أدهشني وحيرني، مع صغر سنه، وكبر قدره وشأنه، قال: وأخبرني: أن مولده سنة: (٩٤٤هـ)، وأنه اشتغل على والده، وعلى المولى شمس الدين أحمد بن طاش كبرى زاده، صاحب الشقائق النعمانية، وكان يحفظ مقامات الحريري<sup>(٤)</sup> عن ظهر الغيب، وقرأ لي منها عدة

---

١ . هو علي بن لالي بالي بن محمد، ويعرف بمنق: مؤرخ، من علماء الدولة العثمانية، مدفون بمرعش . له: (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ذيل للشقائق النعمانية)، و(نادرة الزمن في تاريخ اليمن)، توفي سنة: ٩٩٢هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤/ ٣٢١، ٣٢٢).

٢ . هو محمد بن أحمد المكي، النهروالي، الحنفي، مؤرخ، عالم، أحد المدرسين بالحرم الشريف، برع في الفقه والتفسير، وكان أديباً، شاعراً، تعلم بمصر، ونصب مفتياً بمكة، له مصنفات منها: (الإعلام بأعلام بلد الله الحرام)، و(البرق اليماني في الفتح العثماني)، توفي سنة: ٩٨٨هـ، انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/ ٨١)، وشذرات الذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العسكري الحنبلي، تحقيق: محمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، (١٠/ ٦٤٩).

٣ . هو الصدر الأعظم رستم باشا، ولد عام ١٥٠٠م، وتوفي (سنة: ١٥٦١م)، سياسي وصدر أعظم عثماني، كرواتي، تزوج من ابنة السلطان سليمان القانوني، يعتبر من مؤرخي الترك، ومن مصنفاته، (تواريخ آل عثمان)، انظر: الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب، لأحمد آق كندوز، واخر، وقف البحوث العثمانية، ط بدون، ٢٠٠٨م، ص ٣٤٧-٣٥٠.

٤ . هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الكبير، صاحب «المقامات الحبرية - ط» سماه: «مقامات أبي زيد السروجي»، ومن كتبه: «درة الغواص في أوهام الخواص»، و (ملحة الإعراب) و(صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور) في التاريخ، و(توشيح البيان) نقل عنه الغزولي، وله شعر حسن في (ديوان) و(ديوان رسائل)، وكان دميم الصورة غزير العلم، مولده بالمشان (بليدة فوق البصرة) ووفاته بالبصرة، سنة: ٥١٦هـ، ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه، وكان ينتسب إلى ربيعة الفرس، انظر: الأعلام، للزركلي، (٥/ ١٧٧).

عدة مقامات، ومع ذلك كان ينظم شعراً غريباً بليغاً، في أعلى درجات الفصاحة، مع كمال الحسن والملاحة، فلا أدري أي وصف يوفيه، وأي صنف من الفضل ما هو فيه، وماذا يقال فيه والدهر من رواته، وفن الأدب خامل ما لم يواته<sup>(١)</sup>.

ثم (قال: وأنشدني من لفظه تخميس قصيدة لأبي الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup>)، وأنه هو الذي خمسها، وقد بقي في حفطي منها هذا البيت:

نشرتُ على الآفاقِ دُرَّ فوائدي \*\*\* وفي سلكِ شعري قد نَظَمْتُ فرائدي  
فمن ذا يُضاهيني وتلك مقاصدي \*\*\* وما الدهرُ إلا مِن رُواةِ قصائدي  
(إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنشدًا)<sup>(٣)</sup>.

فانظر إلى هذا السبك العجيب، والسكب الغريب، واللفظ الذي يفوق الدر الرطيب، وكان يدرس في (التلويع)؛ و(الهداية)، و(شرح المواقف)، و(شرح المفتاح)، وينقل (صحيح البخاري) بغاية التدقيق، والفهم الدقيق، واللفظ الأنيق، إلى أن ذوى غصن شبابه، وانطوت صحيفة كتابه، وتوفاه الله إلى رحمته، في حياة والده<sup>(٤)</sup>.

وكذا أتى عليه منق ثناءً منقطع النظير، وبيّن تفوقه في علوم شتى، ومما قاله بحقه: (ولما وصل صيته إلى سمع الوزير الكبير رستم باشا، أحبَّ رؤيته واستدعاه، فلما اجتمع به أعجبه حسن كلامه، فأحسن إليه من نفائس الكتب وتبناه، ثم أعطاه مدرسته التي بناها في قسطنطينية<sup>(٥)</sup>)، وسنّه إذ ذاك سبعة عشر، فشرع في إلقاء

---

١ . الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الحنفي، (ت: ١٠١٠هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٩٣.

٢ . هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، في محلة تسمى كندة، فنسب إليها، نشأ بالكوفة، عرض له فاتك بن الجهل الأسدي في عدة من أصحابه، فقتله وابنه محسد وغلّامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية، وذلك يوم الأربعاء لست بقين من شهر رمضان، سنة: ٣٥٤هـ، انظر: مقدمة الطبعة الأولى، شرح ديوان المتنبي، لأحمد بن حسين المتنبي، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م، (١/ ٣، ٤).

٣ . شرح ديوان المتنبي، للمتنبي، (١/ ١٤).

٤ . الطبقات السنية، لتقي الدين التميمي، ص ٩٣.

٥ . القسطنطينية: سميت باسم الملك قسطنطين الأكبر، حيث بناها سنة: (٣٢٤م)، وكانت من قبل تسمى بيزنطة، ثم صارت عاصمة الدولة العثمانية بعد أن فتحها السلطان محمد الفاتح، وظلت كذلك إلى أن نقل الأتراك عاصمتهم إلى مدينة أنقرة عام: (١٣٤٢هـ)، وسموا القسطنطينية باسمها التركي، وهي اسطنبول، وتقع القسطنطينية على ضفتي البوسفور الآسيوي الأوربي، انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت، ط بدون، (٤/ ٣٤٧)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس، بيروت، ص ٦٨.

الدروس، وأظهر أموراً خارجة عن طوق البشر، ثم نقل إلى إحدى المدارس الثمان، ثم إلى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان<sup>(١)</sup> وتوفي . رحمه الله . وهو مدرس بها في شهر جمادى الأولى من سنة: (٩٧٠هـ)، وما بلغ عمره ثلاثين سنة<sup>(٢)</sup>.

وذكر في سبب موته: أنه خالط بعض الأراذل، ورغبه في أكل بعض المعاجين التي أدت إلى وفاته<sup>(٣)</sup>.

ولم يترك أحمد شيئاً من المؤلفات سوى حاشية على قصيدة أبيه التي أولها:  
لمن الدنا وتضعضعت أركانها \*\*\* وانقض فوق عروشها جدرانها<sup>(٤)</sup>.

#### ب . محمد:

كان فاضلاً كريماً جواداً بارعاً، كثير الإحسان إلى الفقراء، وكان خطاطاً وشاعراً في اللغة الفارسية، ترقى في المناصب حتى أعطي منصب قاضي القضاة بدمشق سنة: (٩٦٥هـ)<sup>(٥)</sup>، ولم ينكر عليه سوى تناول اليسق<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>.

١ . هو محمد ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد، ولد سنة: (١٥١٩م)، في مدينة مانيسا، وهو الإبن الأكبر لسلطان سليمان القانوني من زوجته حرم سلطان، وكان الإبن المفضل لسلطان سليمان، ولذا جعله السلطان حاكماً لولاية مانيسا، وتوفي فيها سنة: (١٥٤٣م)، ودفن في اسطنبول، انظر: الدولة العثمانية المجهولة، لكندوز، ص ٣٨٠.

٢ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

٣ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٥٥.

٤ . المرجع السابق، ص ٣٥٦.

٥ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (١١/٣)، والعقد المنظوم، لمنق، ص ٣٦٤-٣٦٦، وتراجم الأعيان من أبناء الزمان، الزمان، للحسن بن محمد البوريني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط بدون، ١٩٥٩م، (٢٤٠/١).

٦ . اليسق: تعني المحصول، وهي فرض ضريبة على كل مستند خمسة وعشرين درهماً، ودرهم للمحضر، وأصل لفظة اليسق: سي يسا، وهي لفظة مركبة من كلمتين؛ صدر الكلمة: سي بالعجمي، وعجزها: يسا بالتركي؛ فكأنه قال: التراتيب الثلاثة، وسبب هذه الكلمة أن جنكيز خان ملك المغول؛ كان قسم ممالكه في أولاده الثلاثة، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها الترك إلى يومنا هذا، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: سي يسا؛ يعني: التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان، انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، (ت: ٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ت بدون، (٢٦٨/٦) ومفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي، (ت: ٩٥٣هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ص ١٨٤.

٧ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (١١/٣).

وكان دمث الأخلاق يجلب العلماء<sup>(١)</sup>. وقال عنه الغزي: (ولي قضاء الشام وحلب، وتوفي في حياة أبيه أيضاً، وكان في العلم دون أخيه . يقصد أخاه أحمد . وفي الجود ليس في أبناء جنسه من يوازيه)<sup>(٢)</sup>. اتصل محمد إلى المولى محيي الدين الفناري<sup>(٣)</sup>، واشتغل لديه حتى شهد بفضله، وأثنى عليه، ثم نقل إلى مدرسة السلطان محمد في جوار أبي أيوب الأنصاري<sup>(٤)</sup>. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .، ثم نقل إلى إحدى المدارس الثمان، ثم ثم إلى مدرسة السلطان سليم الثاني<sup>(٥)</sup>، ثم قلد قضاء دمشق الشام، فلما وصل إليها باشر القضاء<sup>(٦)</sup>.

ثم عزل عنه بلا سبب، ثم قلد قضاء حلب، فبعد مضي سنة اختارته المنية في سنة: (٩٧١هـ)<sup>(٧)</sup> بحلب في يوم الجمعة؛ خامس عشر شعبان<sup>(٨)</sup>.

١ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، ص ٢٧٩.

٢ . انظر: الطبقات السنية، لتقي الدين التيمي، ص ٩٣.

٣ . هو محمد بن علي بن يوسف بن المولى شمس الدين الفناري، محيي الدين المشهور بمحمد باشا العالم الكامل، الكامل، قاضي قضاء العسكر بالولاية الأناضولية، ثم بالولاية الروميلية. ولد في أيام دولة السلطان محمد خان بن عثمان. كان صاحب أخلاق حميدة، وله (حواش على شرح المواقف)، و(شرح الفرائض) كلاهما للسيد الشريف، و(حواش على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة)، توفي وهو قاضي العسكر الروملي في سنة: (٩٢٥هـ). ودفن عند قبر جده المولى شمس الدين بمدينة بروسا، انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٥٩/١).

٤ . هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، من بني النجار، صحابي جليل، شهد العقبة وبدر وأحد، وسائر المشاهد، توفي سنة: ٥٢هـ، بالقسطنطينية، في خلافة معاوية تحت راية يزيد، له ١٥٥ حديثاً، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، (٢/ ٤٢٤)، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، (١٣/ ١٥١).

٥ . هو سليم الثاني بن السلطان سليمان الأول، ولد بإسلامبول (إسطنبول) سنة: (٩٣٠هـ)، خلف والده في الحكم سنة (٩٧٤هـ) وقد مضت الدولة بعد والده تنتهج سياسة التوسع الإقليمي بقوة الدفع الذاتي التي كانت عليها السلطة العثمانية، وبدأ الاضمحلال التدريجي منذ عهد هذا السلطان. وتم في عهده استعادة اليمن بعد ثورة الشيعة الزيدية. وتوفي بإسلامبول سنة: (٩٨٢هـ)، انظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة مؤلفين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، بلا تاريخ: (٧٢/ ٦١)، و تاريخ الدولة العثمانية، للدكتور علي حسون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م: ١٢٣ . ١٢٤.

٦ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٦٤، ٣٦٥.

٧ . انظر: المرجع السابق، ص ٣٦٥.

٨ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (١١/ ٣)، والعقد المنظوم، لمنق، ص ٣٦٤-٣٦٦.

ووصف بأنه من محاسن العصر، ونوادر الدهر في شدة ذكائه، وصفاء ذهنه، وكان عالماً أديباً، له اطلاع على المعارف والتواريخ، وكان له معرفة تامة بأحوال الخط، وقد جمع الكثير من خطوط السلف، وبذل فيه أموالاً عظيمة، وكان يكتب خطاً مليحاً في الغاية<sup>(١)</sup>.

### ج . مصطفى:

أما مصطفى فإنه كان أصغرهم وأقلهم علماً، واستمر حياً إلى سنة (١٠٠٨هـ)، ومات في السنة المذكورة قاضياً بعساكر الروم، وكانت له إحاطة بالفروع الفقهية، وإلمام بالعلوم العقلية والنقلية، وكان يسير سير الملوك، ويتقلد من الترفه بأزهى سلوك، وكانت الدولة العثمانية تراعيه لمكانة أبيه من الرفعة والمكانة<sup>(٢)</sup>.

وله حاشية على الدرر والغرر للملا خسرو<sup>(٣)</sup>، وكان أحد صدور العلماء التسعة في قطر روم إيلي<sup>(٤)</sup>.

أما أولاده من الإناث فهن خديجة ورحيمة وكريمة، وهذا كل ما نعلمه عنهن، وقد زوج إحداهن على أحد تلاميذه كما سأيتي ذكره.

### مولده:

يذكر حاجي خليفة<sup>(٥)</sup> أن أبا السعود ولد «بقرب القسطنطينية في شهر صفر سنة: (٨٩٦هـ)»<sup>(٦)</sup>.

١ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٦٥.

٢ . انظر: بيبليوغرافية أبي السعود، لآتسر التركي، ميللي، ط بدون، ١٩٦٧م، ص ٥، وهدية العارفين، للبغدادي، (٤٣٨/٢)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٢٧٧ / ١٢).

٣ . هو محمد بن فرامرز بن علي، المعروف بملا أو منلا أو المولى خسرو: عالم بفقہ الحنفية والأصول رومي الأصل أسلم أبوه، ونشأ هو مسلماً، فتبحر في علوم المعقول والمنقول، وتولى التدريس في زمان السلطان محمد بن مراد، بمدينة بروسة، وولي قضاء القسطنطينية، وتوفي بها، سنة: (٨٨٥هـ) ونقل إلى بروسة، له (درر الحكام في شرح غرر الأحكام)، و(مرقاة الوصول في علم الأصول)، و(حاشية على المطول)، و(حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣٢٨/٦).

٤ . انظر: خلاصة الأثر، للمحبي، (٦٥ / ٣).

٥ . هو مصطفى بن عبد الله، كاتب جلبي، مؤرخ تركي الأصل، مولده ووفاته بالقسطنطينية، له (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، و(تقويم التواريخ)، و(ميزان الحق في التصوف)، مات سنة: (١٠٦٧هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٢٣٦ / ٧).

٦ . الفوائد البهية، لأبي الحسنات، (٨١/٢)، وأسماء الكتب، لرياض زادة، ص ١٠، والكواكب السائرة، للغزي، (٣٣/٣)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة، (١٥ / ١).

وكما أوجز بعض المؤرخين العبارة في اسم أبي السعود حيث اقتصر بعضهم على الكنية واللقب؛ كذلك فقد اقتصر بعضهم على الإشارة إلى الموطن الذي ولد فيه أبو السعود دون الإشارة إلى السنة التي ولد فيها، فقال: «مفتي التخت العثماني، ولد بقرية قريبة من قسطنطينية»<sup>(١)</sup>.

وكذلك فإن بعض المؤرخين اقتصر على الإشارة إلى سنة الولادة، ولم يشر إلى ذكر الموطن الذي ولد فيه<sup>(٢)</sup>.

وكذلك اختلفوا في سنة ولادته؛ فقال بعضهم: «ومولده سنة: تسعمائة»<sup>(٣)</sup>.

وقال غيره: «ولد رحمه الله - سنة: (٨٩٨هـ)، بقرية المساجد من قسطنطينية المحمية من خواص، أوقاف الزاوية التي بناها السلطان بايزيد الثاني<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>، وهذا هو التاريخ الذي ذكره الزركلي<sup>(٦)</sup>.

فالاختلاف واضح في سنة ولادة أبي السعود، غير أن الفرق بسيط، ويبدو أن الذين نصوا على الشهر الذي ولد فيه، وموطن الولادة أكثر دقة من غيرهم.

---

١ . معجم المطبوعات، لسركيس، (١/ ٣١٦).

٢ . انظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، (١/ ٣٩٨).

٣ . البدر الطالع، للشوكاني، (١/ ٢٦١).

٤ . هو بايزيد الثاني بن السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية ابن السلطان مراد، ثامن السلاطين العثمانيين، ولد سنة: (٨٥١هـ)، تولى السلطة بعد وفاة أبيه عام: (٨٨٦هـ)، مدة سلطنته اثنان وثلاثون سنة، وعاصمته القسطنطينية، وكان من أعيان الملوك الأكابر، كان محباً للخيرات، مثابراً على البر والصدقات، يميل إلى العلماء والصلحاء، وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن إليهم، وكان يكرم الواردين عليه من أهل الحرمين الشريفين أو من غيرهما، وكان ميالاً للسلم، محباً للعلوم الأدبية، مات عام: (٩٠٠هـ)، انظر: تاريخ سلاطين آل عثمان، يوسف بن همام آصاف، (ت: ١٣٥٧هـ)، تحقيق: بسام الجابي، دار البصائر، دمشق، ط٣، ١٤٠٥هـ، ص٦٣، ٦٥، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص١٧٩-١٨٧، والمختار المصون من أعلام القرون، لمحمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٩٩٥م، (٢/ ٦٩٠-٦٩٣).

٥ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص٤٠٠.

٦ . الأعلام، للزركلي، (٧/ ٥٩).

## نشأته:

نشأ أبو السعود في بيت علم وصلاح وتقوى، فقد (تربى في حجر والده، وعلمه الفنون الأدبية حتى برع في حياته)<sup>(١)</sup>، و(أحاطه بقسم كبير من الفنون العلمية، وكان أبوه محيي الدين محمد من علماء عصره، ومن خواص أوقاف الزاوية التي بناها السلطان له بایزید الثاني في القسطنطينية)<sup>(٢)</sup>، كذلك فقد مر سابقاً أن أمه ذات علم وفضل<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا ندرك سر نبوغ هذا العالم الجليل الذي صار في ما بعد (مفتي الديار، وشيخ الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

(ومن العوامل التي ساعدت على سطوع نجم أبي السعود؛ هو العصر الذي نشأ فيه، فقد كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها، وكانت آنذاك تتميز على سائر دول العالم من حيث التوسعات والفتوحات)<sup>(٥)</sup>، وسنرى ذلك جلياً إن شاء الله تعالى عند الحديث عن عصر أبي السعود.

---

١ . هدية العارفين، للبغدادي، (٢٥٣/٢).

٢ . انظر: النور السافر، للعيدروس، ص ٢٣٩، والشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٦٣.

٣ . المرجع السابق، ص ٣١٩.

٤ . انظر: الألقاب والوظائف العثمانية، لمصطفى بركات، ص ١٢٧.

٥ . تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ٢٥٢.

## المطلب الثاني

### صفاته، وعقيدته، ومذهبه

#### صفاته:

للعلماء صفات خاصة، وطبائع تميزهم من عامة الناس، ولا يزين العلم كالأخلاق الكريمة، والطبائع الحسنة.

ويذكر بعض العلماء أن أبا السعود كان متواضعاً محافظاً على التقوى والأمانة، وكانت له حشمة وافية وحرمة باهرة، وقوة بين أمثاله قاهرة<sup>(١)</sup>، كما كان عالماً عاملاً، وإماماً كاملاً، شديد التحري في فتاويه، حسن الكتابة عليها، مهيباً حسن المجاورة، وافر الإنصاف، ديناً خيراً، سالماً مما ابتلي به كثير من موالي الروم، من أكل المكيفات<sup>(٢)</sup>، سالم الفطنة، لطيف العبارة، حلو النادرة<sup>(٣)</sup>.

وكان مع ما وصل إليه في الدولة من مكانة، وما تقلد من وظائف ومع قربه من السلاطين والولاة؛ وكان مع ذلك متواضعاً محافظاً على الورع والديانة، وكان مستقيماً في سلوكه، متبعاً حدود الشرع في قضائه<sup>(٤)</sup>، فحق له أن يكون قدوة العلماء العاملين، الحريصين على الأمة، المنافحين عن حياض الدين، المقررين لأحكام الله تعالى في الدولة<sup>(٥)</sup>، وهذا مما يدل على زهده وورعه.

كذلك كان رحمه الله تعالى: (فصيحاً، وفي الفن رجيحاً، وإن لم يسلك ديار العرب، لكن ذلك لا محالة منحة من الله تعالى، وكان قوي الشخصية يخاطب السلطان في الأمر والنهي، وكان سلوكه لا عوج فيه ولا أمتاً، وكان ذا عزيمة وهمة، فقد قال عن نفسه: جلست يوماً بعد صلاة الصبح أكتب على الأسئلة المجتمعة، فكتبت إلى

١ . تراجم الأعيان، للبوريني، (١ / ٢٤١).

٢ . المكيفات: المواد المخدرة؛ كالحشيش ونحوه، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، المتوفى، (١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م، (٣ / ١٩٧٩).

٣ . النادرة: هي الطرفة من القول، وهو نادرة أزمانه، وحيد عصره، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرو، دار الدعوة، ط بدون، ت بدون، (٢ / ٩١٠).

٤ . انظر: تراجم الأعيان، للبوريني، (١ / ٢٤١).

٥ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٣ / ٣٥).

صلاة العصر على ألف وأربعمائة واثنى عشرة فتياً<sup>(١)</sup>، غير متكلف في الطعام واللباس<sup>(٢)</sup>.

وكان حليماً متمهلاً، كثير التفكير والأناة، صاحب تؤدة جسيمة، ومهابة عظيمة، يهاب عظام الرجال المبادرة بخطابه، والكلام بين يديه<sup>(٣)</sup>، و«كان صاحب شخصية اجتماعية ممتازة، يتحلى بإيمان قوي، وروح طيبة، واستمساك صادق بعرى الدين»<sup>(٤)</sup>. هذه صفاته الخُلقية؛ أما صفاته الخُلقية فقد كان (طويل القد، خفيف العارضين، طويل اللحية، باسم الوجه)<sup>(٥)</sup>.

### عقيدته:

كان أبو السعود . رحمه الله تعالى . على عقيدة أهل السنة، فقد ذكر العلماء في كتبهم أن الإمام أبا السعود لم يغتر بما جاء في الكشف من الاعتزالات، ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السنة في تفسيره<sup>(٦)</sup>. ومما يدل على سلامة عقيدته ما جاء في بعض فتاواه حيث سئل: (ما قول مولانا في قوم اتخذوا قول لا إله إلا الله موضوعاً لتحريف النعمات، ورعاية لصناعة الأصوات، فطوراً يزيدون، وطوراً ينقصون، على حسب ما يلائم الباطلات، والآراء الفاسدات، لا يرجون في ذلك الله تعالى وقاراً، بل اتخذوا ذلك لبدعتهم شعاراً)، فأجاب قائلاً: (ما ذكر أمر مخترع مكروه، ومكر مبتدع، بئسما مكروه، فتردوا في مهاوي الردى، ومصارعه، والتحقوا بالذين يحرفون الكلم عن مواضعه، فيجعلون تلاوة المثاني كترنيمات الأغاني، فوالذي أنزلها بالحق المبين، وجعلها كلمة باقية إلى يوم الدين؛ لأن لم ينتهوا عما هم فيه من المكر الكريه، ولم يرجعوا كلمة التوحيد إلى نهجها السديد،

١ . النور السافر، للعيدروس، ص ٢١٦.

٢ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٣٥).

٣ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٥.

٤ . مناهج المفسرين، لمنيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط بدون، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٦.

٥ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٣٥)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ٣٩٩).

٦ . انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، المتوفى، (١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط بدون، بدون، (١/ ٢٤٨)، و مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٢٤، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٣

ليمسنهم عذاب شديد، وإنما الذي ندبوا إليه، وحرص المؤمنين عليه تزيين الأصوات بالقرآن الجليل، من غير تغيير فيه ولا تبديل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري<sup>(٢)</sup> عن أبي السعود: بأنه ماتريدي<sup>(٣)</sup> العقيدة<sup>(٤)</sup>، حنفي المذهب، إلا أنه لا يقول بكل ما ذكر عن أصول العقيدة الماتريدية، بل يخالفها في بعض المسائل، ويوافقهم في بعضها الآخر، ومنها على سبيل المثال: ما يتعلق بباب الصفات، فقد أثبت صفة المعية على منهاج أهل السنة والجماعة، مخالفاً ما عليه الماتريدية من تأويلها ونفيها<sup>(٥)</sup>.

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام مصطفى صبري هو الأقرب للصواب.

### مذهبه:

سبقت الإشارة إلى أن مذهب أبي السعود هو المذهب الحنفي، بل كان يطلق عليه أبو حنيفة الثاني، وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه<sup>(٦)</sup>، ولهذا فإنه في

١ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٢.

٢ . هو مصطفى بن أحمد بن محمد القازيابادي، من علماء الحنفية، تركي الأصل والمولد والمنشأ، وهو آخر من تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، له كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، وموقف البشر تحت سلطان القدر، مات سنة: (١٣٧٣هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٢٢٦).

٣ . الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها؛ من المعتزلة والجهمية، وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة والإسلامية، على الرغم من أنهم يؤولون آيات الصفات تأويل الجهمية)، انظر: الموسوعة الميسرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط ٤، ١٤٢٠هـ، ص ٩٥.

٤ . انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، لشيخ الإسلام في زمن الدولة العثمانية مصطفى صبري، المتوفى (١٣٧٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣/ ٣٩ - ٤٢).

٥ . القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية؛ لمحمد الحلواني، (١/ ١٤٣).

٦ . انظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات، (٢/ ٨١).

عقديته كان يقول بقول الأحناف في الأسماء والصفات، وقد نص الزركلي أنه من فقهاء الأحناف<sup>(١)</sup>.

وذكر الدكتور الذهبي<sup>(٢)</sup> على (أنه حنفي على مذهب الإمام أبي حنيفة<sup>(٣)</sup>)<sup>(٤)</sup>.  
وأما عن اختياره المذهب الحنفي فبحكم بيئته التي نشأ فيها والعلماء الذين تلقى منهم ودرس عليهم، ولا يخفى علينا أنه نشأ في عصر الدولة العثمانية التي اهتمت بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، وتنفيذ أحكامها على المذهب الحنفي<sup>(٥)</sup>.  
وكان أبو السعود من الذين أسهموا في الفكر الديني آنذاك، وتولى الإفتاء زمنًا طويلاً؛ حتى لقب بمفتي التخت العثماني، ويرجع له الفضل في القوانين التي سنّها سليمان القانوني<sup>(٦)</sup>، وقد ألف كثيراً في الفقه الحنفي<sup>(٧)</sup>، كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته.

---

١ . انظر: الأعلام، للزركلي، (٧ / ٥٩)، ومعجم المفسرين، «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م، (٢ / ٦٢٥).

٢ . هو محمد السيد حسين الذهبي، باحث مفسر من كبار علماء الأزهر، شغل منصب أستاذ بالمعهد الديني بالقاهرة، ثم بكلية أصول الدين بالأزهر، فوزيراً للأوقاف، اختطف وقتل، (سنة: ١٩٧٧م)، قيل لتذهب معالم السرقات التي كانت بيده وثائقها منذ كان وزيراً للأوقاف، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: (التفسير والمفسرون)، و(مقدمة في علم التفسير)، و(مقدمة في علوم القرآن)، و(مقدمة في علوم الحديث)، و(الإسرائيليات في التفسير والحديث)، و(نور اليقين من هدي خاتم المرسلين)، وغيرها، انظر: إتمام الأعلام، نزار أباطة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ٨٨.

٣ . هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، التيمي، الكوفي، الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة: ٨٠هـ، وتوفي (سنة: ١٥٠هـ)، ببغداد، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، (٦ / ٣٩٠)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط بدون، (٥ / ٤٠٥).

٤ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١ / ٢٤٥).

٥ . المجتمع العربي أسورة في مطلع العصر العثماني، ليلى الصباغ، وزارة الثقافة، دمشق، ط بدون، ١٩٧٢م، ص ١٥.

٦ . المصدر السابق، ص ٣٢.

٧ . كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢ / ٢٠٤).

## المطلب الثالث

### وفاته

بعد رحلة حافلة بالعطاء والعلم والتقوى والصلاح؛ (توفي أبو السعود . رحمه الله تعالى . في أوائل جمادى الأولى سنة: ٩٨٢هـ)<sup>(١)</sup>، (ودفن إلى جوار قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قرب أسوار القسطنطينية)<sup>(٢)</sup>. قال الغزي: «إن المفتي أبا السعود - رحمه الله تعالى - توفي بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد، خامس جمادى الأولى سنة: ٩٨٢هـ، وكانت جنازته حافلة، وصُلِّي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير<sup>(٣)</sup>، في ملاء عظيم، وجمع كثير، وتقدم للصلاة عليه فخر الموالى سنان<sup>(٤)</sup>، ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة سيدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه»<sup>(٥)</sup>. وهذه أرجح الروايات التاريخية في نظر الباحث، وبهذا قال الشوكاني<sup>(٦)</sup>، والزركلي<sup>(٧)</sup>، وغيرهما.

١ . هدية العارفين، للبغدادي، (٢٥٥/١).

٢ . الأعلام، للزركلي، (٥٩/٧)، ومناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم، ص ٢٥٧، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢/٢٥٣).

٣ . هو السلطان محمد الثاني المولود في: ٨٣٣هـ، ويعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان، يلقب بالفاتح، وأبي الخيرات، حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً، كان خيراً وعزاً للمسلمين، تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده عام ٨٥٥هـ، وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة، وامتاز بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، وكان ذا معرفة بكثير من لغات عصره، واشتهر بلقب الفاتح لفتح القسطنطينية، توفي (سنة: ٨٨٦هـ)، انظر: **فاتح القسطنطينية محمد الفاتح**، لعلي الصلابي، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٨٣.

٤ . هو يوسف، سنان الدين الاماسي، المعروف بمحشي البيضاوي ويقال له عجم سنان البردعي: فاضل تركي، تصانيفه عربية، قرأ على الفناري وغيره، وتنقل في التدريس والقضاء بين بغداد وأدرنة والأناضول، وتوفي بالآستانة، سنة: (٩٨٦هـ) وقد أناف على التسعين، من كتبه، (حاشية على تفسير البيضاوي)، و (هي تعليقات في بلدية الاسكندرية)، و (شرح لكتابي الكراهية والوصايا من الهداية)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٨/٢٣٣).

٥ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣٣/٣).

٦ . البدر الطالع، للشوكاني، (٢٦١/١).

٧ . الأعلام، للزركلي، (٩٥/٧).

وهناك روايات خالفت التاريخ المذكور آنفاً منها: أنه «توفي في سنة: اثنتين وعشرين وسبعمائة»<sup>(١)</sup>، وهذه رواية لا يعتد بها، ويبدو أن هناك خطأ ما، قد يكون طباعياً من الناسخ، ولا سيما أن النص جاء على النحو الآتي: (ولد سنة ستة وتسعين وثمانمائة.... وتوفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة)<sup>(٢)</sup>، فكيف توفي قبل أن يولد. ومما يؤكد أن وفاة أبي السعود كانت سنة ٩٨٢هـ، قول الشاعر الذي أرخ لوفاته: والعلم بكى مذكيل في تاريخه \*\*\* (قد مات أبو السعود مولى العلم)<sup>(٣)</sup>.

ق	د	م	ا	ت	ب	و	ا	ل	س	ع	و	د	م	و	ل	ي	ا	ل	ع	ل	م	=
١٠٠	٤	٤٠	١	٤٠٠	١	٢	٦	١	٣٠	٦٠	٧٠	٦	٤	٤٠	٦	٣٠	١٠	١	٣٠	٧٠	٣٠	٤٠

وذلك أن القدماء وضعوا لكل حرف رقماً<sup>(٤)</sup>، كما هو واضح في الجدول المذكور أعلى، ومن ثم فإن جمع هذه الأرقام هو تاريخ وفاة أبي السعود العمادي. ونظير ذلك ما ذكره بعضهم في تاريخ وفاة أبي السعود بالكلمات والحروف الأبجدية بهذه العبارة: (مات فرد الزمان مولانا)<sup>(٥)</sup>.

واعترض الزركلي على أقوال المخالفين؛ مستدلاً بأن «صاحب الفوائد البهية يذكر أن أبا السعود عاش إلى ما بعد وفاة السلطان سليمان<sup>(٦)</sup> القانوني، وأن ابنه (سليم خان) أكرمه إكراماً عظيماً، والسلطان سليمان توفي سنة: ٩٧٤هـ»<sup>(٧)</sup>.

١ . أسماء الكتب، لرياض زاده، ص ١٠.

٢ . المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

٣ . النور السافر، للعبدروس، ص ٢١٧.

٤ . التاريخ الشعري: يعرف هذا الفن بالتاريخ الشعري، ويسمونه التاريخ الحرفي أيضاً؛ لأن المرجع فيه إلى حساب الأحرف الأبجدية، ولا يعرف بالتعيين أول من استعمله في الشعر، وقد ذكر بعضهم أنه كان مستعملاً في الجاهلية الأولى عند شعرائها، وهو وهم، ولكن أقدم ما وقفت عليه يعود تاريخه لسنة ٨٢٢هـ، انظر: تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، (٣/ ٢٩٣).

٥ . عبارة: (مات فرد الزمان مولانا) تتكون من الحروف والأرقام الآتية: م(٤٠) + ا(١) + ت(٤٠٠) + ف(٨٠) + ر(٢٠٠) ر(٢٠٠) + د(٤) + ا(١) + ل(٣٠) + ز(٧) + م(٤٠) + ا(١) + ن(٥٠) + م(٤٠) + و(٦) + ل(٣٠) + ا(١) + ن(٥٠) + ا(١)، فيصير المجموع = (٩٨٢)، وهي تمثل سنة وفاته.

٦ . هو سليمان بن السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد الثاني، عاشر سلاطين آل عثمان، وأحد عظمائهم، ولد بإسلامبول بإسطنبول (إسطنبول) سنة: (٨٩٨ هـ) أو سنة: (٩٠٠ هـ)، خلف والده السلطان سليم الأول على عرش السلطنة سنة: (٩٢٦ هـ)، اشتهر بالقانوني نظراً للقوانين العديدة التي وضعها، بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج الكمال والقوة سياسياً وثقافياً وعسكرياً. تمتع بمهارة عسكرية عالية، شارك بنفسه في ثلاثة عشرة حرباً عظيمة، توفي سنة: (٩٧٤ هـ)، وهو يجاهد بالمجر، انظر: قصة الحضارة، ولديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار صادر، ت بدون، (٧/ ٧٤٢٠)، وأصول التاريخ العثماني، لأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ص ٧٦، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، لإسماعيل باغي، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص ٢٦.

٧ . الأعلام، للزركلي، (٧/ ٥٩).

ولمكانة هذا العالم الجليل فقد صَلِّيَ عليه صلاة الغائب في الحرم المكي بعد أن وصلهم خبر وفاته رحمه الله تعالى.

قال العيدروس: «ولم يزل في عزة إلى أن مات . رحمه الله تعالى . وأتى نعيه إلى الحرم، فنودي بالصلاة من أعلى زمزم، وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب، ورثاه جماعة من أهل مكة»<sup>(١)</sup>.

وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لا يحصون كثرة، وشهدوا له بالخير وصلى عليه المولى سنان كما أسلفنا في جامع السلطان محمد الفاتح.

كل ذلك ينم عن مكانة هذا العالم الجليل، وأنه كان يحظى بمكانة علمية، وتقدير العالم الإسلامي، ولا سيما أنه قد أقيمت عليه صلاة الغائب في الحرم المكي؛ كما أسلفنا.

---

١ . النور السافر، للعيدروس، ص ٢١٧.

**المبحث الثاني:**  
**مكانة الإمام أبي السعود العلمية.**  
وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: طلبه للعلم.**

**المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.**

**المطلب الثالث: مؤلفاته وأثاره العلمية.**

**المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.**

## المطلب الأول

### طلبه للعلم

أسلفنا في المطلب الأول أن أبا السعود تلقى تعليمه الأول على يد والده، وقرأ عليه بعض المصنفات، وقد أشار أبو السعود نفسه إلى ذلك فقال: (قرأت على والدي الشيخ محيي الدين حاشية التجريد للشريف الجرجاني<sup>(١)</sup>)؛ من أول الكتاب إلى آخره؛ مع جميع الحواشي المنقولة عنه، وقد قرأت عليه شرح المفتاح للعلامة المسفور<sup>(٢)</sup> مرتين، وشرح المواقف له أيضاً بالتمام والكمال<sup>(٣)</sup>.

ونص على ذلك صاحب شذرات الذهب، فقال: (وقرأ على والده كثيراً، وذكر الكتب الثلاثة المذكورة آنفاً، إلا أنه يذكر أن شرح المفتاح للشريف الجرجاني، وليس للعلامة المسفور، خلافاً لما ذكره أبو السعود، ثم يذكر أنه صار ملازماً للمولى سعدي جلبي<sup>(٤)</sup>)، وتنتقل في مدارس الدولة العثمانية<sup>(٥)</sup>.

وقال العيدروس: (وحفظه والده كتباً؛ منها: المفتاح للسكاكي<sup>(٦)</sup>)، فامتاز في صغره بفصاحة العرب العرباء، واشتغل بفنون الآداب، ودخل إلى الفضائل من كل باب<sup>(٧)</sup>.

---

١ . هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو، سنة: ٧٤٠هـ، وتوفي سنة: ٨١٦هـ، له نحو خمسين مصنفًا، منها: (التعريفات)، و(شرف مواقف الإيجي)، وغيرها، درّس في شيراز، انظر: الأعلام، للزركلي، (٥ / ٧).

٢ . لم أقف على ترجمة له.

٣ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٠.

٤ . سيأتي التعريف به عند الحديث عن شيوخ أبي السعود، إن شاء الله تعالى.

٥ . شذرات الذهب، للحنبلي، (٨ / ٣٩٨).

٦ . هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي، سراج الدين الخوارزمي، إمام في النحو والتصريف، والمعاني والبيان، والاستدلال، والعروض والشعر، وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون، ولد (سنة: ٥٥٥هـ)، ومات بخوارزم (سنة: ٦٢٦هـ)، بغية الوعاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ط بدون، (٢ / ٣٦٤).

٧ . النور السافر، للعيدروس، ص ٢٣٩.

وقال عنه أبو الحسنات اللكنوي<sup>(١)</sup>: « كان يجتهد في بعض المسائل، ويخرج ويرجح بعض الدلائل، وله في الأصول والفروع قوة كاملة، وقدرة شاملة، وفضيلة تامة، وإحاطة عامة»<sup>(٢)</sup>.

ومكنه والده من فهم (حاشية الشريف الجرجاني)، فقرأها مع جميع حواشيها المنقولة عنها، كما قرأ (مفتاح العلوم) للإمام السكاكي وشرحه، وغيره من الكتب التي صقلت شخصيته العلمية البيانية<sup>(٣)</sup>.

كذلك فإنه (تلقى العلوم على يد نخبة من علماء عصره، ومنهم والده، حتى اشتهر أمره، وذاع صيته لعلمه وفضله)<sup>(٤)</sup>.

ونتيجة لما سبق فقد حظي أبو السعود بمكانة علمية يمكن تناولها على النحو الآتي:

تبوأ أبو السعود منزلة سامية في حاضره، وشهد له بذلك كثير من المؤرخين بعد وفاته، ولم تأت هذه المنزلة من عبث، فقد نالها بما اشتمل عليه من علم وفير، وثقافة واسعة، وهذا ما أكده كل من ترجم له، وكان له في الألسنة الثلاثة: العربية والتركية والفارسية؛ شعر بديع<sup>(٥)</sup>.

لقد كان أبو السعود على قدر كبير من العلم والثقافة، ومما ساعده على النبوغ والتألق، و أنه كان حاضر الذهن، سريع البديهة<sup>(٦)</sup>، ولا سيما أن المفسر يحتاج إلى علوم كثيرة تعينه على فهم كتاب الله، وتوضيح معانيه، وبيان مرامييه، ومن العلوم التي يحتاجها المفسر: النحو، واللغة، والبيان، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام،

---

١ . هو محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، عالم بالحديث والتراجم من فقهاء الحنفية، مات (سنة: ١٣٠٤هـ)، انظر: مقدمة الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣، ١٤٠٧هـ، ص١٨، والأعلام، للزركلي، (١٨٧/٦).

٢ . الفوائد البهية، لأبي الحسنات، (٨١/٢).

٣ . شذرات الذهب، للحنبلي، (٢١٥ / ٧).

٤ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣١ / ٣).

٥ . النور السافر، للعيدروس، ص٢١٦.

٦ . الأعلام، للزركلي، (٥٩ / ٧).

والتاريخ، والسيرة، ومعرفة أسباب النزول، وغيرها، وإذا شُهِد للمفسر بالإمامة فقد شُهِد له بهذه العلوم كلها، وكذلك كان أبو السعود رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فقد جاء في الشقائق النعمانية: «وكان - رحمه الله - واسع التقرير، سائغ التحرير، يلتقط الدر من كلمه، ويتناثر الجواهر من حكمه إذا نثر تراه بحراً...، وحصل له من المجد والإقبال والشرف والإفضال ما لا يمكن شرحه بالمقال»<sup>(١)</sup>.

ولعل من أهم البراهين على المكانة العلمية التي حظي بها أبو السعود أنه (قُدِّ) التدريس في مدرسة كنقري، ثم في مدرسة إسحاق باشا<sup>(٢)</sup> ببلدة آينه كول<sup>(٣)</sup>، ثم مدرسة داود باشا<sup>(٤)</sup>؛ بمدينة قسطنطينية، ثم مدرسة علي باشا<sup>(٥)</sup>، ثم مدرسة الوزير مصطفى باشا<sup>(٦)</sup>، ثم مدرسة السلطان محمد بمدينة بروسه<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>، وما ذلك إلا لمكانته العلمية، العلمية، وثقافته الواسعة.

وقد أدرك السلطان سليمان - رحمه الله تعالى - مكانة أبي السعود العلمية، وتبين له فضله، واستحق التقديم وكان أهله<sup>(٩)</sup>.

---

١ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٥.

٢ . هو قائد عسكري وسياسي عثماني، ولد في أول يناير ١٤٦٩م، تولى الصدر الأعظم مرتين: الأولى في عهد السلطان محمد الفاتح، وذلك من عام: ١٤٦٩م، إلى ١٤٧٢م، والثانية، وفي عهد ابنه بايزيد الثاني، من عام: ١٤٨١م، إلى ١٤٨٢م، وتوفي في سالونيك، (في أول يناير سنة: ١٤٩٧م)، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ٢٠٣.

٣ . آينه كول: هي بلدة تقع غربي الأناضول، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ترجمة: عدنان محمود سلمان، وآخر، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، ١٩٩٠م، ص ٧٣٦.

٤ . داود باشا: هو سياسي عثماني، ولد في ألبانيا، وصدر أعظم عثماني، من سنة: ٨٨٧هـ - ٩٠٢هـ، في عهد السلطان بايزيد الثاني، توفي (سنة: ١٤٩٨م)، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ١٨٨.

٥ . لم أعثر له على ترجمة.

٦ . هو قائد عسكري وصدر أعظم عثماني، كان ألباني أو بوسني الأصل، ولد (سنة: ١٥٠٠م)، حمل لقب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، (من ٢٨ إبريل ١٥٨٠م، إلى ١٧ أغسطس ١٥٨٠م)، توفي (سنة: ١٥٨٠م)، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٢٨٨.

٧ . بروسه: هي مدينة بآسيا الصغرى، تكتب أحياناً بالسين، وأحياناً بالصاد، وبعضهم يكتبها هكذا: بورصه، وهي شهيرة بجودة هوائها، وجمال مناظرها الطبيعية، وكانت أول عاصمة للدولة العثمانية، وظلت كذلك عدة سنوات، ثم انتقلت العاصمة إلى أدرنة، ثم إلى اسطنبول، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ١١٩.

٨ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٠، والنور السافر، للعيدروس، ص ٢١٦.

٩ . النور السافر، للعيدروس، ص ٢١٦.

والحق أنه كذلك، فقد كان . رحمه الله تعالى . إماماً فاضلاً، وعالمًا جليلاً، غزير التآليف، ذا إحاطة تامة بالعلوم والمعارف الإسلامية، فما من علم من علومها إلا وله فيه حظ وافر، وقد دلت على ذلك مؤلفاته المتعددة والمتنوعة بحسب مواهبه واختصاصه في مجال أصول الفقه والقراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وغيرها من المؤلفات الكثيرة.

كذلك فقد كان ملماً بعلوم العربية؛ كالنحو والصرف والاشتقاق والبلاغة بعلومها الثلاثة: (المعاني والبيان والبدیع)<sup>(١)</sup>، وخير دليل على ذلك تفسيره الذي بين أيدينا، والذي نحن بصدد دراسة أجزاء منه، فقد نال إعجاب كثير من المؤرخين والمعاصرين، وأثنوا عليه ثناء حسناً، فأبو السعود - إذن - (من الذين برعوا في مختلف العلوم والفنون، وفاقوا أقرانهم)<sup>(٢)</sup>.

ويعد علم العربية محور علم التفسير وأساسه، وقد مر بنا أن أبا السعود نهل من علم العربية عن طريق والده رحمه الله، وأكب على دراسة العربية حتى أتقنها على الرغم من أنه كان أعجمياً؛ وليس بعربي، وكان لتلك الدراسة أثر واضح على لسانه، فقد تمكن من النظم على شاکلة الأوائل، ناهيك عن نثره البديع، كذلك كان ذا معرفة بعلم الكلام، والفقه وأصوله، والتفسير، وغيره من العلوم الإسلامية.

١ . كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٤٣٣/١)، والتفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٦٥).

٢ . البدر الطالع، للشوكاني، (١/ ٢٦١).

## المطلب الثاني

### شيوخه، وتلاميذه

#### شيوخه:

تتلمذ أبو السعود على يد نخبة من العلماء الأجلاء في عصره، وكان لهم أثر عظيم في بنيته العلمية والثقافية، غير أن الكتب التي ترجمت له لم تُجَد علينا بمعلومات كافية عن العلاقة العلمية التي جمعت بينه وبين شيوخه، والكتب التي قرأها عليهم، ومن المعلوم أن قيمة طلب العلم ترتبط بقيمة مصادره، وعلى رأس هذه المصادر شيوخه وأساتذته.

ولعل علم أبي السعود وثقافته كانت تعتمد على القراءة أكثر من الشيوخ، ومن ثم فإن الذين ذكرهم المؤرخون من شيوخ هذا العالم النحرير قليل جداً، ويمكن أن نتحدث عن شيوخ أبي السعود على نحو الآتي:

#### ١. والده، محيي الدين محمد بن مصطفى العمادي:

أول شيوخه هو أبوه، الذي كان عالماً كبيراً جمع بين علوم الشريعة والطريقة، فقد قرأ على والده كثيراً، كما تقدم بيانه<sup>(١)</sup>.

#### ٢. أبو المعالي عبد الرحمن بن علي المؤيد:

وهو عبد الرحمن بن علي بن مؤيد الأماسي، فقيه حنفي، ولد في آماسية<sup>(٢)</sup> سنة: ٨٦٠هـ، ورحل إلى حلب وبلاد العجم، ثم عاد إلى بلاد الروم، وفوضت إليه مناصب التدريس والقضاء، وتوفي بالقسطنطينية سنة: ٩٢٢هـ، له فتاوى مؤيد زاده، وتفسير سورة القدر، ورسائل متفرقة<sup>(٣)</sup>، فقد ذكره أبو السعود في جملة شيوخه في إجازته العلمية.

١ . انظر: هذه الأطروحة، ص ٨-٩.

٢ . آماسية: مدينة في تركية الآسيوية - الأناضول - على نهر يشيل إرماق، مركز لواء يحمل الاسم نفسه، في ولاية سيواس، مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٧٤٧، وقضاة مصر في القرن العاشر، للدميري، ص ١٧٧.

٣ . انظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات، (٨٩/٢)، وفهرست الخزانة التيمورية، للكرمي، القاهرة، ١٩٤٨م، (١٧٦/١).

### ٣. المولى سيدي محمد بن محمد القراماني:

كان مشتغلاً بالعلم، ومشتهراً بالفضل، وكان صاحب ذكاء ودقة، وكان صاحب هيبة ووقار وأدب وحسن خلق وتواضع للصغير والكبير، درس في عدد من مدارس الدولة العثمانية، ثم صار قاضياً بالقسطنطينية، ثم صار قاضياً للعساكر في الأناضول<sup>(١)</sup>، ثم قاضياً بالعسكر في الروم إيلي<sup>(٢)</sup>، ثم عزل عنه في أوائل سلطنة السلطان سليم الثاني حيث كان من أوائل معلمي أبي السعود في صغره ومن الذين درسوا على يديه وأخذ إجازة منه، ثم تزوج أبو السعود زينب هانم بنت شيخه القراماني، توفي سنة: ٩٢٣هـ<sup>(٣)</sup>.

### ٤. شيخ الإسلام أحمد بن سليمان بن كمال باشا:

هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين: قاض من العلماء بالحديث ورجاله، تركي الأصل، مستعرب، قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه. تعلم في أدرنه<sup>(٤)</sup>، وولي قضاءها ثم الإفتاء فيها إلى أن مات في الآستانة<sup>(٥)</sup>. له تصانيف كثيرة، منها طبقات الفقهاء؛ خ، وطبقات المجتهدين؛ خ، ومجموعة رسائل؛ ط، تشتمل على ٣٦ رسالة، ورسالة في الكلمات العربية - ط،

---

١ . قاضي عسكر الأناضول: وجد هذا المنصب في عام ١٤٨٠م، وكان قاضي عسكر الأناضول يشترك كعضول في الديوان مع زميله قاضي عسكر الروميلي، ويقوم بمصاحبة الجيش في حملاته على أسيا وأفريقيا كما أنه يقوم بتعيين القضاة داخل المناطق التابعة لهم، والإشراف عليهم ومراقبتهم، كذلك تعيين مديري المساجد والموظفين الدينيين داخل منطقة نفوذه، انظر: قضاة مصر، للدميري، ص ١٤٦.

٢ . قاضي عسكر الروميلي: كان قاضي عسكر الروميلي أعلى مركزاً من زميله قاضي عسكر الأناضول، حيث كان يصحب الجيش العثماني في حملاته على أوربا، وكان من اختصاصه تعيين جميع القضاة الذين يعملون في أوربا، كذلك كان يقوم بوظيفة مستشار ديني للسلطان مع الإشراف على توزيع الغنائم والفصل في الخصومات الناشئة بين أفراد الجيش والدعاوى الجنائية المدنية التي ترفع من الأهالي ضد أي أحد ممن ينتمون للجيش، انظر: قضاة مصر، للدميري، ص ١٤٧.

٣ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ١٨٠، ١٨١ وشيخ الإسلام أبو السعود أفندي وأسلوبه في التفسير، لعبد الله الأدميري، أنقرة، باني لاري، ١٩٦٨م، ص ٥-٨.

٤ . أدرنة: مدينة تركية، تقع على ملتقى ثلاثة أنهر، في الشمال الغربي من اسطنبول، وفي شمال غاليبولي، وكانت ثاني مدينة في الإمبراطورية البيزنطية، وكان فتح أدرنة على يد السلطان مراد الأول، وكانت عاصمة لدولة العثمانية مدة ٥١ سنة، قبل اسطنبول انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٦٥١، وقضاة مصر في القرن العاشر، للدميري، ص ٢٤١

٥ . الآستانة: هي اسطنبول اليوم عاصمة تركيا، وهي أكبر المدن في تركيا، وثاني أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان، ومن الأسماء التي عُرفت بها المدينة خلال العهد العثماني: (الآستانة) بالتركية العثمانية: (استان)، وهي كلمة فارسية من معانيها «العاصمة» أو «مركز السلطنة»، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٦٢٦.

نشرت في المجلد السابع من مجلة المقتبس، ورسالة في الجبر والقدر؛ خ، وإيضاح الإصلاح؛ خ، في فقه الحنفية، ورجوع الشيخ إلى صباه؛ ط، وتاريخ آل عثمان، وتغيير التنقيح؛ ط، في أصول الفقه، توفي سنة: ٩٤٠هـ<sup>(١)</sup>.

#### ٥. العلامة المولى قادري جلبي:

هو المولى عبد القادر الشهير بقادري جلبي، كان عالماً فاضلاً صاحب ذكاء وفطنة، وكان لطيف المحاورة، وحسن النادرة، درس في عدد من مدارس الدولة العثمانية، ثم صار قاضياً ببورسه، ثم القسطنطينية، ثم صار قاضياً للعساكر في الأناضول، وظل على ذلك مدة طويلة ثم عزل، ثم صار مفتياً في القسطنطينية، مات ببورسه، سنة: ٩٥٥هـ<sup>(٢)</sup>.

#### ٦. المولى سعدي جلبي:

وهو سعد الله بن عيسى بن نهران الطائي، الشهير بسعدي جلبي، أو سعدي أفندي، قاض حنفي من علماء الروم، أصله من ولاية قسطنطينية<sup>(٣)</sup>، ومنشأه ووفاته في الآستانة، كان قوي الحفظ جداً، ملك كتباً كثيرة، عمل في التدريس، وولي القضاء بها مدة، ثم تولى الإفتاء إلى أواخر حياته، وكان في قضائه مرضي السيرة، محمود الطريقة، فمقبول الجواب، ومهدياً إلى الصواب، وكان طاهر اللسان لا يذكر أحداً إلا بخير، وصنف: الفوائد البهية، وهي حاشية على تفسير البيضاوي<sup>(٤)</sup>، وله حاشية على

---

١. انظر: الأعلام؛ للزركلي، (١/ ١٣٣).

٢. انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٢٦٤، ٢٦٥، والكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٣٥).

٣. قسطنطيني: مدينة تقع في شمال تركيا على بعد مائة كيلو متر من البحر الأسود، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٦٢٢.

٤. هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها، من تصانيفه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، يعرف بتفسير البيضاوي، و(طوالع الأنوار)، في التوحيد، و(منهاج الوصول إلى علم الأصول)، و(لب الباب في علم الإعراب)، و(نظام التواريخ)، وكتبه باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعريفها، والغاية القصوى في دراية الفتوى، في فقه الشافعية، توفي (سنة: ٦٨٥هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤/ ١١٠).

العناية شرح الهداية للبابرتي<sup>(١)</sup>، وفتوى في مواضع من فصوص الحكم لابن عربي<sup>(٢)</sup>،  
(ت: ٩٤٥هـ)<sup>(٣)</sup>.

#### ٧. حسين بن رستم باشا:

وهو المعروف في الديار الرومية والمصرية بباشا زاده، كان أبوه من موالى  
السلطان سليم، وهو سبط إياس باشا<sup>(٤)</sup>، الذي كان رأس الوزراء في أيام دولة السلطان  
سليمان، وكان من موالى السلطان بايزيد خان، وقرأ على كبار الموالى، مثل: يحيى  
أفندي<sup>(٥)</sup> الذي كان متقاعداً من إحدى المدارس الثمان<sup>(٦)</sup>، وقد قرأ عليه مفتي الديار  
الرومية، بل الممالك الإسلامية، أبو السعود العمادي، أقام بالديار المصرية، إلى آخر  
عمره<sup>(٧)</sup>.

---

١ . هو محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي  
البابرتي، علامة بفقّه الحنفيّة، عارف بالأدب، نسبته إلى بابرتي (قرية من أعمال دجيل ببغداد)، أو (بابرت) التابعة  
لأرزن الروم - أضرورم - بتركيا، رحل إلى حلب ثم إلى القاهرة وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع. وتوفي بمصر،  
(سنة: ٧٨٦هـ)، من كتبه: (شرح تلخيص الجامع الكبير) للخلاطي، فقه، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٤٢).

٢ . ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، المعروف بأبي بكر الحاتمي، لقب بمحيي  
الدين بن عربي، ويلقب كذلك بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين، وهو صاحب القول بوحدة الوجود، ولد  
في الأندلس سنة: (٥٦٠هـ)، ثم انتقل إلى المشرق. وتوفي (سنة: ٦٣٨هـ)، له مؤلفات جمة منها: (فصوص  
الحكم)، و(الفتوحات المكية)، و(الوصايا)، وغيرها كثير، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٥٨٠.

٣ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ٢٦٢)، والكواكب السائرة، للغزي، (٢/ ٢٣٦).

٤ . هو إياس محمد باشا، وهو سياسي عثماني، أرناؤوطي المولد، ١٤٨٣م، فلورة، وتوفي ٢٣ يوليو ١٥٣٩م، في  
استانبول، شغل منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني، بين عامي ١٥٣٦م  
وعام: ١٥٣٩م، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٤٨٠.

٥ . هو يحيى بن زكريا بن بيزرام، شيخ الإسلام، مفتي الديار الرومية في عصره، من أصل تركي مستعرب، ولد  
ونشأ في استانبول، عام ٩٩٩هـ، وتوفي ١٠٥٣هـ، ولي عدداً من مناصب القضاء في عدة بلدان عربية وإسلامية،  
انظر: مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، لأكرم كيدو، ترجمة: هاشم الأيوبي، منشورات جروس برس،  
طرابلس، لبنان، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٥٥.

٦ . المدارس الثمان: عرفت المدارس الثمان الأولى منها بأسم مدارس الصحن الثمان لوقوعها وسط إستانبول تماماً  
تماماً وتضم كل مدرسة منها تسع عشرة غرفة للمدرسين، كل مدرس في غرفة منفصلة، وهي المدارس التي بناها  
السلطان: محمد الفاتح، انظر: قضاة مصر في القرن العاشر، للميري، ص ١١٢، والقاضي أبو السعود وآراءه  
الاعتقادية، للحلواني، (١/ ١٠٤).

٧ . انظر: الطبقات السنية، لتقي الدين التميمي، ص ٢٤٧.

## تلاميذه:

أما تلامذته فقد تتلمذ على يد أبي السعود كثير من طلبة العلم ولا غرابة في ذلك فقد عمل في التدريس ربحاً من الزمن، وقد ذكرنا في أثناء هذا البحث بعضاً من المدارس التي عمل بها، وكان له تلاميذ يكتبون فتاواه، سواء باللغة العربية أو باللغة التركية، وقال منق: (وقد وصل تلاميذه واصحابه إلى المناصب السامية، والمراتب العالية)<sup>(١)</sup>، ويقول البوريني<sup>(٢)</sup>: والعجب أن غالب ما رأيناه من قضاة دمشق من تلامذته، وكلهم ينتسبون إلى حضرته، ويتشرفون بنسبته، ويرجعون في المناصب إلى ملازمته<sup>(٣)</sup>، ومن تلامذة أبي السعود:

### ١. المولى محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم:

أخذ العلم على يد أبي السعود، وابن كمال باشا، وغيرهم، ودرس في عدة مدارس، ثم قلد قضاء حلب، ثم دمشق، ثم مصر، ثم صار قاضياً بالعسكر في الأناضول، مات سنة: ٩٥٥هـ<sup>(٤)</sup>.

### ٢. الشيخ عبد الرحمن بن جمال الدين، المعروف بشيخ زاده:

ولد في قسبة مرزيفون<sup>(٥)</sup>، درس في إحدى المدارس الثمان، وصار معيداً للدرس، واهتم في تحصيل المعارف، فمهر في العلوم العربية، والفنون الأدبية، وتميز في الحديث، والتفسير، وعلوم الوعظ والتذكير، وولي مدرسة دار الحديث، وعين خطيباً بجامع قاسم باشا<sup>(٦)</sup>، وتميز من أقرانه المفسرين، وكان من جلة العلماء، توفي سنة: ٩٧١هـ<sup>(٧)</sup>.

---

١. انظر: العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٤٣.

٢. هو الحسن بن محمد البوريني ولد في صفورية سنة: ٩٦٣هـ، من أم صفورية، وأب بوريني، وصفورية وبورين قريتان في فلسطين، فقضى أيام طفولته في قرية أمه، فلما بلغ سن التمييز أخذه أبوه إلى زاوية القرية ليتعلم بها القرآن، فقرأ القرآن على شيوخها من المبتدأ إلى الختام، ثم انتقل إلى دمشق سنة: ٩٧٣هـ، وبقي البوريني متألق النجم حتى توفي سنة: ١٠٢٤هـ، بعد أن تخطى الستين من عمره، انظر: تراجم الأعيان، للبوريني، (١/ ٨ - ١٦).

٣. انظر: تراجم الأعيان، للبوريني، (١/ ٢٣٩).

٤. انظر: العقد المنظوم، لمنق، ص ٣٨٤، ٣٨٥.

٥. مرزيفون، بلدة تقع في وسط الأناضول، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٧٤٨.

٦. لم اعثر له على ترجمة.

٧. الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٦٢.

### ٣. حسن بن سنان الحسيني:

وهو: الشهير بأمير حسن السيواسي النيكساري المولد، رحل في طلب العلم، وأخذ عن العلامة أبي السعود العمادي، ولازمه مدة مديدة، واشتغل عليه، وعلى غيره، وتفنن في أكثر العلوم، وقد طالع كتباً كثيرة، وجمع المسائل، وكتب الفوائد، وحرر الرسائل، وكان رجلاً صالحاً ديناً مشكور السيرة في قضائه، والناس يبالغون في مدحه وثنائه<sup>(١)</sup>. درّس في الديار الرومية بعدة مدارس، ثم ولي قضاء حلب، ثم قضاء مكة المشرفة، وأقام بها قاضياً؛ نحو خمس سنوات، ثم ولي قضاء بروسه، ثم قضاء أدرنة، ثم عزل وعين له في كل يوم تسعون درهماً عثمانياً، بطريق التقاعد، وكانت وفاته في مدينة اسطنبول، في شهر ذي الحجة، صبيحة عيد الأضحى سنة: ٩٧٥هـ، ودفن خارج باب أدرنة<sup>(٢)</sup>.

### ٤. الزاهد الصمداني:

وهو: حسن بن يوسف، أحد موالى الروم، اشتغل بالعلم، وخدم المفتي أبا السعود، مات في أدرنة عاشر ذي الحجة في سنة: ٩٧٥هـ بالرافع<sup>(٣)</sup>.

### ٥. المولى عطاء الله:

هو المولى شيخ الإسلام عطاء الله أفندي، وهو معلم السلطان سليم ابن السلطان سليمان القانوني، وهو يومئذ أمير بلواء مغنيسا<sup>(٤)</sup>، كان فاضلاً ورعاً ديناً ذكياً، قوي الطبع، أصيل الرأي، آية في التدريس والتصرف، وقرأ على أبي السعود، وتولى التدريس في عدد من مدارس الدولة العثمانية، ولما تولى السلطنة السلطان سليم الثاني علت كلمته، وكان السلطان يراجع في الأمور المهمة، ويجتمع به في كل شهر مرتين

١. انظر: العقد المنظوم، لمنق، ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

٢. انظر: الطبقات السنية، لتقي الدين التميمي، ص ٢٢٦، والوفيات، لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ، (٢/١٠٠).

٣. الكواكب السائرة، للغزي، (٣/١٢٧).

٤. مغنيسيا: هي مدينة مانيسا وهي عاصمة محافظة مانيسا التركية، تقع في غرب تركيا، مانيسا حديثاً هي مركز من ناحيتي الاقتصاد والخدمات لقربها من إزمير التي تبعد ٤٠ ميلاً جنوب غرب مانيسا، انظر: تاريخ الدولة العثمانية ليلماز، ص ٧٣٩.

أو مرة، وقدم تلاميذه وأوصلهم إلى مناصب خطيرة؛ في أزمدة قليلة، وقدّم الصغار على المشايخ الكبار، فضج الناس، توفي في أوائل صفر من سنة: (٩٧٩هـ)<sup>(١)</sup>.

#### ٦. عبد الكريم بن محمد بن أبي السعود:

تربى في كنف جده عدة سنين إلى أن صار ملازماً له، ثم عين مدرساً في عدة مدارس، كان مشهوراً بالكرم والحزم والنباهة، معروفاً بحسن الخط والكتابة، مات سنة: ٩٨١هـ<sup>(٢)</sup>.

#### ٧. نكساري زاده:

وهو المولى محيي الدين ابن المولى مصلح الدين؛ المشتهر بنكساري زاده، جد في الطلب وتميز بخدمة أبي السعود، وصار ملازماً له، حتى زوجه ابنته، ودرس في مدارس عديدة، كان في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم، إلا أنه ألحق نفسه بزمرة الصوفية<sup>(٣)</sup>، واسترشد ببعض المشايخ الخلوتية<sup>(٤)</sup>، وتوفي مطعوناً، وهو مدرس

١ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

٢ . انظر: العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٣٩.

٣ . الصوفية أو التصوف: هي حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف، والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقته مع الفلسفات الوثنية: (الهندية والفارسية واليونانية المختلفة)، ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة، وقد اختلف في مرجع تسميتها بالصوفية كما ساق طائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصوف، إذ كان شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية، مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصفة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو محاولة نسبة أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري، وسفيان الثوري - رضي الله عنهم - وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ، (٢٤٩/١).

٤ . الخلوتية: نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، يدعي أنه أخذ هذه الطريقة عن نبينا محمد محمد صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في المنام، وكان يقول "طريقتي محمدية"، توفي (سنة: ٩٨٦هـ)، انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط ٢،

بإحدى المدارس العثمانية، في أواسط جمادى الآخرة، سنة: ٩٨١هـ، وما بلغ عمره أربعين سنة<sup>(١)</sup>.

## ٨. ابن بزن:

وهو محمد بن أحمد؛ المشتهر بابن بزن، نشأ على طلب العلم والفضائل، كان والده من ندماء السلطان سليم، ثم تغير عليه السلطان فأخرجه، ثم قلده قضاء بعض القصبات، ولد ابن بزن بقصبة أسكليب، ودار على العلماء حتى صار ملازماً من أبي السعود، وتولى التدريس في عدد من المدارس، ثم أذن له بالإفتاء، ثم تقاعد عنها، ولم يلبث إلا قليلاً حتى توفي بقسطنطينية في شهر شوال سنة: ٩٨٣هـ<sup>(٢)</sup>.

## ٩. المولى حسن:

نشأ في طلب العلم والفضائل ولأزم أبا السعود، ثم درس في أكثر من مدرسة، ثم أذن له بالإفتاء، ودار على علماء زمانه، وتولى القضاء في عدد من المدن، منها: دمشق، ومصر، ومكة، والقسطنطينية، ثم قضاء العساكر في الأناضول، كان حسن الأخلاق، لا يضمّر سوء لأحد ولو أساء إليه، ثم تقاعد إلى أن مات سنة: ٩٨٥هـ<sup>(٣)</sup>.

## ١٠. الكامي:

وهو: أحمد المشتهر بالكامي، ولد ببلدة أدرنة، وقرأ على علماء عصره، وتحرك بحسب العادة حتى وصل إلى مجلس أبي السعود، ودرس في عدد من المدارس، ثم قلد قضاء أدرنة، وقلد بطلبه قضاء جزيرة قبرص<sup>(٤)</sup>، ثم عزل وتقاعد، وعاد إلى قسطنطينية مرة أخرى، وكان مشاركاً في بعض العلوم، وذا حظ من الشعر والإنشاء، توفي في أوائل رجب سنة: ٩٨٧هـ<sup>(٥)</sup>.

## ١١. معلم زاده:

---

١ . انظر: العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٣٧ - ٤٣٩

٢ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٨١، ٤٨٢.

٣ . المرجع السابق، ص ٤٨٧.

٤ . قبرص: جزيرة صغيرة مهمة تقع في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)؛ بالقرب من السواحل الشامية المصرية، وكانت تابعة للبندقية، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٤ / ٣٠٥)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ٢٥٥.

٥ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

وهو: محمود المشتهر بمعلم زاده، كان أبوه من جملة الصدور في عهد السلطان سليم، قرأ على أبيه، ثم صار ملازماً من أبي السعود، ودرّس في عدد من المدارس، ثم خدم في الديوان العالي، ثم عزل، وكان مشاركاً في العلوم، ذا حظ وافر من المعارف، توفي بعده في أواسط جمادى الأولى سنة: ٩٨٧هـ<sup>(١)</sup>.

#### ١٢. أوغلي زاده:

وهو: محمد ابن المعروف بصاروكرز أوغلي زاده، كان أبوه من القضاة في القصبات، وصار ملازماً من المولى أبي السعود، ودرّس بعدد من المدارس، ثم قلد قضاء المدينة المنورة، وبذل بقضاء حلب، وتوفي فيه سنة: ٩٩٨هـ<sup>(٢)</sup>.

#### ١٣. عبد الواسع بن محمد بن أبي السعود:

درس في بعض المدارس العثمانية تشريفاً لجده، وتقديراً لفضله، كان حسن الخلق، كثير التلطف، وكان يكتب بخط جميل جداً، مات في أدرنة سنة: ٩٩٠هـ<sup>(٣)</sup>.

#### ١٤. السعودي:

وهو: السيد الشريف المولى محمد بن حسن المعروف بالسعودي، قاضي حلب، وآمد<sup>(٤)</sup> (ديار بكر) وغيرها، وصار ملازماً لأبي السعود، وسمي بالسعودي نسبة لأبي السعود، قال الغزي: قدم علينا دمشق سنة: ٩٩٨هـ، وتوفي سنة: ٩٩٩هـ، وقد أجاز الغزي بتفسير أبي السعود<sup>(٥)</sup>.

#### ١٥. مصطفى الجنابي:

وهو مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي، أبو محمد الجنابي، ثم الرومي، ولد واشتهر في بلاد الروم، وولي التدريس في مدرسة بروسه سنة: ٩٨٥هـ، وعين قاضياً في حلب سنة: ٩٩٤هـ، وتوفي بآمد بعد انفصاله عن القضاء؛ سنة: ٩٩٩هـ، ويقال له السعودي نسبة إلى أستاذه أبي السعود، من كتبه:

١ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده ، ص ٤٩٥ .

٢ . المرجع السابق، ص ٥٠١ .

٣ . انظر : العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٩٨، ٤٩٩ .

٤ . آمد: أو ديار بكر، هي أكبر مدينة في جنوب شرق تركيا، وهي العاصمة الإدارية للمحافظة، تحمل نفس الاسم، تقع على ضفاف نهر دجلة، على موقع مدينة آميدا الأثرية، اكتسبت اسمها من العرب من بني بكر بن وائل الذين استوطنوها بعد الفتح الإسلامي، انظر: وتاريخ الدولة العلية العثمانية، ليلماز، ص ١٨٠ .

٥ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣٢/٣) .

العليم الزاخر في أخبار الأوائل والأواخر، ويعرف بتاريخ جنابي، وله شعر باللغتين العربية والتركية، توفي سنة: ٩٩٩هـ<sup>(١)</sup>.

## ١٦. أحمد بن حسن بن عبد المحسن الرومي:

وهو المدرس بإحدى المدارس السلিমانيّة<sup>(٢)</sup>، كان والده قاضياً بالعسكر المنصور بالأناضول، وقد جرى الاصطلاح عند الكتّاب أن من تجري عليه الرق، وكان مسلماً، يكتبون في تعريفه فلان ابن عبد الله، وكان والد صاحب الترجمة يكتب حسن بن عبد المحسن، وهو بمعنى المصطلح عليه مع زيادة الإحسان، ولي قضاء العسكر، وقضاء الشام مرتين، وقضاء مصر، وقضاء مكة، وقضاء قسطنطينية، ولد في حدود سنة: ٩٦٠هـ، وأخذ الفقه وغيره عن الإمام أبي السعود العمادي، وكان معيداً عنده بمدرسة السلطان بايزيد، وكان حياً في حياة الغزي، أي: سنة: ١٠٦١هـ<sup>(٣)</sup>.

---

١ . انظر: الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٣٩٠، وتاريخ آداب اللغة العربية، لرجي زيدان، (ت: ١٣٣٢هـ)، دار المعارف، مصر ١٩١٣هـ . ١٩١٤م، (٣ / ٣٠٤)، والأعلام، للزركلي، (٧ / ٢٢١)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (١٢ / ٢٤٦)، وفي شذرات الذهب، للحنبلي، (٨ / ٤٤٠)، اسمه: محمد بن حسن، وهو في هدية العارفين، للبغدادي، (٢ / ٤٣٦)، مصطفى بن حسين بن علي البروسوي المعروف بالجنابي.

٢ . المدارس السلیمانيّة: بنى سلاطين آل عثمان في استانبول مساجد سلطانية، وزوده بعدد من المدارس التي حققت بها، فأحاط السلطان سليمان القانوني مسجده بعدد من المدارس التي سميت السلیمانية، وهي عبارة عن خمس مدارس تسمى خوامسى سلیمانية بالإضافة لدار الحديث المخصصة لدارسة السنة ودار الطب المخصصة لدارسة الطب، وكذلك عدد كبير من المدارس التجهيزية التي عرفت جماعياً بأسم موصليتي سلیمانية، انظر: قضاء مصر، للدميري، ص ١٦٦.

٣ . الطبقات السنية، لتقي الدين التيمي، ص ٩٨.

## المطلب الثالث

### مؤلفاته، وآثاره العلمية

ترك أبو السعود عدداً من الكتب والرسائل المهمة، ومع أن الاشتغال بالتدريس والإفتاء ومرافقة الجيوش والسلطين يستهلك وقت العلماء، إلا أن أبا السعود نجح في استثمار ما تيسر له من أوقات في التأليف، لذلك يقول منق: (وقد عاقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف)<sup>(١)</sup>.

وفيما يأتي نذكر بعضاً من كتب أبي السعود ورسائله، ونبدأ بما ذكره البغدادي حيث يقول (ومن مصنفاته:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم<sup>(٢)</sup>.
٢. بضاعة القاضي في الصكوك.
٣. ثواقب الأنظار في أوائل منار<sup>(٣)</sup>.
٤. الأنوار في الأصول.
٥. حسم الخلاف في المسح على الخفاف.
٦. غلطات العوام.
٧. غمرات المليح في أول مباحث قصد العام من التلويح<sup>(٤)</sup>.
٨. الفتاوى<sup>(٥)</sup>.

---

١. الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٤.

٢. وهو أحد التفسيرين اللذين هما موضوع هذه الأطروحة، والكتاب متداول مشهور.

٣. ورد في كشف الظنون أن اسم هذا الكتاب: (ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار)، انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١٨٢٣/٢).

٤. وعليه تعليقة شمس الدين احمد بن محمود المعروف بقاضي زاده المفتي، (ت: ٩٨٣هـ)، سماها غمرات المليح، انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/ ٤٩٨).

٥. جمعها المولى محمد بن أحمد الشهير ببوزن زاده، (ت: ٩٨٣هـ)، وجمعها المولى ولي الاسكليبي المعروف بولي يكان، (ت: ٩٩٨هـ) مع إلحاق فتاوى علي الجمالي، وابن كمال، وسعدي، وابن جوي ورتبها على ترتيب كتب الفقه أيضاً، كلتاهما مقبولتان متداولتان. وجمع بعضهم فتاوى أبي السعود من المجاميع في سنة (٩٨٣هـ) باسم السلطان مراد، وضم إليه زيادات من فتاوى آخرين، انظر: أسماء الكتب، لرياض زاده، (٢ / ١٢١٩، ١٣٤٧، ١٦٠٣).

٩. قانون المُعامَلات.
١٠. معاقد الطّراز.
١١. موقف العُقُول في وقف المَنقُول.
١٢. ميمية قصيدة مشهورة.
١٣. نِهَايةُ الأمجاد على كتاب الجِهَاد على الهِدَايةِ للمرغنياني<sup>(١)</sup>.
- أما الزركلي فيذكر جملة من المخطوطات حيث يقول: (ومن كتبه:
١٤. تحفة الطلاب في المناظرة - خ.
١٥. رسالة في المسح على الخفين - خ.
١٦. رسالة في مسائل الوقوف - خ.
١٧. رسالة في تسجيل الأوقاف - خ.
١٨. قصة هاروت وماروت - خ<sup>(٢)</sup>).

كذلك فقد أورد حاجي خليفة بعض مؤلفات أبي السعود، وقد اخترنا منها ما لم نجده عند غيره، وهي:

١٩. تهافت الأمجاد، رسالة ذكرها حاجي خليفة، وذكر أن أولها: اللهم يا ولي العصمة والتوفيق الخ، ذكر فيها أنه ورد الأمر العالي على مالكي ممالك التحقيق ليعطفوا عنان طرف الطرف نحو مضمار السير وميدان الجهاد الخ<sup>(٣)</sup>.
٢٠. دعا نامه باللغة التركية، جمعه من الأحاديث الصحيحة والآثار المنقولة باسم الوزير محمد باشا العتيق، ورتبه على مقدمة وسبعة أبواب، المقدمة في تعريف الدعاء، وفضيلته، وشروطه، وأوقات الإجابة، وعلامات القبول، والباب الأول: في الاسم الأعظم والأدعية، والثاني: في الأدعية المخصوصة بالسفر والخوف والشدة والمرض ونحوه، والثالث: في أدعية الصبح والمساء والنوم واليقظة، والرابع: في الأكل والشرب والتلبس، ودخول البيت والحمام والخروج منهما، والخامس: في حفظ

١. هدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٥٣، ٢٥٤).

٢. الأعلام، للزركلي، (٧/ ٥٩).

٣. كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢/ ٢٠٢٢).

النفس والمال، والسادس: في الصوم والعيد وليلة القدر ويوم عرفة، والسابع: في الصلوات المنصوصة، والدعوات المخصوصة<sup>(١)</sup>.

٢١. مقاعد الطراف في أول تفسير سورة الفتح من الكشف، وهي حاشية على سورة الفتح كتبها أبو السعود حين قرئ عليه في سفر الكفار<sup>(٢)</sup>.

وأضاف رياض زاده على ما ذكر من مصنفات أبي السعود المذكورة آنفاً:

٢٢. رسائله بنثره، أشار إليها رياض زاده حيث يقول: (ومن تصانيفه بعض التعليقات على الهداية والفتاوي المشهورة ورسائله بنثره)<sup>(٣)</sup>.

وهناك بعض المؤلفات لم أتمكن من الحصول على المراجع التي تذكرها مباشرة، وفي مثل هذه الحال اعتمدت على الأخذ من الباحثين السابقين:

٢٣. تعليقة على تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾<sup>(٤)</sup> في سورة يوسف.

٢٤. تعليقة على الهداية.

٢٥. تعليقة مختصرة على كتاب البيع، من كتاب الهداية للمرغيناني<sup>(٥)</sup>.

٢٦. تفسير سورة البقرة.

٢٧. تفسير سورة الكهف.

٢٨. تفسير سورة الملك<sup>(٦)</sup>.

٢٩. ديباجة تفسير أبي السعود<sup>(٧)</sup>.

٣٠. رسالة في إجابات عن مسائل خلافة فقهية.

٣١. رسالة في الأدعية الماثورة<sup>(٨)</sup>.

---

١. كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/ ٧٥٥).

٢. المرجع السابق، (٢ / ١٤٨٠).

٣. أسماء الكتب، لرياض زاده، ص ٣٣.

٤. سورة يوسف: الآية: ٥٢.

٥. ويعتقد الباحث أنها نهاية الأمجاد التي أوردها البغدادي؛ كما ذكرها الباحث، ص ٤١.

٦. القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية، محمد الحلواني، (١ / ١٥١).

٧. المرجع السابق، (١ / ١٥٢).

٨. وهذه الرسالة قد تكون دعا نامة التي ذكرها حاجي خليفة، وقد أوردها الباحث ضمن الكتب المنقولة من كشف

الظنون، ص ٤١.

٣٢. رسالة في أصل البدعة.
٣٣. رسالة في الإيمان؛ الرسالة الإيمانية.
٣٤. رسالة في بعض سور فتاوى.
٣٥. رسالة في بيان سجود السهو.
٣٦. رسالة في بيان قطع علم.
٣٧. رسالة في بيان لفظ جلبي<sup>(١)</sup>.
٣٨. رسالة في تصحيح الألفاظ المتداولة بين الناس<sup>(٢)</sup>.
٣٩. رسالة في تعلم أسلوب كتابة الفتوى<sup>(٣)</sup>.
٤٠. رسالة في التغني؛ مقالة ضد الغناء.
٤١. رسالة في تفسير آية: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.
٤٢. رسالة في حق الإضافة.
٤٣. رسالة في حق الروافض.
٤٤. رسالة في الريا والاستخفاف بالدين والجهر بالذكر والتغني واللحن.
٤٥. رسالة في السؤال والجواب في حق الفاسق.
٤٦. رسالة في القضاء والقدر<sup>(٥)</sup>.
٤٧. رسالة في المسائل الشرعية.
٤٨. رسالة في المسائل المتعلقة بالصوفية.
٤٩. سؤال حول نزاع فقهي.
٥٠. السؤال والجواب في الفقه<sup>(٦)</sup>.
٥١. فتوى في دوران الصوفية.

١ . جلبي: تعني مولى، سيد، قارئ، وقيل: إنها في لغة التتر تدل على القس النصراني، أو عابد الصليب، ثم أصبحت تدل في التركيبة على الأمير، ثم على الأديب، وعلى العالم المسلم في الفقه، ثم على الفاضل من الكتاب، وقيل: إنها من الكلمة العربية جلب، ومنها الجلب: أي: البضائع المستوردة، والجلب أي: العبد، وقد عرفت هذه اللفظة في مصر في العصر المملوكي، انظر: الألقاب والوظائف العثمانية، لمصطفى بركات، ص ٢٠٥.

٢ . يعتقد الباحث أن هذه الرسالة هي التي ذكرها البغدادي باسم غلطات العوام، انظر: هذه الأطروحة، ص ٣٩.

٣ . القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية، محمد الحلواني، (١/ ١٥٣).

٤ . سورة الأحزاب: الآية: ٣٨.

٥ . القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية، محمد الحلواني، (١/ ١٥٤).

٦ . المرجع السابق، (١/ ١٥٥).

٥٢. فتوى في صحة وقف الدراهم والدنانير<sup>(١)</sup>.
٥٣. فتوى في قتل الشيعة.
٥٤. الفرق بين المقام والمقام.
٥٥. فوائد في تفسير آية الكرسي.
٥٦. قانون نامة.
٥٧. قصائد أبي السعود<sup>(٢)</sup>.
٥٨. المذاهب المنحرفة.
٥٩. مسقطات العوام
٦٠. معراج الإيالة ومنهاج العدالة.
٦١. معروضات.
٦٢. منتخبات من فتاوى أبي السعود.
٦٣. منشآت.
٦٤. موقف العقول في النقول<sup>(٣)</sup>.
٦٥. حاشية أبي السعود على البيضاوي، لم يذكره المؤرخون، وهو مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة<sup>(٤)</sup>.
٦٦. حاشية أبي السعود على شرح كنز الدقائق للنسفي، لم يذكره المؤرخون، والكتاب مطبوع متداول<sup>(٥)</sup>.

١. القاضي أبو السعود وآراؤه الاعتقادية، محمد الحلواني، (١/ ١٥٦)

٢. المرجع السابق، (١/ ١٥٧)

٣. المرجع نفسه، (١/ ١٥٩)

٤. أبو السعود وآراؤه الكلامية، لبد الدين عبد السلام، ص ٦٨، وقد أشار بأن حاشية أبي السعود على البيضاوي، عبارة عن مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد برقم (٢٢٧٠).

٥. انظر: المرجع السابق، ص ٦٨، حيث يذكر أن: حاشية أبي السعود على شرح الكنز، طبع بمطبعة جمعية المعارف، مصر، ت بدون.

## المطلب الرابع

### ثناء العلماء عليه

لقد أثنى العلماء على أبي السعود ثناءً منقطع النظير، دلّ على مكانته السامية، وتبين أيضاً ما كان عليه العلامة أبو السعود من جميل الشمائل، وسمو الأخلاق، وتفوقه في العلوم والفنون.

فمن الأقوال الجامعة لمنزلته وفضائله:

ما قاله منق: "وقد ربّى بزال إحسانه دوحة العلوم والفضائل. وقُلّد جيد الزمان بخرائد أفضاله؛ وهو عاطل، فعادت روضة المعارف إلى بهائها، ودوحة الآداب إلى مائها ونمائها، مات وهو مقيم على حل المشكلات، وتسهيل طرق المعضلات"<sup>(١)</sup>.

وقال عنه الغزي: "الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، العَلَمُ الراسخ، والطود الشامخ، المولى أبو السعود العمادي الحنفي، مفتي التخت السلطاني، وهو أعظم موالي الروم، وأفضلهم، لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة"<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه الأدنه وي: "هو الدين والدنيا، هو اللفظ والمعنى، هو الغاية القصوى، هو الذروة العليا، سلطان المفسرين، مقدمة جيش المتأخرين، مفتي الأنام، مفني البدع والآثام، صاحب أنيال الأفضال والإسعاد، وصاحب الإرشاد ابن صاحب الإرشاد"<sup>(٣)</sup>.

وقال عنه صاحب التفسير والمفسرون، مثنيًا: "وهذا مما يشهد للرجل بسعة أفقه، وغزارة مادته، ولقد قرأنا في ترجمته شيئاً من الاستفتاء والفتوى، فوجدنا صدق ما قيل عنه في ذلك"<sup>(٤)</sup>، ثم أسهب في ذكر فضائله، ومن ذلك قوله:

"وكان - رحمه الله - كما قيل عنه، من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وسارت بذكره الركبان في مشارق الأرض ومغاربها، ولقد حاز قصب

---

١. العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، للمولى علي بن بالي؛ المعروف بمنق، (ت: ٩٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٤٤١.

٢. الكواكب السائرة، للغزي، (٣/٣١).

٣. طبقات المفسرين، للأدنه وي، (١/٣٩٨).

٤. التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/٣٤٦).

السبق بين أقرانه، ولم يقدر أحد أن يجاريه في ميدانه، ولقد كان اشتغاله بالتدريس وتنقله بين كثير من المدارس، وتولييه للقضاء، ثم الفتوى سبباً عائقاً له من التفرغ والتصنيف والتأليف، ولكنه اختلس فرصاً من وقته فصرفها إلى كتابه التفسير. فأخرج الناس كتابه الذي نحن بصده، [أي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم]. وعلى الجملة فقد جمع صاحبنا بين العلم والأدب، فبينما نراه مُجَوِّداً فيما كتبه وما أُلِّفه من كتب العلم، نراه مبدعاً غاية الإبداع فيما أثر عنه من منثور ومنظوم<sup>(١)</sup>.

وقال صاحب التفسير ورجاله: "كان أبو السعود عالماً كاتباً أديباً فائق العبقرية في اللغات الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية، وكانت منزلته العلمية قد علت واشتهرت، ثم كانت مناصب الرئاسة العلمية في التدريس والقضاء ومشيخة الإسلام، قد أشاعت اسمه وأعلت حرمة، وقررت منزلته، وكان ما عرف طلبة العلم منه عن كُتب في دروسه الحافلة بالبديعة وتحاويره، وما نقده الأدباء من رسائله وقصائده، قد مكن مقامه العلمي في قلوب أهل العلم، وفتح له أبواب الحظوة والكرامة"<sup>(٢)</sup>.

ومن الأقوال التي دلت على تقلده زمام الإفتاء، وسيادة العلماء في عصره: قول العيدروس: "الشيخ الإمام والحبر الهمام العلامة أبو السعود... الرومي؛ المشهور قاضي السلطان سليمان سلطان الروم صاحب التفسير"<sup>(٣)</sup>.  
وقول الشوكاني: "المُفتي والمُفسر.. الإمام الكبير عالم الروم، الذي فاق الأقران، وبرع في جميع الفنون"<sup>(٤)</sup>.

وقال طاش كبري زاده: "كان . رحمه الله تعالى . صاحب ذكاء وفطنة، وقوة طبع، وسداد رأي، وقد حلَّ كثيراً من المواضع المشككة، وقد وصل إلى عين التحقيق في المطالب العالية، رَوَّحَ الله روحه، ونوَّرَ ضريحه"<sup>(٥)</sup>.

وقال الغزي: "فامتاز في صغره بفصاحة العرب العرياء، واشتغل بفنون الآداب، ودخل إلى الفضائل من كل باب"<sup>(٦)</sup>.

١ . التفسير والمفسرون، للذهبي ، (٣٤٦/١).

٢ . التفسير ورجاله، لمحمد بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، ط٢، ١٤١٧هـ، ص ١١٠، ١١١.

٣ . النور السافر، للعيدروس، (٢١٥ / ١).

٤ . انظر: البدر الطالع، للشوكاني، (١ / ٢٦١).

٥ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٢٨٢.

٦ . النور السافر، للعيدروس، (١ / ٢١٦).

فها نحن أمام عالم من نمط فريد، متميز في علمه وإبداعه، ولم أقف على من طعن به، أو غمز من جانبه إلا ما قاله الزركلي: "يؤخذ عليه الميل الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم"<sup>(١)</sup>.

وقد أخذ هذا عن صاحب العقد المنظوم الذي قال: "غير أنّ فيه نوع مداهنة، واكتراث بمداواة الناس، وفيه الميل الزائد والنعومة إلى أرباب الرياسة والحكومة"<sup>(٢)</sup>. وهذا الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على علّته، فمنق لم يقل إنه يداهن أرباب الرياسة، بل جعل هذا طبعاً عاماً فيه، والفرق بين الوصفين كبير هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فهذا الذي قاله منق يناقض ما قاله بنفسه: "وكان - رحمه الله - ذا مهابة عظيمة، وتؤدة جسيمة قلما يقع في مجالسه للعظام المبادرة بالخطاب والكلام...، وحصل له من المجد والإقبال والشرف والأفضال ما لا يمكن شرحه بالمقال"<sup>(٣)</sup>.

فصاحب المهابة العظيمة، ومن حصل له من المجد والإقبال والشرف والأفضال ليس بحاجة إلى مداهنة الناس والاكتراث بمداواتهم، وهو المفتي الأعظم لدولة العثمانيين في أوج عظمتها وازدهارها.

ويؤيد هذا ما قاله الغزي في وصف أبي السعود:

"وكان المولى أبو السعود عالماً عاملاً، وإماماً كاملاً، شديد التحري في فتاويه، حسن الكتابة عليها، حسن المجاورة، وافر الإنصاف، ديناً خيراً"<sup>(٤)</sup>.

أما فيما يتعلق بأرباب الرئاسة، فهذا الذي قاله منق يتعارض مع قول الشيخ قطب الدين المفتي، وهو ممن عاصر أبا السعود: "ثم ولي في سنة: (٩٤٤هـ) قضاء العسكر، وصار يخاطب السلطان في الأمر والنهي، ثم في سنة: (٩٥١هـ)، ولي منصب الإفتاء، وكان سلوكه لا عوج فيها ولا أمتاً".

١ . الأعلام، للزركلي، (٥٩/٧).

٢ . العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٥٥.

٣ . انظر: المرجع السابق، ص ٣٩.

٤ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣٢/٣).

كما أن سلاطين بني عثمان الذين عاصروهم أبو السعود . كانوا حريصين على تطبيق الشريعة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى، ومنصب أبي السعود بوصفه قاضي العسكر يقتضي منه ملازمة السلاطين في معاركهم وأن يكون قريباً منهم، كما يقتضيه أيضاً منصب الإفتاء العام، وكيف يداهن أصحاب الرياسة، وهو يخاطبهم بالأمر والنهي؟

إن التصرف المرفوض هو التقرب من أصحاب السلطة من أجل منافع شخصية، أو موافقتهم في سلوكياتهم وتصرفاتهم وإن عارضت مبادئ الدين، وكذا إن كان أصحاب السلطة غارقين في ملذاتهم بعيدين عن الدين كلّ البعد، ولا ينفع معهم نصح ولا وعظ، ولكن إن كان هؤلاء على مثل المستوى الذي كان عليه سلاطين بني عثمان من تدين وجهاد وإحقاق حقّ، فما هو الضير في ذلك؟

وما الضير في مخاطبة السلطان بلين القول وقد قال الله تعالى لموسى وهارون - عَلَيْهِمَا السَّلَام - في معرض مخاطبتهم لفرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(١)</sup>، وهل يستوجب منصب الإفتاء أن يكون المفتي منعزلاً عن الناس، فظاً في النصح والإرشاد؟

كما أن الأحكام التصورية هي أحكام نسبية، فما يراه أحدهم أنه مداراة، قد يراه آخر أنه ضعف، وقد يصف بعضهم تصرف زيد من الناس على أنه شجاعة، ويراه آخرون أنه تهور.

---

١. سورة طه : الآية: ٤٤ .

**المبحث الثالث:**  
**التعريف بعصر الإمام أبي السعود**  
وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: الحالة السياسية.**

**المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.**

**المطلب الثالث: الحالة الثقافية:**

## المطلب الأول

### الحالة السياسية

إن تأثر الإنسان بمجتمعه، والأحداث المهمة التي ترافق نشأته لها الأثر الكبير في تكوينه، وتحديد ملامح حياته، وإبراز سماته الشخصية، كيف لا والإنسان ابن عصره، وإذا كان عصر أي إنسان هو الزمن الذي تقترب به حياته من بدايتها إلى نهايتها، وأنه ابن الحوادث التي تواكبها متأثراً بها، ومؤثراً فيها، وأن أحداث الزمن وأحواله تلقي . دون شك . أضواء على الجوانب الفكرية التي تعيننا في هذا المجال قبل غيرها من الجوانب، فمن المناسب عرض صورة موجزة لعصر أبي السعود وأهم ما وقع فيه من أحداث، وأبرز خصائصه.

هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن أبا السعود ولد في سنة: (٨٩٦هـ)، ومات في سنة: (٩٨٢هـ)، أي: أنه عاش ستاً وثمانين عاماً، ومن ثم فقد عاصر بعض السلاطين العثمانيين، فبعد وفاة السلطان محمد الفاتح ولي ابنه السلطان بايزيد الثاني سنة: (٨٨٦هـ) مقاليد الأمور، وهو ثامن السلاطين العثمانيين، ولد سنة: (٨٥١هـ)، وتولى السلطة بعد وفاة أبيه، ونازعه أخوه: (جم)<sup>(١)</sup> فحاربه بايزيد، ففر إلى قونية<sup>(٢)</sup>، ثم إلى الشام فمصر، ثم مات عام: (٩٠٠هـ)<sup>(٣)</sup>.

---

١ - هو الشقيق الأصغر للسلطان بايزيد الثاني، حيث قام بإعلان العصيان على أخيه، مطالباً بالسلطة، وتقابل الأخوان في معركة خسر فيها الأمير جم، مما اضطره إلى الهرب، وبعد حوادث كثيرة أصبح الأمير جم أسيراً في يد البنادقة، ثم في يد البابا ثم في يد ملك فرنسا، حتى وفاته (سنة: ٩٠٠هـ)، انظر: الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب، لأحمد آق كوندوز، ص ٢٥٨.

٢ - قونية: بالضم ثم السكون ونون مكسورة وياء مثناة من تحت خفيفة؛ من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها وبأقصرى سكنى ملوكها، قال ابن الهروي: وبها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع، وقونية مدينة تركية، وهي عاصمة محافظة تحمل نفس اسمها تقع جنوب الأناضول، بلغت ذروة مجدها عندما كانت عاصمة السلاجقة، قبل الغزو المغولي، وهي مسقط رئيس الوزراء أحمد داود أغلو، وتشتهر بصناعة السجاد المنسوج في المنازل، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (٤/ ٤١٥)، وتاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٦٢١.

٣ . انظر: تاريخ سلاطين آل عثمان، ليوسف بن همام، ص ٦٣، ٦٥، وقيام الدولة العثمانية، لعبد اللطيف عبد الله دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ص ٥٧، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، لإسماعيل باغي، ص ٥٠.

كان بايزيد ميالاً للسلام، محباً للعلوم الأدبية حتى سمي بايزيد الصوفي، ولكنه اضطر لخوض غمار بعض الحروب الداخلية والخارجية، فقد قاد الحملة على البغدان<sup>(١)</sup> بنفسه، فاستولى على عدة مدن بمساعدة تتر القرم<sup>(٢)</sup> عام: (٨٨٩هـ)، وتابع الفتوحات الإسلامية، فدخل الإسلام سواحل المرو<sup>(٣)</sup>، وخاض عدة حروب فاشلة، فقد من جرائها أدرنه وطرطوس<sup>(٤)</sup> عام: (٨٩٣هـ)، وتخلّى عن حصار بلجراد<sup>(٥)</sup> لتوالي انتصار المجر<sup>(٦)</sup>، وتحالف ضده البابا والبنادقة والمجر، واجتاحوا بحر الأرخبيل<sup>(٧)</sup> بمساعدة الأسطولين: الفرنسي والأسباني، وابتدأت في عهده العلاقات الدبلوماسية مع دول أوروبا، توفي سنة: (٩١٨هـ)<sup>(٨)</sup>.

وبعد وفاته اعتلى الحكم ابنه السلطان سليم الأول سنة: (٩١٨هـ)، وهو سليم بن بايزيد الثاني، تاسع سلاطين الدولة العثمانية. ولد بإسطنبول سنة: (٨٧٢هـ)، كان والياً على سنجق طرابزون في أواخر عهد أبيه، تنازل له والده عن السلطة مكرهاً سنة:

---

١ . **بغدان**: تسمى اليوم: مولدوفا، وهي جزء من دولة رومانيا الحديثة اليوم، انظر: تاريخ سلاطين آل عثمان، ليوسف بن همام آصاف، ص ٦٣، ٦٥.

٢ . **القرم**: اسم لشبه جزيرة في شكل نتوء من الجزء الجنوبي لأوكرانيا في البحر الأسود وبحر أزوف، وعاصمتها سيمفيريوبول.

٣ . **سواحل مروه أو موره**: هي شبه الجزيرة الكبيرة التي تشكل الجزء الجنوبي من بلاد اليونان التي توجد فيها مدينة أثينا، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ١٥٨.

٤ . **طرطوس**: بوزن قريوس بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا، وطرطوس مدينة سورية على ساحل البحر المتوسط، وهي أهم ميناء في سوريا، وهي مدينة تاريخية فينيقية، اكتسبت اسمها من اللاتينية، "أنترادوس"، وهي مركز محافظة طرطوس تقع مقابلها جزيرة أرود، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٤/ ٣٠)، وتاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٧٥٦.

٥ . **بلجراد أو بلغراد**: معناها المدينة البيضاء، هي العاصمة وأكبر مدينة في يوغوسلافيا، وتعتبر ميناءً نهرياً رئيسياً ومركزاً مهماً للسكك الحديدية، وهي مدينة حصينة على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر ساف، وهي عاصمة مملكة الصرب، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ١٥٥.

٦ . **المجر**: هي دولة أوروبية صغيرة، داخلية بدون سواحل، وعاصمتها بودابست، وتسمى عادة هنغاريا، ظلّت مملكة المجر قوية حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وسيطر العثمانيون على معظمها من أوائل القرن السادس عشر إلى أواخر القرن السابع عشر، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ١٧٦.

٧ . **بحر الأرخبيل أو جزر الأرخبيل**: هي عبارة عن جُزُر عديدة. تسمّى الأرخبيل، وتقع في جميع أرجاء بحر إيجه، ذراع البحر الأبيض المتوسط، تقع بين اليونان من ناحيتي الغرب والشمال، وتركيا من ناحية الشرق.

٨ . انظر: تاريخ سلاطين آل عثمان، ليوسف بن همام، ص ٦٣ - ٦٥، وقيام الدولة العثمانية، لعبد اللطيف دهيش، دهيش، ص ٥٧، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، لإسماعيل باغي، ص ٥٠.

(٩١٨هـ)، وكان عمره (٤٦) سنة، ويُعد من أعظم سلاطين بني عثمان، إذ كان شرساً، قوي الإرادة، شديد الطموح والتطلع، أديباً أريباً يحسن العربية، ويقرض فن الشعر، وفي عهده فتحت بلاد الفرس<sup>(١)</sup> سنة: (٩٢٠هـ)، وفتح الشام سنة: (٩٢٢هـ)، ومصر سنة: (٩٢٣هـ)<sup>(٢)</sup>.

وقد انشق عليه إخوته، ودارت بينهم حروب، انتصر فيها عليهم، اهتم بتجديد معاهدات الصلح والهدنة مع الدول الأوروبية، ووجه طاقاته العسكرية إلى بلدان شرقية إسلامية، وطغت شهرته عندما أوقف محاولات الصفويين لضم العراق، وانتصر عليهم في معركة تشالديران الشهيرة سنة: (٩٢٠هـ)، ودخلت جيوشه في إثرها عاصمتهم تبريز<sup>(٣)</sup>، وقضى على دولة المماليك في الشام ومصر، وضم إليه الحجاز، بدأ في عهده مد النفوذ العثماني على شمالي إفريقيا، وخاصة في الجزائر، وارتبط هذا بأسرة بيروسة الشهيرة، وحاول أن يجعل من إسطنبول مركزاً علمياً للبحوث المختلفة، وبنى كثيراً من الجوامع، ومن آثاره القاهرة التي وجه معظم عنايته إليها مقياس النيل في جزيرة الروضة، مات بمرض معوي قرب جرجو، ودفن بإسطنبول سنة: (٩٢٦هـ)<sup>(٤)</sup>.

وتقلد السلطنة بعده ابنه السلطان سليمان القانوني سنة: (٩٢٦هـ)، ويعد من خيرة السلاطين العثمانيين، واستمر حكمه مدة طويلة، إذ توفي سنة: (٩٧٤هـ)، ولقبه الأوروبيون بسلطان الشرق العظيم، وقد عبر عن قوته وسلطانه في رسالته إلى فرنسيس

---

١ . بلاد فارس: هي فارس القديمة أرض تشمل أجزاء من كلٍّ من إيران وأفغانستان الحاليين، في ظل حكم قورش الكبير وداريوس الأول وأحشورش وغيرهم من القواد، أصبحت فارس موطناً لحضارة مزدهرة ومركزاً لإمبراطورية واسعة، أطلق الفرس على المنطقة اسم أرض الآريين الذي اشتق منه اسم إيران حالياً، ويسمى الفرس لغتهم اللغة الآرية.

٢ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٤٣/٨)، وخلاصة الأثر، للمحبي، (١/ ٣٧١)، و أصول التاريخ العثماني، لأحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ٧٦.

٣ . تبريز: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وياء ساكنة، هي مدينة إيرانية، تقع في الشمال الغربي من إيران إيران بالقرب من الحدود التركية، وكانت عاصمة لإيران في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وهي رابعة كبريات مدن البلاد، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١٣/٢)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ٤٨.

٤ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٤٣/٨)، وخلاصة الأثر، للمحبي، (١/ ٣٧١)، و أصول التاريخ العثماني، لأحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ٧٦.

ملك فرنسا، فقال: (أنا سلطان السلاطين، وملك الملوك، مانح التيجان للملوك على وجه البسيطة...، سلطان البحرين، وخاقان البرين)<sup>(١)</sup>.

وبصرف عن تحريم إطلاق ملك الملوك وسلطان السلاطين على البشر، حيث يذكر ابن القيم أن هذه الأسماء مختصة بالرب تبارك وتعالى، فيقول: (ولا تجوز تسمية الملوك بـ(القاھر)، ولا ملك الملوك)<sup>(٢)</sup>، فإن هذه الرسالة تدل على قوة الدولة العثمانية آنذاك وسيادتها ونفوذها في الداخل والخارج.

وكان سليمان القانوني سياسياً حكيماً، ففي عهده دخل الإسلام جزيرة رودس<sup>(٣)</sup> بالفتح، وحاصر فيينا<sup>(٤)</sup> عاصمة النمسا<sup>(٥)</sup>، وأرسل الحملات البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وبلغت السلطنة في عهده أقصى اتساعها، فقد امتدت من بودابست - عاصمة المجر - على نهر الطوفة - نهر الدانوب<sup>(٦)</sup> حالياً - إلى أسوان في مصر، ومن نهر الفرات وقلب إيران إلى باب المندب جنوبي الجزيرة العربية.

وفي عهد السلطان سليمان الزاهر علا نجم الإمام أبي السعود، وأمسك بزمام منصب الإفتاء، وهو أرفع المناصب الدينية والقضائية في الدولة العثمانية، وكان ملازماً للسلطان ينتقل معه في فتوحاته في آسيا وأوروبا.

---

١ . تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ٢١٠.

٢ . انظر: تحفة المودود، لابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١، ١٩٧١م، ص ١٢٥.

٣ . رودس: تقع قبالة الإسكندرية في وسط بحر الشام، وهي جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، تعرف الجزيرة تاريخياً بكونها موقع تواجد تمثال أبولو، رودس سابقاً، وهو أحد عجائب الدنيا السبع، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١/ ٢٢٨)، وتاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٧١٩.

٤ . فيينا: هي عاصمة النمسا، وأكبر مدينة فيها، تقع في الجزء الشمالي الشرقي من النمسا، على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ١١٢.

٥ . النمسا: بلد صغير في وسط أوروبا ولها حدود مشتركة مع سويسرا ولختنشتاين، في الغرب، وألمانيا، وسلوفاكيا والجمهورية التشيكية في الشمال، والمجر في الشرق، وسلوفينيا، وإيطاليا في الجنوب، وعاصمة النمسا هي مدينة فيينا الواقعة على نهر الدانوب في الجزء الشمالي الشرقي من البلاد، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي، ص ١١٥.

٦ . نهر الدانوب: ويسمى نهر الطونة، وهو ثاني أنهار أوربا بعد نهر الفولكا، ويبلغ طوله (٢٨٥٠ كم)، وينبعث من ألمانيا الغربية، ويمر بالنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا وروسيا، ويصب في البحر الأسود، انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ١١٦.

وبعد وفاة السلطان سليمان خلفه ابنه السلطان سليم الثاني سنة: (٩٧٤هـ)، ولم يكن في قوة أبيه، وقد سار على نهج أبيه في إكرام مفتي الدولة الإمام أبي السعود، وهياً له كل أسباب التعظيم والتقدير، وقد ظلا يقومان بأمور الدولة معاً؛ السلطان في سياسته وحكومته، والمفتي في قضائه وإفتائه، حتى لقي الإمام أبو السعود ربه في جمادى الأولى سنة: (٩٨٢هـ)<sup>(١)</sup>.

وفي زمن السلطان سليمان القانوني كان أبو السعود يستشار في المسائل السياسية ذات الأهمية، وكان يتعاون مع المفتين في التشريعات السلطان المختلفة حيث أجاز أبو السعود شرعية جميع القوانين الصادرة في عهد السلطان سليمان القانوني وأقرها<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم نجد أن الإمام أبا السعود عاش أزهى عصور الدولة العثمانية السياسية والاجتماعية، إذ بلغت السلطنة العثمانية في تلك الفترة الذروة من حيث القوة والنفوذ، وجمعت زمام الملك الإسلامي في يدها، وحققت مجداً سياسياً وحربياً لا يضاهي، ولا سيما في عهد سليمان القانوني.

---

١ . انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي، دار النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ٦٩٦، والتفسير ورجاله، لمحمد بن عاشور، ص ١١١، ١١٢.

٢ . انظر: الموسوعة الإسلامية الميسرة، لكالمرز، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٥م، (١/

## المطلب الثاني

### الحالة الاجتماعية

ترتبط الحالة الاجتماعية بالحالة السياسية ارتباطاً وثيقاً، وليس الفصل هنا إلا من أجل الدراسة الأكاديمية فحسب، وذلك لأن المجتمع يتأثر تأثراً كبيراً بسياسة الحاكم، وفلسفة الدولة، ويتكون المجتمع العثماني من أجناس شتى، منهم: العرب، والأتراك، والأكراد، والروم، وديانات مختلفة وهم: المسلمون، واليهود، والنصارى.

وقد وصلت الدولة العثمانية في أوج عظمتها زمن السلطان سليمان الذي أصبح سيداً لعدة ممالك، وحاكماً لثلاث قارات، ومسيطرأً في بحرين هما: البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.

وبلغ تعداد الإمبراطورية العثمانية في تلك الفترة حوالي خمسين مليوناً من البشر، وهو عدد ضخم جداً إذا علمنا أن أغلب دول أوربا لم يكن يزيد تعدادها عن مليون نسمة، وأن انجلترا نفسها في تلك الفترة لم يكن تعدادها يتعدى خمسة ملايين نسمة<sup>(١)</sup>.

ومن ناحية الخدمات الاجتماعية لم تكن الدولة متكلفة بالخدمات الاجتماعية، بل كانت هذه الخدمات تدخل في اختصاص الوقف، وكان ركناً أساسياً في اقتصاد الدولة العثمانية، وعن طريقه نشطت الحركة العلمية في مساجد اسطنبول.

وكان المسجد في النظام العثماني معمارياً وإدارياً وحدة دينية وعلمية متكاملة، فيها الجامع والمدرسة والجامعة والمكتبة ومدينة الطلاب، والمطعم الخاص بهم، والمطعم الخيري العام، والحمام، ومدرسة الطب والمستشفى.

وكان لدى العثمانيين أوقاف كثيرة ومتعددة، فكانت هناك أوقاف خاصة بصرف مرتبات للعائلات اللاتي يصلن إلى سن الزواج، وأوقاف عامة للأكل المجاني تسمى وقف المطاعم الخيرية، وكانت تقدم أكلاً مجانياً لعدد يبلغ عشرين ألف شخص يومياً مجاناً، وكان مثل هذا في كل الولايات.

١ . انظر: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، لمحمد كمال الدسوقي، القاهرة دار الثقافة، ١٩٧٦م، ص ٦٢، ٦٣.

وكان رصف الطرق والفنادق المقامة على الطرق البرية في كل أرجاء الدولة العثمانية بما في ذلك المأكّل والمشرب والمبيت المجاني يصرف عليه من الأوقاف<sup>(١)</sup>. وقد تمتعت الهيئة الإسلامية بدخول إيرادية مرتفعة، وأسهمت الأوقاف بنصيب وافر في الإنفاق على النواحي الدينية المختلفة.

وكانت الأوقاف من السلطان أو من الأفراد العاديين كثيرة، ويخصص دخلها للإنفاق على المساجد والمدارس والمكتبات، أو على إنشاء وصيانة الجسور، أو للإنفاق الدائم على الملاجئ والمستشفيات، وكان شيخ الإسلام أو الوزير يشرف غالباً بنفسه على الأوقاف لأهميتها.

فقد لعبت إيرادات الأوقاف دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية والثقافية للدولة العثمانية، بدرجة جعلت المدن العثمانية خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي تصل إلى درجة عظيمة من التقدم والازدهار<sup>(٢)</sup>.

أما التجارة فقد أسهم أهل الذمة والأجانب في تنشيط الحركة التجارية في كافة أنحاء الدولة العثمانية، مما عاد إلى الخزينة المركزية بالأموال الوفيرة التي مكنت السلاطين العثمانيين من الإنفاق بسخاء على جيوشهم وحروبهم التي لم تنقطع<sup>(٣)</sup>.

وقد ازدهرت في أنحاء الدولة مدن كثيرة، وفي مقدمتها اسطنبول وبروسه وأدرنة وغاليبولي<sup>(٤)</sup>، وأسهم التجار المسلمون والنصارى على حد سواء في تنشيط الحركة التجارية، وأصبحوا ندّاً لتجار إيطاليا ذوي الشهرة القديمة، منذ بداية الفتوحات العثمانية وخلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، بل إنهم لم يلبثوا أن خلوا محلهم في أغلب المراكز التجارية بين الشرق والغرب، وازدهرت صناعة المنسوجات القطنية في الأناضول

---

١ . انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، لأحمد حرب، المركز المصري و الدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

٢ . انظر: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، لمحمد كمال الدسوقي، ص ٧٢.

٣ . انظر: المرجع السابق، ص ٧٥.

٤ . غاليبولي أو جاليبولي: تقع على ضفة بوغاز الدردنيل الذي هو الممر الوحيد بين بحر أوربا و بحر مرمرة، وتبعد عن مدينة أدرنة بمائة وأربعين كيلو متراً، وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي، انظر: تاريخ الدولة العلية، ص ١٢٦.

وصناعة الأصواف في أنقرة<sup>(١)</sup>، والمنسوجات الحريرية في اسطنبول وبروسه<sup>(٢)</sup>.  
وأما الواردات فاشتملت على الزيت والفراء من روسيا، والآلات من إنجلترا وفرنسا،  
وقد ساعد نهر الدانوب على سهولة النقل وتيسير حركة الاستيراد من أوروبا الوسطى  
والتصدير إليها<sup>(٣)</sup>.  
وبهذا يتضح لنا كيف بلغت الدولة العثمانية أعلى درجات التطور الحضاري،  
والاجتماعي، والاقتصادي، وأنها صارت تتأظر أمريكا اليوم، بل إنها تمثل أقوى دولة في  
العالم في تلك الحقبة.

- 
- ١ . أنقرة: مدينة قديمة تقع في قلب البلاد التركية، وهي العاصمة الحالية منذ الحرب العالمية الأولى، انظر: معجم البلدان، (١ / ٢٧١)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد، ص ١٢٩.
- ٢ . انظر: اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، لبرنارد لويس، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ص ٨٤.
- ٣ . انظر: حركة الإصلاح العثماني، لمحمد عبد اللطيف الجرواي، دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ، ص ٣١.

## المطلب الثالث

### الحالة الثقافية

#### أولاً: الحالة الدينية:

بعد سقوط الدولة العباسية أصبحت القسطنطينية قبلة العلماء، وموئل الأدباء، وملاذ الفضلاء، ومقصد النابهين في الفكر والصناعات والعمران، وأصبحت تموج بحركة فكرية عظيمة جاءت مزيجاً من عناصر متنوعة عربية وفارسية وبيزنطية، إذ أخذ علماءها عن العرب علومهم الدينية واللغوية، وأخذوا عن الفرس كثيراً من الأفكار الأدبية، والقواعد العقلية، والمناقشات المنطقية، وأخذوا عن البيزنطيين نظم الحكم، وشئون الدولة<sup>(١)</sup>.

وقد اهتم العثمانيون بالدين والعلم والعلماء، ويتجلى ذلك في إنشاء المدارس والاهتمام البالغ بها، واختيار النخبة الطيبة من العلماء في العالم الإسلامي لها، فاجتمع فيها مدرسون أفذاذ.

وقد أنشأ سليمان القانوني كليته الشهيرة باسطنبول، وهي عبارة عن أربع مدارس، منها: دار القراءة لتدريس القرآن الكريم بقراءاته ورواياته، كما أسس أيضاً المدارس السليمانية الأربع بمكة المكرمة على المذاهب الأربعة؛ يدرس فيها علماء مكة العلوم الشرعية.

وقد كان لهذه المدارس المنتشرة في البلاد العثمانية الإسلامية دور بارز، وأثر كبير في الحياة الدينية والعلمية، وازدهار العلوم الإسلامية، وقد نشأ فيها علماء أفاضل، ومشايخ كبار، قاموا بالتدريس والإفتاء والقضاء، والدعوة والإرشاد في جميع أنحاء الدولة العثمانية، والبلاد الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

١ . انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي، (٥ / ٦٩٣).

٢ . انظر: ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية، لسيد حسين باغجوان، (رسالة دكتوراه)، إشراف: محمود خفاجي،

١٤١٣هـ، جامعة أم القرى، (١ / ٣٢).

ويتميز المجتمع العثماني الأول بشدة تمسكه بالإسلام، ورغبته الشديدة في نشره، ومما يؤيد ذلك أن كثيراً من السلاطين العثمانيين حملوا لقب: (غازي)، فالسلطان عثمان المؤسس الأول حمل هذا اللقب، ثم تبعه السلاطين من بعده، والغازي كان يتمتع باحترام كبير، فهو المجاهد في سبيل الله، أو المدافع عن الحدود والثغور الإسلامية، حيث كان له شرف الجهاد أو إعلان الحرب على الكفرة تحت راية العقيدة الإسلامية<sup>(١)</sup>. ومما يدل على عناية العثمانيين بالناحية الدينية أنهم وكلوا التخطيط الإداري والتنفيذ منذ عهد مؤسس الدولة عثمان الغازي إلى علماء الدين.

وهذا الاهتمام واضح تمام الوضوح في وصية مؤسس الدولة لابنه أورخان الغازي، وهو على فراش الموت، حيث يقول فيها: (يا بني: إياك أن تشتغل بشيء لم يأمرك الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين مؤثلاً، يا بني: إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضاة الله جل جلاله، يا بني: لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة الحكم، أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا، وللإسلام نموت، وهذا يا ولدي: ما أنت أهل له)<sup>(٢)</sup>.

وكان العثمانيون يعتنون بالناحية الدينية، ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمر الدين والدولة، وكانت الأمور منوطة بالقاضي والمفتي الأكبر شيخ الإسلام<sup>(٣)</sup>. وكان منصب المفتي الأكبر في الدولة العثمانية من أعلى المناصب، ثم غدا يرتفع في السلطة حتى أصبح لقب شيخ الإسلام يطلق بالأخص على مفتي الآستانة الذي اكتسب أهمية دينية وسياسية لا نظير لها في البلاد الإسلامية، وصار شيخ الإسلام أكبر الشخصيات الدينية قاطبة، وأعلن عن سلطته ونفوذه في قوانين رسوم البلاط. وبأتي ترتيبه حسب تلك القوانين بعد الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) مباشرة، فكان شيخ الإسلام ينوب عن الرئيس في الاجتماعات الوزارية إذا غاب الرئيس عن حضور الاجتماع، وقد أصبح فيما بعد مساوياً له في الرتبة، بل وكان يتطلب من السلطان أن

١ . انظر: مقدمة تحقيق كتاب: نصره أهل الإيمان بدولة آل عثمان، لمحمد بن أبي السرور البكري، تحقيق: يوسف بن علي النقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م، ص٣٤.

٢ . العثمانيون في التاريخ والحضارة، لمحمد حرب، ص١٦، وابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية، (١/ ١٩).

٣ . انظر: الدولة العثمانية والغزو الفكري، لخلف بن دبلان بن خضر الوندناني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى،

يقوم بزيارته في بعض المناسبات، وكان عمله الرئيس إصدار الفتاوى حسب الشريعة الإسلامية في الشؤون السياسية العامة.

وكان يستشار في جميع الأمور السياسية ذات الشأن الخطير، فكانت الدولة لا تقدم على حرب دون صدور فتوى من شيخ الإسلام يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين، وقد بلغ من ازدياد سلطة شيخ الإسلام أنه كان يحق له إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه<sup>(١)</sup>.

ولهذا لا ضير أن تصل الدولة العثمانية إلى ما وصلت إليه من عظمة مستمدة من عظمة هذا الدين، وحملته، وعلمائه الذين هم ورثة الأنبياء، ويعد أبو السعود واحداً من هؤلاء العلماء العظماء.

### ثانياً: الحالة العلمية:

نجد لدى بعض المؤرخين أن العثمانيين والمماليك لم يهتموا بالعلم والعلماء، وذلك لأنهم لا يتكلمون العربية، ومن ثم فإنهم أهملوا العلماء، وهذا قول المتحاملين، كما سيتضح في الأسطر اللاحقة.

فقد اعتنى العثمانيون بالجانب العلمي وبروافده وخاصة التعليم، والاهتمام باللغة العربية علاوة على أن التركية هي لغة الدولة، وكان الحكام العثمانيون يحرصون على تقدير العلماء. وهناك عشرات بل مئات الشخصيات والأعلام الذين أسهموا في بناء الدولة العثمانية، وقد وضع السلطان محمد الفاتح لبنة رعاية العلماء والأدباء والاعتناء بهم، فكان لهم مكانة خاصة لديه، فقرّبهم ورفع قدرهم وشجعهم على العمل والإنتاج، وبذل لهم الأموال، ووسع لهم في العطايا ليتفرغوا للعلم والتعليم<sup>(٢)</sup>.

وتظهر رعاية الدولة للعلم بنشر المدارس والمعاهد في المدن الكبيرة والصغيرة، وكذلك القرى، وأوقفوا عليها الأوقاف العظيمة، ونظموها ورتبوها على درجات ومراحل، ووضعوا لها المناهج، وحددوا العلوم والمواد التي تدرس في كل مرحلة، ووضعوا لها نظام الامتحانات فلا ينتقل طالب من مرحلة إلى أخرى إلا بعد إتقانه لعلوم المرحلة

١ . انظر: استانبول وحضارة الامبراطورية العثمانية، لبرنارد لويس، ص ١٨٠، والموسوعة الإسلامية الميسرة، ترجمة: راشد البراري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م / (١ / ٥٤١ - ٥٤٥).

٢ . انظر: محمد الفاتح، لسالم الرشيد، مطبعة الإرشاد، جدة، ط ٣، ١٩٨٩م، ص ٣٨٩.

السابقة، ويخضع لامتحان دقيق، ومن ذلك ما كان من السلطان محمد الفاتح، الذي كان يتابع هذه الأمور، ويشرف عليها، وأحياناً يحضر امتحانات الطلبة، ويزور المدارس بين الحين والحين، ولا يأنف من استماع الدروس التي يلقيها الأساتذة، وكان يوصي الطلبة بالجد والاجتهاد، ولا يبخل بالعطاء للناخبين من الأساتذة والطلبة، وجعل التعليم في مدارس الدولة كافة بالمجان، وكانت المواد التي تدرس في تلك المدارس: التفسير، والحديث، والفقه، والأدب، والبلاغة، وعلوم اللغة من المعاني والبيان والبديع، والهندسة... الخ<sup>(١)</sup>.

وأولت الدولة عناية أيضاً بالمدارس التي كانت تعدّ الموظفين الدينيين، التي يوجد بها ثلاثة فئات من طلبة العلم: ف(الصوفيا)<sup>(٢)</sup>، وهي أدناها، تليها فئة المعيدين الذي يحمل الطالب عند التخرج منها لقب: (دانشمند) أو عالم، أما الفئة الأعلى فهي منصب المدرس، وبلغ عدد الصوفيا في عهد السلطان مراد الثاني (٩٠ ألفاً)، وكانوا كثيراً ما يكون لهم أثر في شؤون الدولة<sup>(٣)</sup>.

إن العلماء الذين عاشوا في الدولة العثمانية خلفوا مؤلفات كثيرة في مجال العلوم الإسلامية؛ كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والأدب، وهذا ما يظهر لنا قوة نمو العلوم الإسلامية، وتطورها باللغة العربية على الساحة العثمانية، وذلك من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري<sup>(٤)</sup>.

كذلك فقد اهتم العثمانيون بالعلم والمؤسسات العلمية وبالعلماء، وقد أقام أورخان بن عثمان<sup>(٥)</sup> أول جامعة إسلامية في الدولة العثمانية<sup>(٦)</sup>. قال طاش كبرى زاده: (وبنى

١ . انظر: محمد الفاتح، لسالم الرشيدى، ص ٣٨٩.

٢ . الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، لعلي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ١٥٥، ولم يذكر تفسيراً لكلمة: (الصوفيا)، ولكن يبدو من خلال السياق أن معناها: الطالب المبتدئ، حيث ذكر ثلاث فئات من طلبة العلم، أدناها الصوفيا.

٣ . انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٠٥.

٤ . انظر: ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية، لباجوان، (١/ ٢٨).

٥ . هو السلطان أورخان الأول ابن عثمان خان الغازي بن أرطغرل، مؤسس الأسرة العثمانية، اتصف بعلو الهمة والشجاعة والاقدام، ولد (سنة: ٦٨٠هـ)، وتولى السلطنة في (سنة: ٧٢٦هـ)، وعمره ٤٦ سنة، ومدة سلطنته ٣٥ سنة، وكانت عاصمته أولاً (يكي شهر)، ثم نقل مقر الحكومة إلى مدينة (بروسه)، لحسن موقعها، وقد اتخذ لنفسه لقب السلطان، وبذلك يكون أول العثمانيين في تلقيب نفسه بهذا اللقب، توفي (سنة: ٧٦١هـ)، انظر: القاضي أبو السعود وآراؤه الإعتقادية، للحلواني، (٢٦/١)، وقضاة مصر، للدميري، ص ٢١٤.

٦ . انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، لمحمد حرب، ص ١٦، ١٧.

السلطان أروخان مدرسة في بلدة إزنيق<sup>(١)</sup> وهي على ما سمعته أول مدرسة بنيت في الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup>.

(وأنشئت أول كلية للطب عند العثمانيين في عهد محمد الفاتح، وكان بجوارها مؤسسة كبرى باسم مستشفى الفاتح للأمراض العقلية، بها: (٧٠) حجرة، و(٨٠) قبة، و(٢٠٠) خادم، إلى جانب الأطباء المختصين)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كانت الدولة العثمانية منارة العلم، وقبله العلماء والمتقنين، ولا غرو أن يحظى أبو السعود بما حظي به، نظراً لمكانة العلماء في تلك الحقبة من الزمن.

---

١ . إزنيق أو إزنيك: هي مدينة بيزنطية تقع على بحيرة: (إزنيق)، شرقي بحر مرمرة، في التركية حالياً، وكانت تدعى: (نيقيا nicaea)، ولقد حاصرها السلطان أروخان سنتين حتى فتحها وسقط بسقوطها نفوذ الروم في آسيا الصغرى كلها، وأسس السلطان أروخان بهذه المدينة عدة مدارس وتكايا للقراء وجعل أكبر أولاده سليمان باشا حاكماً عليها وكانت من أهم المدن العثمانية في آسيا الصغرى، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ليلماز، ص ٣٨٨، وقضاة مصر، للدميري، ص ٢١٤.

٢ . الشقائق النعمانية، لطاش كبرى زاده، ص ٨، وانظر: تاريخ الدولة العثمانية، لعلي حسون، ص ١٢٨.

٣ . انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، لمحمد حرب، ص ٤٣.

**المبحث الرابع:**  
**التعريف بتفسير الإمام أبي السعود.**  
وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: التعريف بالكتاب.**

**المطلب الثاني: قيمته العلمية.**

**المطلب الثالث: مصادره في التفسير.**

**المطلب الرابع: منهجه في التفسير.**

## المطلب الأول

### التعريف بالكتاب

#### اسم الكتاب وصحة نسبته إلى مصنفه:

صرح أبو السعود في مقدمة تفسيره على أنه كان ينوي تأليف كتاب يفسر فيه القرآن الكريم، حيث قال: (عزمت على إنشاء ما كنت أنويه، وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه، ناوياً أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وإنعامه: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، وهذا دليل قاطع على نسبة هذا الكتاب إلى أبي السعود، بالإضافة إلى أن المؤرخين الذين ترجموا لأبي السعود نسبوا هذا التفسير إليه، إلا أنه حصل اختلاف بسيط في العنوان، ينبغي الإشارة إليه، فقد طبع بتغيير لفظة الكتاب: بلفظة القرآن، وربما يرجع سبب هذا التغيير في اللفظة إلى خطأ مطبعي، وقد غلب اشتهاؤه بالإضافة إلى اسم مؤلفه فعرف غالباً بتفسير أبي السعود<sup>(١)</sup>.

#### سبب تأليف الكتاب:

ذكر أبو السعود الأسباب والبواعث التي جعلته يقوم بهذا العمل في مقدمته قائلاً: (إن الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم، وما كان حرف منها مسطوراً، والحكمة الكبرى من تخمير طينة آدم، ولم يكن شيئاً مذكوراً، ليست إلا معرفة الصانع المجيد، وعبادة البارئ المبدئ المعيد، ولا سبيل إلى ذاك المطلب الجليل، سوى الوقوف على مواقف التنزيل، والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقريّة، وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر، وكنوز آثار التعاجيب والعبر، فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد، إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية، والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية، والكاشف عن خفايا حظائر القدس، والمطلع على خبايا الجن والإنس، وبه تكتسب الملكات الفاخرة، وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وأنه مع كونه متضمناً

١ . التفسير ورجاله، لمحمد بن عاشور، ص ١٣٣.

لدقائق العلوم النظرية والعملية، ومنطوياً على دقائق الفنون الخفية والجلية، حاوياً لتفاصيل الأحكام الشرعية، ومحيطاً بمناط الدلائل الأصلية والفرعية<sup>(١)</sup>.

ونستخلص من هذا الكلام أن الغاية من تأليف هذا الكتاب تتمثل في الآتي:  
غاية دينية، وهي رغبته في معرفة المنشئ لهذا الكون العجيب وعبادته، والتقرب إليه سبحانه وتعالى.

. التعمق في كلامه عز وجل، ومحاولة فهم خفاياه، وبيان ما غمض من ألفاظه ومشكله، وما أشكل من الآيات التكوينية.

. محاولة تعرف الأحكام الشرعية وتفصيلاتها، وفهم الفرائض الدينية والشعائر الإسلامية، ولا سيما أنه محترف لمهنة القضاء، وهذه المهنة تتطلب منه الاطلاع والتعمق في القضايا الشرعية الإسلامية، وذلك من خلال فهم كتاب الله وتفسيره.  
. وثمة غاية أخرى وهي أن يكون تفسيره جامعاً لما في تفسير الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وتفسير البيضاوي من الفوائد في ترتيب دقيق، مضيفاً إلى ذلك ما صادفه في غيرهما من أمهات التفسير، وما استنبطه عقله وفهمه من الحقائق والفوائد.

وقد عبر أبو السعود عن هذه الغاية حيث يقول: (ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما؛ يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق، وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق)<sup>(٣)</sup>.

١ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (٣/١، ٤).

٢ . هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، ولد في زمخش (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً، فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم)، فتوفى فيها، (سنة: ٥٣٨هـ)، أشهر كتبه: (الكشاف؛ في تفسير القرآن)، و(أساس البلاغة)، و(المفصل)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ١٧٨).

٣ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (٤/ ١).

## مدة تأليف الكتاب وتاريخه وحجمه:

لم يعرف أحد أنه أخرج تفسيره للناس دفعة واحدة، بل ذكروا أنه ابتداءً فيه، فلما وصل إلى آخر سورة: ص عرض له من الشواغل ما جعله يقف في تفسيره عند هذا الحد، فبيض ما كتب في شعبان سنة: (٩٧٣هـ)، أي: قبل مماته بتسع سنين، ثم أرسله إلى الباب العالي، فتلقاه السلطان سليمان خان بقبول حسن، وأنعم عليه بما أنعم، وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم، ثم تيسر له بعد ذلك إتمامه، فأنتمه بعد سنة، ثم أرسله إلى السلطان مرة أخرى بعد إتمامه<sup>(١)</sup>.

كما أن أبا السعود لم يشر إلى تاريخ بدء التأليف في هذا الكتاب، وإنما أشار إلى أنه شرع في تأليفه في أواخر حياته، حيث قال: (لما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال، ورأيت أن الفرصة على جناح القوات، وشمل الأسباب في شرف الشتات، وقد مسنى الكبر، وتضاءلت القوى والقدر، ودنا الأجل من الحلول، وأشرفت شمس الحياة على الأفول، عزمت على إنشاء ما كنت أنويه، وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه، ناوياً...، فشرعت فيه مع تفاقم المكاره عليّ، وتزاحم المشادة بين يدي<sup>(٢)</sup>).

ويقع الكتاب في خمسة أجزاء، وصفحاته متوسطة الحجم<sup>(٣)</sup>، قال عمر رضا كحالة: إنه طبع في مجلدين ضخمين، والنسخة التي اعتمدتها في هذه الدراسة طبعت بمكتبة الرياض الحديثة، بتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، وهي طبعة تخلو من تاريخ الطبعة، ورقمها، وعدد صفحات الجزء الأول: ٨٦٣ صفحة، والجزء الثاني: ٧٢٠ صفحة، والجزء الثالث: ٧٣٦ صفحة، والجزء الرابع: ٦٣١ صفحة، والجزء الخامس: ٦٠٠ صفحة، وبهذا يكون إجمالي صفحات الكتاب: (٣٥٥٠)، ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين صفحة مع الفهارس.

هذا بالإضافة إلى ١٥ صفحة تضمنت الآتي: عالم الروم أبو السعود العمادي، مناهج فهم القرآن، تفسير أبي السعود، منهج العمل، كلمة أخيرة للمحقق.

١ . انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٦، ٢٤٧).

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١/ ٦).

٣ . انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٣/ ٦٩٣).

## المطلب الثاني

### قيمه العلمية

تتضح أهمية تفسير أبي السعود وقيمه العلمية من خلال تقرّظ العلماء للكتاب وثنائهم عليه، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

قال منق: "وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأذهان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: (كم ترك الأول للآخر)"<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب الفوائد: "وقد طالعت تفسيره، وانتفعت به، وهو تفسير حسن، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشمّتل على فوائد وإشارات"<sup>(٣)</sup>.

وقال حاجي خليفة: "انتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار، لحسن سبكه، ولطف تعبيره، فصار يقال له خطيب المفسرين، ومن المعلوم أن تفسير أحد سواه بعد الكشف، والقاضي لم يبلغ إلى ما بلغه من رتبة الاعتبار، والحق أنّه حقيق به مع ما فيه من المنافي لدعوى التنزيه، ولا شك أنّه مما رواه طالع سعه"<sup>(٤)</sup>.

وقال أحد المستشرقين: "إرشاد العقل السليم.. ويعرف غالباً بتفسير أبي السعود العمادي الحنفي المتوفى سنة: (٩٨٢هـ . ١٥٧٤م) ... هو من أحسن التفاسير وأجمعها"<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضاً: "الذي هو أشهر تفسير بعد تفسير البيضاوي وكشاف الزمخشري"<sup>(٦)</sup>.

---

١ . انظر: الأمثال المولدة، لأبي بكر خوارزمي، (المتوفى: ٣٨٣هـ)، مجمع ثقافي، أبو ظبي، ط بدون، ١٤٢٤هـ، ص ١٧١.

٢ . العقد المنظوم، لمنق، ص ٤٤٤ .

٣ . الفوائد البهية، لأبي الحسنات، (٢/ ٨٢).

٤ . كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/ ٦٥).

٥ . اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لأدوارد فاندنيك، (المتوفى: ١٣١٣هـ)، مطبعة المدينة، السعودية، ط بدون، ص ٤١ .

٦ . المصنّد نفسه، ص ١١٦.

وقال سركييس: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ويعرف بتفسير أبي السعود... جمع فيه بين درر الكشف وغرر أنوار التنزيل، وأضاف إلى ذلك ما ألقاه في تصانيف الكتب من جواهر الحقائق فرغ من تأليفه سنة: (٩٧٣هـ)، طبع بجزئين في بولاق سنة: ١٢٧٥هـ، و ١٢٨٥هـ، وطبع بهامش مفاتيح الغيب لفخر الرازي<sup>(١)</sup> (٢).

ويقول الدكتور الذهبي في وصفه: "والحق أن هذا التفسير غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير"<sup>(٣)</sup>.

وكان الآلوسي<sup>(٤)</sup> يميل إلى ترجيح أقوال أبي السعود في أغلب المسائل المطروحة، كما نقل عنه كثيراً، حتى ليتمكن القول بأن شطراً كبيراً من تفسير أبي السعود ضمن في تفسير روح المعاني. من ذلك قول الآلوسي: "كذا قرره المولى أبو السعود . قدس سره . وهو من الحسن بمكان"<sup>(٥)</sup>.

---

١ . هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في إليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، (سنة: ٦٠٦هـ)، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه، (مفاتيح الغيب) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين)، وغيرها. انظر: **طبقات المفسرين**، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، (المتوفى: ٩٤٥هـ)، راجع النسخة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣هـ، (٢ / ٢١٥)، والأعلام، للزركلي، (٦ / ٣١٣).

٢ . معجم المطبوعات، لسركيس، (١ / ٣١٦).

٣ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١ / ٣٤٧).

٤ . هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة: ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر، سنة: ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهراً، وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته، ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي سنة: ١٢٧٠ هـ، من كتبه: (روح المعاني) في التفسير، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧ / ١٧٦).

٥ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، (٣ / ٣).

## المطلب الثالث

### مصادره في التفسير

اعتمد أبو السعود اعتماداً جلياً على كتابين جليلين، هما: العمدة في التفسير البلاغي واللغوي للقرآن الكريم، الأول: الكشف للزمخشري، والثاني: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، كما استقى تفسيره من أئمة التفسير البارزين، كالطبري<sup>(١)</sup>، وابن كثير<sup>(٢)</sup>، والقرطبي<sup>(٣)</sup>، وأبي حيان<sup>(٤)</sup>، والفخر الرازي، والواحدي<sup>(٥)</sup>، والثعلبي<sup>(٦)</sup>،

١ . هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، (سنة: ٣١٠هـ)، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له تصانيف مشهورة، منها، (جامع البيان في تفسير القرآن)، يعرف بتفسير الطبري، و(المسترشد)، و(أخبار الرسل والملوك)، وغيرها، انظر: طبقات المفسرين، لداوودي، (٢/ ١١٠)، والبداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، حققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، (١١/ ١٤٥)، والأعلام، للزركلي، (٦٩/٦).

٢ . هو الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، (سنة: ٧٠٠هـ)، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، (سنة: ٧٧٤هـ)، من كتبه، (تفسير القرآن العظيم)، و(البداية والنهاية)، و(طبقات الفقهاء الشافعيين)، و(جامع المسانيد)، و(الاجتهاد في طلب الجهاد)، وغيرها، انظر: شذرات الذهب، (٦/ ٣٣١، ٣٣٢)، والأعلام، للزركلي، (١/ ٣٢٠).

٣ . هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر)، وتوفي فيها، وكان عالماً كبيراً، ترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتاباً مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، و(التذكرة بأحوال الموتى)؛ أحوال الآخرة؛ (التذكار في أفضل الأذكار)، وغيرها، (توفي سنة: ٦٧١هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٥/ ٣٢٢).

٤ . محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفْزي، نسبة إلى نَفْزة قبيلة من البربر، نحويّ عصره ولغويّ ومفسّر ومحدّث ومقرّئه ومؤرخه وأديبه، ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة. وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبيدي وجماعة، من تصانيفه: (البحر المحيط) في التفسير، و(مختصره النهر)، و(التذيل والتكميل في شرح التسهيل)، وغيرها، توفي رحمه الله، سنة: ٧٤٥هـ، انظر: طبقات المفسرين؛ لداوودي، (٢/ ٢٨٧) والأعلام، للزركلي، (٧/ ١٥٢).

٥ . هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أبو الحسن، إمام في التفسير، وعالم بالأدب، له (البيسط)، و(الوسيط)، و(الوجيز)، كلها في التفسير، وأسباب النزول، توفي سنة: ٤٦٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٨/ ٣٣٩)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ٢٥٥).

وغيرهم، ومع ذلك فقد كان متميزاً مستقلاً برأيه، يتفق معهم، ويختلف، ويوافق ما ذهبوا إليه وينصف، في إطار فضاء فسيح من الاجتهاد المتميز والالتزام الدقيق، في تحليل وجوه المعاني، واستخراج دقائقها، وكشف النقاب عن أسرار جمالها وإعجازها.

وبعد تفسير أبي السعود من التفاسير الكبيرة والشاملة لشتى العلوم العربيّة والإسلامية؛ لذا استدعت الطبيعة الشموليّة لهذا التفسير أن يستقي أبو السعود مادّة تفسيره من موارد متنوّعة وكثيرة، وقد اختلف في اعتماده المصادر، فقد جعل من بعضها أساساً في مادّة تفسيره على حين استقى الشيء القليل من بعضها الآخر.

وقد صرّح في مقدّمة تفسيره باعتماده تفسيري: (الكشاف) للزمخشري، و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي، أساساً في دراسته، مع إشارته إلى أنّه زاد على ما فيهما من علم، وذلك ممّا قرأه أو وجده عند علماء آخرين، معللاً اختياره هذين التفسيرين من دونهما . أي ممّا تقدّم عليهما من تفاسير جليّة . بأنّ المتقدّمين (اقتصروا على تمهيد المعاني، وتشديد المباني، وتبيين المراد، وترتيب الأحكام، حسبما بلغهم من سيّد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام. وأمّا المتأخرون المدقّقون، فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة، وإبداء خباياه الفائقة؛ ليعاين الناس دلائل إعجازه... فدوّنوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمّن كلّ منها فوائد شريفة تقرّ بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة يتشّنف بها آذان الأذهان، لاسيّما (الكشاف) و(أنوار التنزيل)، المتفرّدان بالشأن الجليل والنعت الجميل، فإنّ كلّ منهما قد أحرز قصب السبق...<sup>(٢)</sup>، فكأنّه أراد أن أغلب تفاسير المتقدّمين اعتنت بالدرجة الأساس ببيان المعنى اللغويّ للألفاظ القرآنيّة، وصيغها الصرفيّة والأحكام الشرعيّة من دون الالتفات إلى الدلالات الخفيّة التي تكمن وراء المعنى الظاهر، والوقوف على الأسرار البلاغيّة من خلال نظم الألفاظ في السياق، وقد برز الزّمخشريّ في بيانه ذلك، وعنايته بما وراء النصّ من أسرار ودلالات.

وكان أبو السعود في أغلب الأحيان يصرّح بذكر أسماء الأعلام الذين أخذ عنهم آراءهم، أو أسماء كتبهم في كثير من النصوص المنقولة عنهم. وفي أحيان آخر لا يصرّح بأسمائهم أو كتبهم مكتفياً بالقول: (إنّه روي)، أو (قالوا)، أو ما شابه ذلك؛ فهو في أكثر

١ . هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور، له الكشف والبيان في تفسير القرآن، وعرائس المجالس في قصص الأنبياء، توفي (سنة: ٤٢٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٧/٤٣٥)، والأعلام، للزركلي، (١/٢١٢).

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١/٤).

الأحيان ينسب الرأي إلى صاحبه، وقد أورد<sup>(١)</sup> أعلاماً كثيرة ابتداء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين (رضوان الله تعالى عليهم)، وغيرهم من علماء الأصول والفقه والحديث واللغة والنحو، ممن نقل عنهم أو استقى منهم علمه، وهذا يعني أنه كان على قدر من الأمانة العلمية في ذكر مصادره.

وقد اعتمد على بعض المفسرين في نقل بعض القواعد النحوية كتقديم خبر ليس، فقال: (قال أبو حيان<sup>(٢)</sup>): وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها، ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة<sup>(٣)</sup>)؛ يعني قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

ونقل عن الزمخشري فقال: (قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>، إن قلت: كيف صح أن يقول لهم بشراً؛ وما عرفوا ما البشر، ولا عهدوا به؟، قلت: وجهه أن يكون قال لهم: إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت؛ ولكن حين حكاه اقتصر على الاسم<sup>(٦)</sup>).

وقد يجمع بين رأي اثنين من المفسرين في آن واحد، ثم يرجح ما يراه صحيحاً؛ كما في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾<sup>(٧)</sup>.

١ . انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١ / ١٠٧)، و(٢ / ٩٣، ١٩١)، (٥ / ٢٥٥)، وغير ذلك كثير.

٢ . هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النَّفْزِي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، سنة: (٦٥٤هـ)، ورحل إلى مالقة، وانتقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، سنة: (٧٤٥هـ)، بعد أن كف بصره، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات و (النهر) اختصر به البحر المحيط، و (مجاني العصر) في تراجم رجال عصره، ذكره ابن حجر في مقدمة الدرر، انظر: الأعلام، للزركلي، (١٥٣-١٥٢/٧).

٣ . انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٤ / ١٨٩).

٤ . سورة هود: الآية: ٨.

٥ . سورة ص: الآية: ٧١.

٦ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١ / ٨١).

٧ . سورة آل عمران: الآية: ٥٥.

## المطلب الثالث

### منهجه في التفسير

وصف الناشر تفسير أبي السعود فقال: (هو محاولة لإقناع العالم بتفاعل كلمات القرآن بعضها مع بعض تقديماً وتأخيراً، أو إجمالاً وتفصيلاً، حتى الحرف يؤثره القرآن دون غيره من الحروف، فينتج من هذا التفاعل فهم مذهل لآياته ومعانيه، فهو مع كل وجه من الوجوه يعطي معنى غير سابقه، وتكون النتيجة أن كلاماً يعطى مع التقديم والتأخير والإجمال والتفصيل والالتفات وغير الالتفات معاني كلها قمم من الإعجاز والقوة والرصانة لا يمكن أن يكون كلام بشر، فما من كلام البشر ما يعطى تلك الوجوه المتعددة مع الاحتفاظ بدرجة القوة والمتانة)<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن أبا السعود يتناول الآيات من حيث الإجمال والتفصيل، والتقديم والتأخير، والالتفات، والتفسير الإجمالي للمعاني العامة.

كما أنه أيضاً لم يكن مجرد ناقل عن السابقين، ف(هو ناقد فذ لآراء من سبقوه من علماء اللغة، فكثيراً ما تراه يرفض آراءهم ويقيم الدليل على أنها لا تليق بجزالة النظم الكريمة، ولا بسباق الأسلوب ولا سياقه)<sup>(٢)</sup>.

وبعد أبو السعود عالماً موسوعياً، فهو (عالم بفنون الإعراب القرآني، وآرائه السابقة، فتراه يعرضها كلها عرضاً سريعاً، ثم يبدأ في تحليلها، فيما رجح أحدهما أو بعضها، ثم يبدأ رحلته التحليلية الدقيقة صاعداً إلى قمة الإعجاز، فيدعك وقد احتواك الإيمان بالقرآن مع كل قطر من أقطارك لا تبغي به بدلاً، ولا بد من الإسلام ديناً)<sup>(٣)</sup>.

ليس هذا فحسب (فهو مع ذلك خبير بالقراءات المأثورة، يعرضها ليستنبط منها معاني للكلمات منفردة ومجموعة، ولا ينسى أبو السعود أن يتعرض لمذاهب الفقهاء في فهم القرآن واستنباط الأحكام منه، وهو يستوعبها أحياناً منذ عهد الصحابة إلى المجتهدين الأربعة وأصحابهم، وأحياناً يقتصر على مذاهب المجتهدين الأربعة بحيث

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١/ ز).

٢ . المرجع السابق، (١/ ز).

٣ . المرجع نفسه، (١/ ح).

يبرز رأي الحنفية بشيء من التفصيل والاحتجاج، مع تحقيق فاحص، وبحث دقيق قلَّ أن نجده في غيره من التفاسير<sup>(١)</sup>.

(ثم هو لا يغفل الآثار الواردة في أسباب النزول، أو الموضحة لبعض المعاني من الحديث الصحيح والأثر المروي عن الصحابة والتابعين، كما لا يغفل الوقائع التاريخية، فتراه يتعرض لها بشيء من التفصيل والبحث، ويورد آراء السابقين فيها دون تعرض لنقدها إلا فيما يتصل بدعاوى بني إسرائيل.

وقد عني كذلك بالناسخ والمنسوخ وتمحيص الرأي فيه، وبفضائل السور دائماً، والأذكار القرآنية أحياناً، فأورد في كل مناسبة حديثاً دون تخريج، ولكنها على أي حال لا تخرج عن دائرة الصحة والحسن)<sup>(٢)</sup>.

وقد اتَّبَعَ أبو السعود في تفسير الألفاظ القرآنية منهجاً واضحاً يكاد يكون موحّداً، يتَّضح سيره عليه من أول التفسير إلى آخره. ولم يشر أبو السعود في مقدّمته إلى طبيعة منهجه، أو طريقه في تفسيره الألفاظ والتراكيب، وقد تبين ذلك من خلال دراسة الكتاب.

وكان لموسوعة أبي السعود، ونظيرته الشمولية أثر في تداخل الموضوعات لديه باختلاف أنواعها من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، وفقه، وقراءات قرآنية، وعلوم قرآن؛ كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. ولم يفصل بينها. إلا أنه قد يورد موضوعاً منها قبل آخر أو يؤخره عليه بحسب ما يراه مناسباً، ولعلّ ما دعاه إلى ذلك هو الصلة الوثيقة بين هذه العلوم، فقد يستدعي الأمر في تفسير آية ما وبيان معناها، التوسّل بقرائن دلالية كالحالية. مثلاً. المتمثلة في ذكر أسباب نزول الآية، أو يعتمد المفسّر. أحياناً. إلى استعمال الناسخ والمنسوخ. وهو بصدد تفسير الآية. وذلك لتوضيح حكم شرعيّ معيّن، وما إلى ذلك. ويمكن أن نحصر سمات منهجه في الآتي:

١. إيراد المعنى اللغويّ للألفاظ، وسنراه بالتفصيل كل في موضعه.

٢. بعد إيراد المعنى الأصليّ للألفاظ ينتقل إلى ذكر القراءات القرآنية الواردة

فيها.

١. إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١/ ح).

٢. المرجع السابق، (١/ ح).

٣. اهتمامه بالإعراب، والتوجيه النحويّ للألفاظ لبيان الأحكام الفقهيّة أو الشرعية بحسب اختلاف القراءات.

٤. إيراد المعنى العامّ للآية أو التركيب، وهو المعنى الظاهر ومحاولة ربطه بالسياق اللفظيّ المتقدّم أو المتأخّر، أو السياق غير اللفظيّ، أي: في آية أخرى من سورة أخرى، وهذا جانب من جوانب تفسيره القرآن بالقرآن.

٥. اعتماده الكبير على القرائن الدلاليّة من سياق لفظيّ أو حاليّ أو عقليّ، وقد استعان في أغلب الأحيان بالسياقين: اللفظيّ، والحاليّ المتمثّل في أسباب النزول، وقصص الآيات.

٦. بعد انتهائه من بيان المعنى الأصليّ أو الوضعيّ وما يلحقه من تغييرات صرفيّة أو لغويّة، ينتقل إلى بيان المعاني المجازيّة والبلاغيّة من مجاز لغويّ؛ كالمرسل والاستعارات، أو مجاز عقليّ.

٧. يضع بعض العناوين الفرعية لآية أو جملة من الآيات كما في تفسير سورة الحج: حيث جعل: (الله يفصل بين الناس في الآخرة)<sup>(١)</sup> عنواناً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٨. إقلاله من رواية الإسرائيليات، فقد نص الدكتور الذهبي، على إقلاله من الإسرائيليات، غير مُولع بذكرها، وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بها، والقطع بصحتها، بل يُصدّر ذكر الرواية بقوله: روى، أو قيل، مما يُشعر بضعفها، وإن كان لا يُعقّب عليها بعد ذلك، ولعله يكتفي بهذه الإشارة<sup>(٣)</sup>.

١. إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٤/ ١٦).

٢. سورة الحج، الآية: ١٧.

٣. انظر: التفسير والمفسرون، لذهبي، (١/ ٢٤٩).

## **الفصل الثاني:**

### **التعريف بالإمام الخطيب الشربيني وعصره وتفسيره**

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني.**

**المبحث الثاني: مكانة الإمام الخطيب الشربيني العلمية.**

**المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام الخطيب الشربيني.**

**المبحث الرابع: التعريف بتفسير الإمام الخطيب الشربيني.**

## **المبحث الأول:**

### **التعريف بالإمام الخطيب الشربيني.**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: نسبه، ومولده، ونشأته.**

**المطلب الثاني: صفاته، وعقيدته، ومذهبه.**

**المطلب الثالث: وفاته.**

## المطلب الأول

### نسبه، ومولده، ونشأته

#### نسبه:

اتفق المؤرخون على اسم الإمام الخطيب الشربيني، ولكنهم اختلفوا في اسم أبيه، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

ذكرت بعض المصادر على أنه: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني المشهور بالخطيب الإمام العالم الشافعي القاهري<sup>(١)</sup>، بينما تذكر مصادر أخرى على أنه: شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح الخطيب الشربيني . رحمه الله تعالى . في خاتمة تفسيره بأن اسم أبيه هو أحمد حيث قال: (وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك؛ ثالث عشر صفر الخير، من شهور السنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة، على يد مؤلفه فقير رحمة الله ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب)<sup>(٣)</sup>.

ويخلص الباحث إلى أن اسم المصنف هو: الإمام العلامة شمس الدين<sup>(٤)</sup> محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي، الفقيه المفسر، المتكلم النحوي الصرفي.

---

١ . انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دون ط، (١١ / ٢٠٩)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢ / ١٨٧٥)، والأعلام للزركلي، (٦ / ٦)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢ / ٢٥٠)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٨ / ٢٦٩).

٢ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (١٠ / ٥٦١)، والتفسير والمفسرون؛ للذهبي، (١ / ٢٤٠).

٣ . السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ، (٤ / ٦١٩).

٤ . شمس الدين: هي صفة كما كان يتصف بها كثير من العلماء، وهذا اللقب في عصر المماليك البحرية، معروف بين القضاة، وكذلك بين الكتاب من القبط، فكان في عصر المماليك البحرية يخص كل من يسمى محمداً، وعند الكتاب من القبط يخص من يسمى عبد الله، انظر: قانون نامة آل عثمان، لخليل أوغلو، ص ١٠٨، انظر: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسين الباشا، مكتبة النهضة المصرية، ط بدون، ١٩٥٧م، ص ٣٦٠، ٣٦١.

أما لقبه الأسري فهو (الخطيب الشربيني)<sup>(١)</sup>، وهذا هو اللقب الذي عرفت به الأسرة كاملة، واشتهرت به بين أهل العلم قديماً وحديثاً، ويعتقد الباحث أن كلمة: (الخطيب) تعني أنه كان يخطب في الناس، شأنه في ذلك شأن كثير من الخطباء، كالخطيب القزويني<sup>(٢)</sup>، الذي كان يخطب في دمشق، والخطيب البغدادي<sup>(٣)</sup>، والخطيب الإسكافي<sup>(٤)</sup>، وغيرهم من الخطباء.

وربما أن الخطيب الشربيني، اشتهر بلقبه أكثر من اشتهاره باسمه، بدليل تسمية التفسير بتفسير الخطيب الشربيني. والشربيني: نسبة إلى شربين<sup>(٥)</sup>.

---

١ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (١٠ / ٥٦١)، والأعلام للزركلي، (٦ / ٦)، والتفسير والمفسرون، للذهبي، (١ / ٢٤٠).

٢ . هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دلف بن أبي دلف العجلي القزويني، جلال الدين أبو المعالي بن سعد الدين بن أبي القاسم ابن إمام الدين الشافعي العلامة، ولد (سنة: ٦٦٦هـ)، بالموصل، وسكن الروم مع والده وأخيه، واشتغل وتفقّه حتى ولي قضاء ناحية بالروم، وله دون العشرين، قال عنه: صاحب كشف الظنون: (المعروف بخطيب دمشق)، ولعل هذا سبب شهرته بالخطيب القزويني، توفي سنة: ٧٣٩هـ، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٨، ٩، وكشف الظنون، لحاجي خليفة، (١ / ٢١٠).

٣ . هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، مولده في (غزوة) - بصيغة التصغير - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، سنة: ٣٩٢هـ، ومنشأه ووفاته ببغداد، سنة: ٤٦٣هـ، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد فقرّبه رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي)، وعرف قدره، كان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتاباً من مصنفاته، من أفضلها (تاريخ بغداد) أربعة عشر مجلداً، و(البخلاء)، و(الكفاية في علم الرواية) في مصطلح الحديث، و(الفوائد المنتخبة) حديث، و(الجامع، لأخلاق الراوي وآداب السامع)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (١ / ١٧٣، ١٧٢).

٤ . محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله، عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافياً، ثم خطيباً بالري. من كتبه (مبادئ اللغة) و (نقد الشعر) و (درة التنزيل وغرة التأويل) في الآيات المتشابهة، و (غلط كتاب العين) و (الغرة) في بعض ما يغلط به أهل الأدب، و (لطف التدبير) ببغداد، في سياسة الملوك، (توفي سنة: ٤٢٠هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦ / ٢٢٨، ٢٢٧).

٥ . شربين: هي مدينة في مصر، في محافظة الدقهلية، على فرع دمياط، تعتبر سابقاً قرية في مدينة الغربية، ومركزاً من مراكزها، انظر: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، لعلي باشا مبارك، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، مصر المحمية، ط ١، ١٣٠٦هـ، ص ١٢٧.

والشافعي: نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى، فهو من علماء المذهب في القرن العاشر، ومصنفاته الفقهية في مذهب الشافعي معتمدة عند متأخري الشافعية، مثل: مغني المحتاج، والإقناع، وغير ذلك من كتب المصنف التي ستأتي الإشارة إليها لاحقاً عند الحديث عن مصنفاته، إن شاء الله تعالى، وأما القاهري فهو: نسبة إلى القاهرة التي سكن بها.

### أسرته:

لا نعلم شيئاً عن أسرة الخطيب الشربيني، وذلك لأن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى أحد من أسرته، إلا ما ذكره الشربيني في خاتمة تفسيره، حيث يقول: (فنسأل الله الكريم الذي به الضر والنفع، والإعطاء والمنع، أن يجعله لوجهه خالصاً، وأن يمدني بحسن المعونة، وأن يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء، وأن يتجاوز فرطاتي يوم التتاد، ولا يفضحني على رؤوس الأشهاد، أنا ووالدي وأولادي...) (٢). ويتضح من هذا النص أنه تزوج وأنجب، ولكننا لا نعلم عدد أبنائه، سوى أنهم أكثر من واحد، ولم تشر المصادر التي بين يدي الباحث إلى شيء من ذلك كما ذكرنا، ولكن المحبي<sup>(٣)</sup> أورد اسماً في تاريخه يظهر منه أن عبد الرحمن بن محمد الخطيب<sup>(٤)</sup> هو ابن الخطيب الشربيني، وقد ذكر أنه أخذ عن أبيه.

---

١ . هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي بن عبد المطلب بن عبد مناف وينسب إلى شافع، فيقال له: الشافعي، كما ينسب إلى عبد المطلب، فيقال: المطلب، كما ينسب إلى مكة لأنها موطن آبائه وأجداده فيقال له: المكي، إلا أن النسبة الأولى قد غلبت عليه. ولد بمدينة غزة بفلسطين، حيث خرج والده إدريس من مكة إليها في حاجة له، فمات بها وأمه حامل به، فولدته فيها ثم عادت به بعد سنتين إلى مكة. حفظ القرآن بها في سن السابعة وحفظ موطأ مالك في سن العاشرة. اختلط بقبائل هذيل الذين كانوا من أفصح العرب فاستفاد منهم، وحفظ أشعارهم، وضرب به المثل في الفصاحة. تلقى الشافعي فقه مالك على يد مالك. وتفقّه بمكة على شيخ الحرم ومفتيه مسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وغيرهما من العلماء. ثم رحل إلى بلدان منها: اليمن والعراق، ثم رحل الشافعي بعدها إلى مصر مرتين، وأقام بها إلى أن توفي فيها (سنة: ٢٠٤هـ)، وضريحه بها مشهور، انظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٢٦).

٢ . السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٤/ ٦١٩).

٣ . هو محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي، الحموي الأصل، الدمشقي: ولد سنة: ١٠٦١هـ، مؤرخ، باحث، أديب، عني كثيراً بترجم أهل عصره، فصنف: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط)، و(نفحة الريحانة ورشحة طلى الحانة، خ)، ولد في دمشق وسافر إلى الآستانة وبروسية، وأدرنة ومصر، وولي القضاء في القاهرة، وعاد إلى دمشق، فتوفي فيها (سنة: ١١١١هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦/ ٤١).

٤ . هو أحد أبناء الخطيب الشربيني وستأتي ترجمته عند الحديث عن تلاميذ الخطيب الشربيني.

وتعليل ذلك في نظر الباحث أن الخطيب الشربيني كان من أسرة فقيرة غير معروفة ليس لها سبق في ميدان العلم، فإن الناس يعرفون إما بعلمهم كما عرف هو بعلمه، وإما بالمال كما يحصل لكثير من الأغنياء.

#### مولده:

لم يذكر المؤرخون الذين ترجموا للخطيب الشربيني شيئاً عن تاريخ مولده، أو مكانه، ويبدو أنه ولد في الربع الأخير من القرن العاشر، لأنه أخذ عن علماء توفوا في تلك الفترة، منهم: شيخه زكريا الأنصاري<sup>(١)</sup> الذي توفي سنة: (٩٢٦هـ)، وهي أقدم وفاة وجدت لها لشيخ من شيوخه، حسب علمي، والله أعلم.

#### نشأته:

كذلك لا نعلم شيئاً عن نشأته، وليس لدينا معلومات عن طفولته، ونشأته الأولى، إذ لم يذكر أحد من الذين ترجموا له شيئاً عن ذلك، وأقصى ما يمكن قوله هو أنه قد نشأ في شربين، وهي مدينة بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى تعليمه على يد أكابر الشيوخ في الفقه واللغة والنحو والتفسير والبلاغة<sup>(٢)</sup>.

١ . ستأتي ترجمة زكريا الأنصاري عند الحديث عن مشايخ الخطيب الشربيني إن شاء الله تعالى.

٢ . انظر: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني، هيئة الكتاب، ط ١٤٢٦هـ، (١/ ٣).

## المطلب الثاني

### صفاته، وعقيدته، ومذهبه

#### صفاته:

كان الخطيب الشربيني - رحمه الله تعالى - ذا أخلاق فاضلة، وصفات رفيعة، وقد أثنى عليه من ترجم له، وذكروا خصاله الحسنة، وسيرته الكريمة، ولم يذكر فيه قبح أو زلة، كما ذكرت المصادر أيضاً أنه على جانب كبير من التقوى والورع والزهد، وفي الكواكب السائرة: (وكان من عادته أن يعتكف من أول رمضان، فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد، وكان يكثر من تلاوة القرآن، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف)<sup>(١)</sup>.

كذلك فقد وصفه أهل مصر بكثرة التمسك، وكان شديد الحياء، وكان يحب الاشتغال بالعلم والعمل به، وتعليمه للناس، ولا يرى إلا في مطالعة علم أو صلاة، أو قراءة أو صيام، متفكراً في أهوال يوم القيامة، وكان حافظاً للسان فلم يذكر أحداً بسوء، ولا يحسد أحداً على ما آتاه الله، من علم أو مال أو إقبال من الأكابر، ولا غير ذلك من رعونات<sup>(٢)</sup> النفس، وكان حافظاً لجوارحه مقبلاً على الله، وكان يؤثر الناس في مأكله ومشربه، فيقدم إطعامهم<sup>(٣)</sup>، وكان يستخدم علمه في كل الظروف، فكان حركة لا تهدأ، وما كان يجري وراء الدنيا ولا يتهافت على المناصب، ولا يقف بأبواب الحكام، وكان فطرته التي صقلتها دراسته الدينية من أنقى الفطر وأطهرها، وكان يؤثر على نفسه فقد كان يحاول دائماً أن يكون من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة<sup>(٤)</sup>.

١ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣ / ٧٢)، وانظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (١٠ / ٥٦١).

٢ . الأرعن: هو الأهوج في منطقته، المسترخي، والرعونة: هي الحمق والاسترخاء في الكلام، انظر: المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، (١ / ٢٧٠)، ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، (١٣ / ١٨٢).

٣ . الخطط التوفيقية، لعلي مبارك، (١٢ / ١٢٧).

٤ . انظر: مناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

وإن من أبرز صفاته: التواضع والاعتراف لأهل الفضل، ومن أمثلة ذلك: قوله: (وقد تلقيت التفسير . بحمد الله . من تفاسير متعددة، رواية ودراية، عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت آثارهم)<sup>(١)</sup>، وهذه شيمة العلماء الأعلام: أنهم يعترفون بالفضل لأولي الفضل فلا ينقصهم الاعتراف بل يزيدهم فضلاً ورفعة<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان في سفر لا يركب الدابة إلا بعد تعب شديد، وهذا من تواضعه، كما كان على جانب كبير من الإيثار، وتعليم الناس الخير، فإذا خرج مع الحجاج أخذ يعلمهم المناسك، وآداب السفر، ويحثهم على نفسه، وبالجمله كان آية من آيات الله تعالى، وحجة من حججه على خلقه<sup>(٣)</sup>.

كذلك وصف الخطيب الشربيني بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة، ومع إقباله على الطاعة والزهد في الدنيا، والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه، وكان كثير التواضع، شديد الحياء، على علم جم، وفضل كبير، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف، وكان كثير النشاء على شيوخه، ولم يذكر أحدا بسوء، ولا يعيب أحداً، وكان لا يكثر بأشغال الدنيا، فلا يسعى إلى شيء فيه رئاسة، ولا يزاحم أحداً من الولاة والقضاة، بل ربما لا يعرف أحداً منهم.

وكان كثير الزيارة لقبر رسول الله ﷺ، يستخير ربه في الروضة الشريفة إذا هم بأمر من الأمور، فلم يكتب حرفاً في كتابه مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، إلا بعد أن ذهب إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى ركعتين بنية الاستخارة في الروضة الشريفة<sup>(٤)</sup>.

١ . انظر: السراج المنير، للشربيني، (١ / ٣).

٢ . انظر: مناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم، ص ٢٦٢.

٣ . الكواكب السائرة، للغزي، (٣ / ٨).

٤ . انظر: شذرات الذهب، للبغدادي، (١ / ٣٨٤)، والإقناع، للشربيني، (٣ / ٤).

## عقيدته:

كان الخطيب الشربيني . رحمه الله . على عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث ذكر في مقدمة الكتاب أنه على نهج السلف وأنه اقتدى بهم في تفسيره؛ حيث يقول: (وقد ألف أئمة السلف كتباً في معرفة أحكامه، ونزوله كل على قدر فهمه، ومبلغ علمه، فشكر الله تعالى سعيهم، ورحم كافتهم، ثم خطر لي أن أقتفي أثرهم، واسلك طريقهم)<sup>(١)</sup>.

وقال الزرقاني<sup>(٢)</sup>: "ويعتبر كتاب السراج المنير من أهم كتب التفسير بالرأي، ومن أهم مؤلفات أهل السنة في التفسير"<sup>(٣)</sup>، وقد سار الإمام الشربيني . رحمه الله . في تفسيره على منهاج التأويل لبعض آيات الصفات، وكثيراً ما كان يقرر مذهب أهل السنة، ومذهب المعتزلة<sup>(٤)</sup> عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقاط النزاع بينهم مع ترجيح مذهب أهل السنة<sup>(٥)</sup>.

١ . السراج المنير، للخطيب الشربيني، (١/ ٣، ٤).

٢ . هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، عمل بكلية أصول الدين مدرساً لعلوم القرآن والحديث، مات بالقاهرة، سنة: ١٣٦٧هـ، من كتبه، (مناهل العرفان في علوم القرآن)، انظر، الأعلام، للزركلي، (٢١٠/٦).

٣ . مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٣، دون تاريخ، (٢/ ٦٥).

٤ . المعتزلة: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل، والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية، أساس نشأتهم اختلاف واصل بن عطاء مع أستاذه الحسن البصري في حكم مرتكب الكبيرة، وتبعه عمرو بن عبيد في رأيه وكان هذا في البصرة وانتشر مذهبهم في العراق، واعتنقه بعض خلفاء بني أمية كما اعتنقه بعض الخلفاء العباسيين، وكان لهم في العصر العباسي مدرستان، إحداهما بالبصرة والثانية ببغداد وقام بين المدرستين جدال وخلاف في كثير من المسائل، والواقع أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية وقد نتج ذلك عن التأثير بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، انظر: الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، ط، بدون، ت، بدون، (١/ ٤٣)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، (١/ ٦٥، ٦٤)، وتبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (ت: ١٤٢٩هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٣م، ص ٢٩٩، ٢٩٨.

٥ . انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، (٣/ ١٢١٧).

وقد تصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء المعتزلة وغيرهم، مظهراً مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك كله، وسيأتي هذا واضحاً في الدراسة المقارنة بإذن الله تعالى.

### مذهبه:

الشيخ الخطيب الشربيني كما جاء في مقدمة تفسيره شافعي المذهب<sup>(١)</sup>، يعتمد في الفقه والأحكام على المذهب الشافعي بصورة رئيسة، وقد سبقت الإشارة إلى أن كتبه معتمدة في الفقه الشافعي لدى المتأخرين من أئمة هذا المذهب، وقد أكد المؤرخون ذلك بقولهم: "الخطيب الشربيني فقيه شافعي"<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ في تفسيره أنه إذا أتى على الآيات التي فيها أحكام ذكر أقوال أهل العلم في معناها، وما يتعلق بها من قضايا فقهية، وهو في كل ذلك قد يحقق الأقوال، ويرجح، ولكن نلاحظ أنه يميل غالباً للمذهب الشافعي، وسنرى ذلك بصورة أوضح في الدراسة المقارنة من هذه الأطروحة، بإذن الله تعالى.

وأما عن اختياره للمذهب الشافعي فيعتقد الباحث أن ذلك جاء نتيجة للبيئة التي نشأ فيها والعلماء الذين تلقى منهم، ودرس عليهم، ولا سيما أن مصر هي بيئة الإمام الشافعي، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن نسب الخطيب الشربيني.

١ . السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٢/٣، ١).

٢ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (١٠ / ٥٦١)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢ / ٢٥٠).

## المطلب الثالث

### وفاته

بعد حياة مملوءة بالنشاط العلمي الدؤوب، من تدريس وتأليف قضاها الخطيب الشربيني اختاره الله تعالى إلى جواره بعد عصر يوم الخميس، وهو الثاني من شهر شعبان، سنة: سبع وسبعين وتسعمائة، وقد اتفقت أغلب المصادر التي تأتي لي الاطلاع عليها على سنة وفاته<sup>(١)</sup>.

وقد انفرد أحد المؤرخين برأي يخالف ما سبق ذكره، حيث يذكر الغزي<sup>(٢)</sup> أن الخطيب الشربيني . رحمه الله تعالى . توفي في الثامن من شعبان، سنة تسعمائة وسبع وسبعين للهجرة<sup>(٣)</sup>، والملاحظ أن هذا الرأي يخالف الآراء السابقة، إلا أن المدة يسيرة وهي سبعة أيام، ولا يعد الخلاف كبيراً.

وهناك مصادر أخرى تذكر تاريخ وفاة الخطيب الشربيني . رحمه الله تعالى . فتنص على التاريخين: الهجري والميلادي، حيث تشير إلى أنه توفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان، سنة: سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة، وهو يوافق سنة سبعين وخمسمائة وألف من الميلاد<sup>(٤)</sup>.

غير أنه رحمه الله لم يحظ بما حظي به الإمام أبو السعود من الاحتفاء؛ فلم نعثر على شيء من المراثي على نحو ما تم عرضه في وفاة أبي السعود، وهكذا هو الحال السواد الأعظم من المخلصين الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا.

---

١ . انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢/ ١٨٧٥)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (١٠/ ٥٦٢)، والتفسير

والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤١).

٢ . سبقت ترجمته: ص ٥.

٣ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٧٣).

٤ . انظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٦).

**المبحث الثاني:**

**مكانة الإمام الخطيب الشربيني العلمية.**

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: طلبه للعلم.**

**المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.**

**المطلب الثالث: مؤلفاته وأثاره العلمية.**

**المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.**

## المطلب الأول

### طلبه للعلم

#### طلبه للعلم:

بعد قيام دولة المماليك<sup>(١)</sup> في مصر، وأصبحت القاهرة هي دار الخلافة، وجاء إليها العلماء من كل مكان فراراً من الظلم، وللتجمع العلمي الذي صار فيها بعد سقوط بغداد، فكثر الرحلة إليها، وقلت الرحلة في طلب العلم إلى سواها.

ومن خلال اطلاع الباحث على كتب المؤرخين والمترجمين للخطيب الشرييني كالكوكب السائرة، وشذرات الذهب، والأعلام للزركلي، والتفسير والمفسرون، وغيرها نجد أن هذه التراجم مختصرة جداً لا تسعف الباحث بما يطمع فيه من التفاصيل الخاصة بطلب الخطيب الشرييني للعلم، على نحو ما وجد في ترجمة أبي السعود.

وعلى كل فإن المصادر التي تسنى للباحث الاطلاع عليها لم تشر إلى كيفية تلقي الإمام الشرييني للعلم، ويبدو أنه تعلم في مصر، وأخذ العلم من علماء أجلاء، وأصبح من المفسرين المشهورين، المهتمين بعلوم الفقه واللغة، حيث كانت مصر منارة

---

١ . المماليك: هم أولئك الرقيق الذين درج بعض الحكام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة، وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين أشداء، استطاعوا فيها في ما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر، وأحياناً الشام، والحجاز، وغيرها، قرابة ثلاثة قرون، (٦٤٨-٩٢٢هـ)، المماليك البحرية أغلبهم من الترك والمغول، جلبهم الأيوبيون وأسكنوهم في جزيرة الروضة بالنيل، ولذلك سموا البحرية، حكموا من (سنة: ٦٤٩هـ) إلى (سنة: ٧٨٤هـ)، وكانت بدايتها بوفاة السلطان الصالح أيوب، في شعبان، سنة: ٦٤٨هـ، انظر: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، لأحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، ت: ٨٤٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨م، (٣/ ٤١١)، **وتحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك**، لإبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي، توفي: ٧٨٥هـ، تحقيق: عبد الكريم محمد الحمداوي، ط٢، ص٧٨، **والمماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام**، لشفيق جاسر أحمد محمود، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية والعشرون، العددان الواحد والثمانون، والثاني والثمانون، المحرم جمادى الآخر، ١٤٠٩هـ، ص١٠٧.

للعلم والمعرفة، ومركز الوافدين من علماء المسلمين الذين ضاقت به قبضة التتار<sup>(١)</sup> في بغداد فهاجروا في طلب العلم وتعليمه.

وكما تبين فإن الخطيب الشربيني . رحمه الله تعالى . من أهل القاهرة، وعالم بارز من علماء القرن العاشر، ولم تذكر المصادر أنه رحل خارج القاهرة لطلب العلم، إلا ما ذكر من أنه سافر إلى الحج عدة مرات، فزار الحرمين الشريفين، ولم يذكر أنه أخذ من أحد من علمائها.

كذلك لم يذكر أنه أخذ العلم من أحد من أصحاب المذاهب غير مذهب الشافعي، فكل شيوخه شافعية، وكلهم من أهل القاهرة، وعلى هذا فالخطيب الشربيني قد طلب العلم في القاهرة متنقلاً بين مساجدها ومدارسها وعلمائها، إلى أن برز في العلم وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلق كثير، كما بادر إلى التأليف في فنون كثيرة، مثل: الفقه والتفسير والعقيدة، واللغة وغير ذلك.

وكما سبق فإن الخطيب الشربيني نهل من شتى العلوم والمعارف حتى أصبح علماً من أعلام مصر، ومفسراً من أشهر المفسرين والمهتمين بعلوم الفقه واللغة، وكان للإمام الشربيني مكانة عظيمة في حياته العلمية، وأنس منه شيوخه، ورأوه أهلاً للفتوى والتدريس فأجازوه بها، فدرس وأفتى في حياتهم<sup>(٢)</sup>، وانتفع به خلائق لا يحصون<sup>(٣)</sup>.

---

١ . التتار: هم قبائل كبيرة، يمثلون شعباً بدوياً، عاشوا رعاة على السهول في الهضبة الآسيوية، هضبة منغوليا التي تمتد من أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت، وشرقي تركستان، معظمهم من الوثنيين، ومن عبدة قوى الشر؛ كالجن والشياطين، وتنتشر عندهم الإباحية، وقد عرفوا في حروبهم باللؤم والغدر، ونقض العهود، وإراقة الدماء وسلب كل شيء، والعدوان على الأعراض، والتتار هم المغول أنفسهم، وهذا من واضح من النص السابق، في قوله: هضبة منغوليا، انظر: المغول (التتار)، بين الانتشار والانكسار، لعلي محمد محمد الصلابي، الأندلس الجديدة، مصر، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٨، وموجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، لأحمد معمر العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ص٢٨٤.

٢ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٧٢)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (١٠/ ٥٦٢).

٣ . انظر: معجم المطبوعات العربية، لسركيس، (٢/ ١١٠٨)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٢/ ٢٦٩).

## المطلب الثاني

### شيوخه، وتلاميذه

#### شيوخه:

تبين مما سبق أن الخطيب الشربيني . رحمه الله تعالى . نشأ في القاهرة، وتلقى العلم فيها على أيدي علمائها في الفقه والتفسير واللغة والقراءات، والنحو والعقيدة، وغيرها، وقد حاولت أن أتتبع أسماء شيوخه فوجدتهم قلة، ولعل الذي لم أجد لهم ذكراً أكثر من ذلك، وكذلك لم نجد لبعضهم ترجمة، أما الذين حصلت على ترجمتهم فمنهم:

#### ١. القاضي زكريا الأنصاري:

هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى شيخ الإسلام، قاض، مفسر، من حفاظ الحديث، أصله من بلدة سنيكة<sup>(١)</sup>، ولد فيها سنة: ٨٢٣هـ، وتعلم في القاهرة، وكف بصره سنة: ٩٠٦هـ، رحل إلى القاهرة، ودرس في الجامع الأزهر، وأخذ الكثير من العلوم، وبرع في الفقه والتفسير والقراءات والحديث وغيرها.

نشأ فقيراً معدماً، قيل: كان يجوع في الجامع، فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ. فيغسلها ويأكلها، ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئین عليه علماً ومالاً، وبعد أن صار أهلاً للإفتاء والتدريس، أجازة شيوخه، فأفتى ودرس وألف إلى أن وصل منصب رئيس القضاة، فكان موفقاً في أقضيته، وكان . رحمه الله . قوياً شجاعاً، صادعاً بكلمة الحق، فعندما كان في رئاسة القضاء فشا ظلم السلطان الغوري<sup>(٢)</sup>،

---

١ . سنيكة، بالسين المهملة فنون ساكنة موحدة فكاف، هي قرية من قرى مصر، بين بلييس والعباسة، انظر: معجم البلدان، للحموي، (٣/ ٢٧٠).

٢ . سماه ابن طولون جندب وجعل قانصوه لقباً له نسبة إلى طبقة الغور أحد الطبقات التي بمصر معدة لتعليم المؤدبين قال طولون كان مولده في حدود (٨٥٠هـ) في المناصب حتى صار نائب طرسوس فأنترعها منه جماعة السلطان يوم الإثنين مستهل شوال، سنة: ٩٠٦هـ، وبويع بحضرة الخليفة في قلعة الجبل وأقام سلطاناً خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وكان ذا رأي وفطنة كثير الدهاء والعسف قمع الأمراء وأذل المعاندين حتى

وينصحه حتى يصرح أحياناً بظلم الغوري، وهو موجود في المسجد فعزله السلطان، وأفاد منه طلبة كثيرون، منهم: الخطيب الشربيني، فكان لا يمل من التدريس ومذاكرة العلم<sup>(١)</sup>.

(وبالجملة فقد صار أمثل أهل زمانه، وأرأس العلماء من أقرانه، ورزق البركة في عمره، وعلمه، وأعطى الحظ في مصنفاته وتلاميذه، حتى لم يبق بمصر إلا طلبته وطلبة طلبته، وقرئ عليه شرحه على البهية سبعاً وخمسين مرة، حتى أتم تحرير، ولم ينقل ذلك عن غيره من المؤلفين)<sup>(٢)</sup>.

له تصانيف كثيرة منها: فتح الرحمن في التفسير، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وشرح ألفية العراقي، وفي مصطلح الحديث له شرح شذور الذهب في النحو، وغيرها، توفي . رحمه الله تعالى . في شهر ذي القعدة سنة: ٩٢٦هـ، وصلي عليه بالجامع الأزهر<sup>(٣)</sup>.

## ٢. الإمام شهاب الدين البرلسي:

هو أحمد الشيخ الإمام العلامة المحقق، شهاب الدين أحمد البرلسي الشافعي الملقب بعميرة، كان عالماً زاهداً ورعاً حسن الأخلاق، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشافعي، أخذ العلم من عبد الحق السنباطي<sup>(٤)</sup>، وإبراهيم بن أبي شريف<sup>(٥)</sup>، والشيخ نور

---

اشتد ملكه وهيبته فهادنه الملوك وأرسلت قصادها إليه الملك الهند والصين والمغرب، انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (١٥٩/١٠)، وقضاة مصر، للدميري، ص ١٦٠.

١ . انظر: الأعلام، للزركلي، (٤٦/٣).

٢ . شذرات الذهب، للحنبلي، (٨ / ٢٣٦).

٣ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٨ / ٢٣٦)، الكواكب السائرة، (٣ / ١٢٣)، انظر: البدر الطالع، للشوكانبي، (١ / ٢٥٢)، والأعلام، للزركلي، (٣ / ٤٦)، ونظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي، المكتبة العلمية، بيروت، ط بدون، ص ١١٣، والأعلام، للزركلي، (٣ / ٤٦).

٤ - هو شرف الدين عبد الحق بن محمد السنباطي، ولد ( سنة: ٨٤٢هـ )، بسنباط ومات في مكة المكرمة، سنة: ٩٣١هـ، انظر: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني، ( المتوفى: ١٣٨٢هـ )، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، (٢ / ١٠٠).

٥ . هو إبراهيم بن أبي بكري بن علي بن أبي شريف، برهان الدين بن أبي إسحاق الشافعي، ولد سنة: ٨٣٦هـ، وتوفي سنة: ٩٢٣هـ، من تصنيفاته: شرح الإعراب عن قواعد الإعراب في النحو، وشرح البهجة الوردية، انظر: هدية العارفين، للبغدادي، (١ / ١٤).

الدين المحلي<sup>(١)</sup>، وغيرهم، وقام بالتدريس والإفتاء إلى أن أصابه الفالج<sup>(٢)</sup>، ومات به، سنة: ٩٥٧هـ<sup>(٣)</sup>.

### ٣. الشيخ شهاب الدين الرملي:

هو أحمد الشيخ العلامة الناقد الجهيز الفهامة، شيخ الإسلام شهاب الدين الرملي، المنوفي<sup>(٤)</sup> المصري الأنصاري الشافعي، ولد سنة: ٩١٩هـ، وهو من أجل العلماء في زمانه، وهو أحد تلاميذ الشيخ زكريا الأنصاري المذكور آنفاً، قال نجم الدين الغزي: (وكان مقدماً عنده حتى أذن له أن يصلح في مؤلفاته في حياته، وبعد مماته، ولم يأذن لأحد سواه في ذلك، وأصلح عدة مواضع في شرح البهجة، وشرح الروض)<sup>(٥)</sup>، وهي للقاضي زكريا رحمه الله تعالى، كما قام بشرح صفوة الزيد في الفقه، وكتبه الناس في حياته وقرأوه عليه، وله مؤلفات كثيرة، وفتاوى مختلفة، قام الخطيب الشربيني بجمع فتاويه، فصارت مجلداً، وانتهت إليه الرئاسة في العلوم الشرعية، وجاءته الأسئلة من كثير من الأقطار، وكان له تقدير وتعظيم عند علماء مصر، وكان . رحمه الله تعالى . على جانب كبير من التواضع، يقوم بخدمة نفسه، ولا يمكن أحداً أن يشتري له شيئاً من السوق، إلى أن كبر سنه وعجز، توفي . رحمه الله تعالى . في سنة: ٩٥٧هـ، وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر<sup>(٦)</sup>.

### ٤. الفاضل بدر الدين المشهدي:

. هو الإمام الفاضل بدر الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم البهاء أبو الفتح ابن الزين المشهدي القاهري الأزهري الشافعي،

- ١ . هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي، الشافعي الفقيه، ولد ( سنة: ٧٩٠هـ )، وتوفي سنة: ٨٦٤هـ، من تصانيفه الأنوار المضيئة في خير البرية، صلى الله عليه وسلم، انظر: هدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٥٣).
- ٢ . الفالج: داء معروف يرخي البدن، والمفلوج هو صاحب الفالج، وهو يحدث في أحد الشقين طولاً فيبطل حركته وإحساسه، انظر: المصباح المنير في الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار المعارف للطباعة والنشر، ط بدون، (٢/ ٢٨٠). ولسان العرب، لابن منظور، (٢/ ٣٤٦).
- ٣ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٢/ ١١٩)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ٣١٦).
- ٤ . المنوفي: نسبة إلى المنوفة وهي بلدة صغيرة قريبة من البحر، بالقرب من منية العطار، تجاه مسجد الخضر، وهي قرية من قرى مصر، انظر: معجم البلدان، للحموي، (١/ ٨٨).
- ٥ . شذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ٣١٦)، والكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ١١١).
- ٦ . انظر: الأعلام، للزركلي، (٦/ ٧)، والكواكب السائرة، للغزي، (٢/ ١٢٠)، وعصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، لمحمد رزق سليم، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجامع، ط بدون، ١٣٧٤هـ، (٣/ ٣٨٩).

ولد سنة: ٨١١هـ، أخذ عن الشهاب الحجازي<sup>(١)</sup> الشاعر، وغيره، وكان عالماً بالفقه والحديث والتفسير، يتميز بدمائة الخلق والورع وكثرة العبادة، ترك الشهرة وآثر الخمول، ولم يسع إلى شيء من حطام الدنيا، وكان كثير الانعزال عن الناس لا يفتر عن قراءة القرآن والذكر، فإن أتاه أحد يقرأ عليه فتح له داره وإلا أغلق الباب. توفي . رحمه الله تعالى . سنة: ٩٦٢هـ<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. الإمام ناصر الدين الطبرلاوي:

هو الإمام ناصر الدين محمد بن سالم بن علي المصري الأزهري الشافعي، المعروف بالطبرلاوي، أحد العلماء الأفراد في مصر بعد وفاة أقرانه، تلقى العلم من علماء أجلاء، وقام بالتدريس وتبحر في التفسير والقراءات والفقه والنحو والحديث والأصول والمعاني والمنطق والكلام والحساب، من مصنفاته: بداية القاري من ختم صحيح البخاري<sup>(٣)</sup>، وشرح الحاوي الصغير القروي في الفروع، ومرشد المشتغلين، في أحكام النون الساكنة والتنوين<sup>(٤)</sup>.

وكان - رحمه الله تعالى - كثير التواضع متسامحاً سهلاً، حسن الخلق، قال ابن العماد الحنبلي: (وشهد له الخلائق بأنه أعلم من جميع أقرانه، وأكثرهم تواضعاً، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم نفساً، لا يكاد أحد يبغضه)، توفي سنة: ٩٦٦هـ<sup>(٥)</sup>.

---

١ - هو أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي، شهاب الدين المعروف بالحجازي: من شيوخ الأدب في مصر، مولده، سنة: ٧٩٠هـ، ومنشأه ووفاته في القاهرة، سنة: ٨٧٥هـ، نظم الشعر، وعني بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس، من كتبه (قلند النحور من جواهر البحور)، و(جنة الولدان)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٢٢٧، ٢٢٨/٦).

٢ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ١٨٦)، والكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٢٧)، والأعلام، للزركلي، (٣٠٠/٧).

٣ . هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدا لله، الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى، (سنة: ١٩٤هـ)، ونشأ يتيماً، قام برحلة طويلة في طلب العلم، وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء، سمع الحديث ببخارى قبل أن يخرج منها كما سمع ببلخ ونيسابور وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام، سمع نحو ألف شيخ، أشهرهم أبو عاصم النبيل والأنصاري ومكي بن إبراهيم وعبيدا لله بن موسى وغيرهم، روى عنه خلائق لا يحصون، كما يقول الذهبي، جمع البخاري في الجامع الصحيح نحو ستمائة ألف حديث اختار منها ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو، وهو أوثق كتب الحديث الستة، وذكر أنه صنفه في ست عشرة سنة، وللبخاري مصنفات أخرى مطبوعة منها: (التاريخ؛ الضعفاء في رجال الحديث)، وغيرها، توفي (سنة: ٢٥٦هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣٤/٦).

٤ . الكواكب السائرة، للغزي، (٢/ ٣٢، ٣٣).

٥ . انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٨/ ٣٤٨)، والكواكب السائرة، للغزي، (٢/ ٣٣).

## ٦. الشيخ أحمد بن علي الشعراني أو الشعراوي:

هو أحمد بن علي بن شهاب الشيخ العالم الصالح، شهاب الدين الشعراني الشافعي، والد الشيخ عبد الوهاب الشعراني، اشتغل في العلم على والده، الشيخ نور الدين علي الشعراني، ووالده حمل العلم من الحافظ بن حجر<sup>(١)</sup>، وكان فقيهاً نحوياً مقرئاً وله صوت شجي في قراءة القرآن يخشع القلب عند سماع تلاوته، وكان ماهراً في علم الفرائض، وعلم الفلك، وكان له شعر ونثر، توفي سنة: ٩٠٧ هـ<sup>(٢)</sup>.

## ٧. محمد ناصر الدين اللقاني:

هو ناصر الدين اللقاني، أبو عبد الله المصري، كان من تلاميذ الخطيب الشربيني، توفي سنة: ٩٥٨ هـ، صنف حاشية على جمع الجوامع في الأصول<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر الغزي صاحب الكواكب السائرة، إضافة إلى ما سبق ثلاثة من شيوخ الخطيب الشربيني، ولكن لم أحصل على ترجمة لهم، وهم: النور المحلي والنور الطهواني، ومحمد بن عبد الرحمن الكردي<sup>(٤)</sup>.

والذي يظهر للباحث أن النور المحلي المذكور هنا هو شخص آخر؛ يختلف عن نور الدين المحلي المذكور آنفاً، بدليل اختلاف الاسمين، فالأول الذي ذكرناه سابقاً هو نور الدين المحلي، أما الذي أورده فهو النور المحلي، ولا سيما أن نور الدين المحلي مات قبل ولادة الخطيب الشربيني.

## تلاميذه:

إن من فضل الله تعالى على العلماء أن هياً لهم من يقوم بنشر علومهم، ويروي كتبهم، ويورث فضائلهم، ولقد وهب الله الإمام الشربيني قبولاً فقصده طلاب العلم،

---

١ . هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين بن حجر، من أئمة العلم والحديث، أصله من عسقلان بفلسطين، من تصانيفه الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، وغيره، توفي سنة: ٨٥٢ هـ، انظر: نظم العقيان في الأقيان في أعيان الأعيان، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١ هـ، تحقيق: فليب حنين، المكتبة العلمية، بيروت، ط بدون، ص ٤٥، والأعلام، للزركلي، (١/ ١٧٨).

٢ . الكواكب السائرة، للغزي، (١/ ١٤٠، ١٤١).

٣ . انظر: هدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٤٤).

٤ . انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٣/ ٨٠).

وتتلمذوا عليه، ونهلوا من علمه وغرفوا من معينه الصافي، وسيذكر الباحث بعضاً منهم في هذه الأطروحة، مما تيسر معرفتهم خلال الاطلاع على كتب التراجم، وهم:

#### ١. عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني الخطيب الشافعي:

هو: عبد الرحمن بن محمد المنعوت زين الدين بن شمس الدين الخطيب الشربيني الفقيه الشافعي المصري الإمام العمدة، ابن الإمام العمدة، كان من أهل العلم والبراعة في فنون كثيرة، حسن الأخلاق، كثير التواضع، أخذ عن والده وغيره، وكان كثيراً ما يحج ويجاور بمكة، واجتمع به نجم الدين الغزي بالمدينة في أواسط المحرم سنة: ١٠٠٢هـ، قال: فسألته كم حججتم؟، فقال: أربعاً وعشرين مرة، فقلت: له أنتم يا مولانا معاشر علماء مصر يحج الواحد منكم مرات، وأما أهل الشام فلا يكاد الواحد منهم يحج إلا مرة، فأنتم أرغب في الخير منا، فقال لي: يا مولانا الواحد منا يستأجر بغيراً بعشرة ذهباً، ويحمل تحته القريقات، ويحج وأنتم إذا حج أحدكم يتكلف كلفة زائدة تكفي عدة منا، وطريقكم أشد من طريقنا، والأجر يكون على قدر النصب والنفقة؛ كما في الحديث، فحجة الواحد منكم تعدل حجات الواحد منا، وهذا دليل على إنصافه وحسن نظره، قال: ووصل خبر موته إلى دمشق في أوائل جمادى الآخرة سنة: ١٠١٤هـ، وحجبت في تلك السنة، وحررت وفاته عن بعض فضلاء مكة أنها كانت في صفر سنة أربع عشرة المذكورة<sup>(١)</sup>.

#### ٢. علي الغزي القاهري الشافعي:

هو علي الغزي القاهري الشافعي الملقب علاء الدين، ذكره العرضي الكبير<sup>(٢)</sup> في تاريخه، وقال في حقه: العالم المحقق، ولد بغزة سنة: ٩٣٣هـ، ونشأ بها، وقرأ على عدد من مشايخها، ثم رحل إلى مصر، فقرأ على اللقاني وغيره، ثم لازم الخطيب الشربيني، وغيره، وصار من فضلاء المصريين، قدم حلب تاجراً في سنة: ٩٦٩هـ، وكان فاضلاً عجبياً، ذا ملكة حسنة، وقدرة على البحث، ولسناً لطيفاً، حسن الروية، تام

١. خلاصة الأثر، للمحبي، (٢/ ٣٧٨).

٢. لم أعثر له على ترجمة.

الصلاح والتقوى، وبالجمله فهو من محاسن الزمان، وله كراريس ألفها على تفسير الجالين<sup>(١)</sup>، أبداع فيها، وكانت وفاته في سنة ١٠٠١هـ<sup>(٢)</sup>.

### ٣. محمد بن داود المنعوت بشمس الدين:

هو محمد بن داود، المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي دمشقي الشافعي المحدث الفقيه، علم العلماء الأعلام، والمفتي المدرس الهمام، قرأ بالقدس على جماعة من علمائها، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن الخطيب الشربيني، وغيره، ودخل دمشق فأخذ عن كثير من شيوخها، وتوفي يوم الأربعاء ثالث شعبان سنة: ١٠٠٠هـ، وكانت جنازته حافلة، ودفن بمقبرة باب الصغير<sup>(٣)</sup>.

وهذا كل ما استطاع الباحث أن يعثر عليه من تراجم تلاميذ الإمام الخطيب الشربيني، بعد تدقيق وبحث وطول نظر في أمهات مصادر التراجم وكتب المؤرخين.

---

١. « أ » لجلال الدين المحلي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي: أصولي، مفسر، مولده سنة: ٧٩١هـ، ووفاته، بالقاهرة، ٨٦٤هـ، عرفه ابن العماد بقتازاني العرب، وكان يقول عن نفسه: «إن ذهني لا يقبل الخطأ» ولم يكن يقدر على الحفظ: حفظ مرة كراسا من بعض الكتب فامتلا بدنه حرارة، وكان مهيبا صدادا بالحق، يواجه بذلك الظلمة الحكام، ويأتون إليه، فلا يأذن لهم، وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع، وصنف كتابا في التفسير أتمه جلال السيوطي، فسمي (تفسير الجالين)، و(كنز الراغبين)، و(البدر الطالع، في حل جمع الجوامع)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣٣٣/٥)، « ب » لجلال الدين السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. والسيوطي نسبة إلى أسبوط مدينة في صعيد مصر، عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، وُلد في القاهرة، سنة: ٨٤٩هـ، ونشأ فيها، رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها، تولى مناصب عدة، ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف، ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف، منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات، وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه مكتبة جلال السيوطي أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفاً، من أشهر كتبه: (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير)، و(الإتقان في علوم القرآن)، و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، و(تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك)، و(الخصائص والمعجزات النبوية؛ طبقات الحفاظ)، و(طبقات المفسرين)، وغيرها، توفي في القاهرة، سنة: ٩١١هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣٠١، ٣٠٢/٣).

٢. خلاصة الأثر، للمحبي، (٣/ ١٩٩).

٣. المرجع السابق، (٤/ ١٤٥).

## المطلب الثالث

### مؤلفاته وآثاره العلمية

كانت حياة الخطيب الشربيني . رحمة الله عليه . حياة مباركة، فقد أفاء الله عليه بعقلية مباركة، وذكاء متقدماً فحيث كان له مناهل متعددة، وموارد كثيرة، برع في الفقه واللغة والصرف، وغيرها، بالإضافة إلى أنه مفسر ضليع فنقلت لنا كتب التراجم مجموعة من أسماء مؤلفاته؛ وهي:

١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلمات ربنا الحكيم الخبير<sup>(١)</sup>.
٢. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، وهو شرح على متن المنهاج للإمام النووي<sup>(٢)</sup>، وهو من أهم كتب فروع الشافعية المعتمدة عند المتأخرين، ومن أوسعها انتشاراً، وقد طبع في مصر طبعة قديمة في المطبعة الميمنية، سنة: ١٣٠٨هـ، ثم طبع بعد ذلك في مطبعة الحلبي في أربعة مجلدات، سنة: ١٩٥٨م<sup>(٣)</sup>.
٣. الإقناع في حل ألفاظ أبي الشجاع، هو شرح على المختصر المسمى (غاية الاختصار) للعلامة أبي الشجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني<sup>(٤)</sup> الشافعي، المتوفى سنة: ٥٩٣هـ، وطبع في بولاق، بمصر، سنة: ١٢٨٥هـ، ثم بعد ذلك طبع في

---

١ . وهو أحد التفسيرين اللذين هما موضوع هذه الأطروحة، والكتاب مطبوع متداول مشهور .

٢ . هو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي، ولد ( سنة: ٦٣١هـ )، كان إماماً بارعاً حافظاً أماراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، تاركاً للملذات ولم يتزوج، أتقن علومًا شتى، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، أفردت ترجمته في رسائل عديدة، وقد عدد ابن العطار . أحد تلاميذه . تصانيفه واستوعبها، ومن هذه التصانيف: (تهذيب الأسماء واللغات)، و(المنهاج في شرح مسلم)، و(التقريب والتيسير في مصطلح الحديث)، و (الأذكار)، و (رياض الصالحين)، وهو كتاب جامع ومشهور، و(المجموع شرح المذهب)، و(الأربعون النووية)، و (مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة)، وغيرها، توفي (سنة: ٦٧٦هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (١٤٩/٨).

٣ . الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، لتقيل ساير بن زيد الشمري، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، ص ٦٠.

٤ . هو أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو شجاع، شهاب الدين أبو الطيب الأصفهاني: فقيه من علماء الشافعية، ولد ( سنة: ٥٣٣هـ )، له كتب، منها (التقريب) فقه، ويسمى (غاية الاختصار)، و (شرح إقناع الماوردي)، توفي ( سنة: ٥٩٣هـ )، انظر: الأعلام، للزركلي، (١١٦، ١١٧/١).

- مكتبة محمد علي الصبيح، ولقيمة هذا الكتاب وحسن تحريره قرر الأزهر تدريسه لطلاب المرحلة الثانوية في معاهده، ويقع الكتاب في مجلدين<sup>(١)</sup>.
٤. مناسك الحج، وهو كتاب يبحث أحكام الحج وما يتعلق به من عبادات وأركان، وواجبات على مذهب الإمام الشافعي، وطبع في مصر طبعة قديمة سنة: ١٣١١هـ، في مطبعة عثمان عبد الرزاق<sup>(٢)</sup>.
٥. شرح التنبيه، وهو في فقه الشافعية تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي<sup>(٣)</sup> الفقيه المتوفى سنة: ٤٧٦هـ<sup>(٤)</sup>.
٦. شرح منهاج الدين للحليمي<sup>(٥)</sup> في شعب الإيمان، والكتاب فيه أحكام كثيرة تتعلق بأصول الإيمان.
٧. فتح الخالق المالك في حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك<sup>(٦)</sup>، وهو شرح الألفية في

١ . الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، للشمرى، ص ٦٠.

٢ . المرجع السابق، ص ٦٠.

٣ . هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر، ولد في فيروزآباد -بفارس- ( سنة: ٣٩٣هـ )، وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها، وانصرف إلى البصرة، ومنها إلى بغداد، سنة ٤١٥ هـ فأتى ما بدأ به من الدرس والبحث، وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها، عاش فقيراً صابراً، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً مناضراً، ينظم الشعر، وله تصانيف كثيرة، منها (التنبيه)، و (المهذب) في الفقه، و (التبصرة) في أصول الشافعية، و (طبقات الفقهاء)، و (اللمع) في أصول الفقه، وشرحه، و (الملخص)، و (المعونة) في الجدل، مات ببغداد، ( سنة: ٤٧٦هـ )، وصلى عليه المقتدى العباسي، انظر: الأعلام، للزركلي، (١/٥١).

٤ - انظر: الكواكب السائرة، للغزي، (٣/٨٠)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٨/٢٦٩)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢/٢٥٠).

٥ . هو الإمام أبو عبد الله حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة: ٤٠٣هـ، انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٨/٢٦٩)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢/٢٥٠)، والكواكب السائرة، (٣/٨٠).

٦ . هو محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جيان (بالأندلس)، سنة: ٦٠٠هـ، وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها، سنة: ٦٧٢هـ، أشهر كتبه: (الألفية - ط) في النحو، وله (تسهيل الفوائد) نحو، و (شرحه له) المجلد الأول منه، في الرباط (٢١٣ أوقاف)، و (الضرب في معرفة لسان العرب) و (الكافية الشافية) أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، و (شرحها) و (سبك المنظوم وفك المختوم) نحو، و (لامية الأفعال) و (عدة الحافظ وعمدة اللفظ) رسالة، و (إيجاز التعريف) صرف، و (شواهد التوضيح) و (إكمال الإعلام بمثلث الكلام) و (مجموع) فيه ١٠ رسائل، و (تحفة المودود في المقصور والممدود) منظومة، و (العروض) و (الاعتضاد في الفرق بين الظاء والصاد)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦/٢٣٣).

- النحو للعلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، المتوفى سنة: ٦٧٢ هـ<sup>(١)</sup>.
٨. شرح شواهد القطر، وهو شرح لشواهد قطر الندى في النحو لابن هشام<sup>(٢)</sup>، وشرحه طبع في مصر عدة طبعات قديمة، في سنة: ١٢٨٣ هـ في المطبعة الشرقية، وطبع ١٣٠٤ هـ في مطبعة عثمان عبد الرازق، وطبع في سنة: ١٣١١ هـ، في المطبعة الوهبية<sup>(٣)</sup>.
٩. نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية<sup>(٤)</sup>، وهي شرح لمتن الأجرومية، والأجرومية، لابن آجرؤم<sup>(٥)</sup>، ولا أعلم أن أحداً من المؤرخين أو الدارسين ذكر أين طبع ولا متى طبع، ولعله ما يزال مخطوطاً.
١٠. الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني<sup>(٦)</sup>.
١١. تقارير على المطول في البلاغة<sup>(٧)</sup>، وقد طبع في مصر<sup>(٨)</sup>.
- وهنا نلاحظ أن مؤلفات الخطيب الشربيني تتميز بأن أغلبها مطبوع متداول بخلاف مؤلفات أبي السعود على الرغم من شهرته.

- 
١. انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٨/ ٢٦٩)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٥٠).
٢. هو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف، شهاب الدين الأنصاري، المعروف بكسلفه بابن هشام: نحوي، من أهل القاهرة، ولد سنة: ٧٨٨ هـ، سكن دمشق وتوفي بها، سنة: ٨٣٥ هـ، كتب (حواشي) على (توضيح الألفية) لجدّه جمال الدين ابن هشام، جردت في كتاب مستقل غزير الفائدة، انظر: الأعلام، للزركلي، (١/ ١٤٧).
٣. انظر: الأعلام، للزركلي، (٦/ ٢٣٤)، ومعجم المطبوعات العربية، لسركيس، ص ١١٠٩.
٤. انظر: هدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٥٠).
٥. هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله، نحوي، ولد بفاس سنة: ٦٧٢ هـ، اشتهر برسائلته: (الأجرومية) وقد شرحها كثيرون. وله: (فرائد المعاني في شرح حرز الأمان) مجلدان منه، الأول والثاني لعلهما بخطه، في خزانة الرباط (١٤٦ أوقاف)، ويعرف بشرح الشاطبية. وله مصنفات أخرى وأراجيز. وتوفي سنة: ٧٢٣ هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٣٣).
٦. هو محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، أبو المناقب شهاب الدين الزنجاني، لغوي، من فقهاء الشافعية. من أهل زنجان؛ (يقرب أنريجان)، استوطن بغداد، وولي فيها نيابة قضاء القضاة، وعزل، ودرّس بالنظامية ثم بالمستنصرية، وصنف كتاباً في (تفسير القرآن)، واختصر الصحاح للجوهري في اللغة، وسمى مختصره: (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح)، ثم أوجزه في نحو عشر الأصول، وسماه: (تنقيح الصحاح) في ثلاثة أجزاء، باسم: (تهذيب الصحاح)، و(تخريج الفروع على الأصول) واستشهد ببغداد أيام نكبتها بالمغول ودخول هولاكو (سنة: ٦٥٦ هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ١٦١).
٧. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٣/ ٨٠)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٨/ ٢٦٩)، وهدية العارفين، للبغدادي، (٢/ ٢٥٠)، والأعلام، للزركلي، (٦/ ٢٣٤)، ومعجم المطبوعات، لسركيس، (١/ ١١٠٩)، وإيضاح المكنون، للبغدادي، (٤/ ٥٨٧).
٨. انظر: معجم المطبوعات العربية، لسركيس، (٢/ ١١٠٩).

## المطلب الرابع

### ثناء العلماء عليه

أثنى العلماء على الخطيب الشربيني ثناء حسناً، ولقد أجمع العلماء على انتصاف الخطيب الشربيني بالصلاح والتقوى، والورع والعلم والعمل، وكثرة العبادة، وأجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة<sup>(١)</sup>.

وذلك دليل على مكانته السامية، وعلو منزلته وفضله، وهو كذلك دليل على ما كان عليه هذا العلم الشامخ من جميل الشمائل وسمو الأخلاق، وسعة علمه، ويمكن عرض أقوال العلماء والمؤرخين على النحو الآتي:

قال عنه نجم الدين الغزي: "وبالجملة كان الخطيب الشربيني آية من آيات الله تعالى، وحجة من حججه على خلقه"<sup>(٢)</sup>.

وأثنى عليه الشعراني<sup>(٣)</sup> كثيراً فقال: "الأخ الصالح الزاهد المقبل على عبادة ربه ليلاً ونهاراً شمس الدين الخطيب الشربيني رضي الله عنه، صحبته نحو أربعين سنة، فما رأيت عليه شيئاً يشينه في دينه، ولم أر في أقرانه مثله في حب جوارحه، وتخاذله عما فيه السعي إلى الدينا، ووظائفها ومضايقه أهلها، لم يزل منكباً على الإشغال بالعلم والعمل به، وتعليمه للناس، ولا يرى في مطالعة علم أو صلاة أو قراءة أو صيام متفكراً في الأهوال يوم القيامة"<sup>(٤)</sup>.

١ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٠).

٢ . شذرات الذهب، للحنبلي، (١٠/ ٥٦١، ٥٦٢).

٣ . هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، الإمام الحبر العارف، شيخ الإسلام الصوفي الشافعي، صاحب المؤلفات الكثيرة، المتقنة الحافلة، كالعهود، والميزان، وطبقات الأولياء، توفي ( سنة: ٩٧٣هـ )، انظر: لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، ت: ٩٧٣هـ، مكتبة محمد المليجي الكتبي، وأخيه، مصر، ط بدون، ١٣١٥هـ، (٢/ ١٦٤).

٤ . الخطط التوفيقية، لعلي مبارك، (١٢/ ١٢٧).

وقال محمد الغزي<sup>(١)</sup>: "الإمام الحبر الفقيه العلامة شمس الدين الخطيب الشربيني الشافعي"<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه صاحب مناهج المفسرين: "ولقد كانت فطرته التي صقلتها دراسته الدينية، من أنقى الفطر وأطهرها، وإذا نظرت إلى حياته فإنك تجده من كبار العلماء"<sup>(٣)</sup>.

- 
- ١ - هو محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين، العامري الغزي، أبو المعالي شمس الدين، مؤرخ، كان مفتي الشافعية في مصر، ولد سنة: ١٠٩٦هـ، وتوفي ( سنة: ١١٦٧هـ )، له ديوان الإسلام، وهو تاريخ مختصر للعلماء والملوك وغيرهم، وتراجم لبعض رجال الحديث، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦ / ١٩٧).
  - ٢ - ديوان الإسلام، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، المتوفى: ١١٦٧هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م، (٣ / ١٦١).
  - ٣ . مناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم، ص ٢٥٩.

## **المبحث الثالث:**

### **التعريف بعصر الإمام الخطيب الشربيني**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المطلب الأول: الحالة السياسية.**

**المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.**

**المطلب الثالث: الثقافية.**

## المطلب الأول

### الحالة السياسية

إن الإنسان بطبيعة الحال يتأثر بمجتمعه، وبالظروف المحيطة به، وينعكس أثر ذلك على سلوك الفرد وخصائص شخصيته، بل إن الفرد ليس إلا مجموعة بصمات بيئته وعصره.

ومن هنا كان لا بد من إلقاء الضوء على العصر الذي عاش فيه الخطيب الشربيني، وبيان تأثيره بهذه البيئة ودوره فيها.

عاش الخطيب الشربيني - رحمه الله تعالى - إلى الفترة الأخيرة من القرن العاشر الهجري، حيث عاصر دولة المماليك<sup>(١)</sup> الجراكسية<sup>(٢)</sup> أو البرجية التي هي الدولة الثانية من دولة المماليك، كما عاصر أوائل الدولة العثمانية في مصر، ومن ثم فسأتحدث عن الأوضاع السياسية لهاتين الدولتين:

#### دولة المماليك:

قامت دولة المماليك في مصر، وتنقسم إلى الدولة المملوكية الأولى، والدولة المملوكية الثانية، وسبب تسميتهم بذلك أن نجم الدين أيوب<sup>(٣)</sup> آخر الأيوبيين في مصر، أسكن المماليك في قلعة الروضة، وأمرهم بالتدريب على الأعمال البحرية، ثم بعد أن مات نجم الدين، جاء ابنه من الموصل واستلم الحكم، وأبعد المماليك، وأساء إلى شجرة الدر<sup>(٤)</sup>، زوجة أبيه التي أرسلت إليه، وسلمته الحكم، فما كان منها إلا أن

١ . سبقت ترجمتها، ص ٨٧.

٢ . الجراكسة: هم أرقاء جراكسة استخدمهم السلطان قلوون لحراسة ملكه، وأسكنهم بأبراج قلعة القاهرة، ولذلك سموا البرجية، انظر: المعجم الإسلامي، لأشرف طه أبو الذهب، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٨٥.

٣ . هو الملك الصالح، نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد الأيوبي، أحد الأيوبيين الذين حكموا مصر، مات سنة: ٦٤٧هـ، بالمنصورة، انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، (٤/١٦، ١٧)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٥/٢٣٧).

٤ . هي أم خليل، شجرة الدر بنت عبد الله التركية، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد خطب باسمها ورسمت على المناشير، مدة ثلاثة أشهر، قتلها المماليك، سنة: ٦٥٥هـ، انظر: البداية والنهاية، (١٣/١٩٩)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٥/٢٦٨).

دبرت أمر قتله، ومنذ ذلك الحين تولى المماليك الحكم، وقامت دولته الأولى المعروفة بالبحرية<sup>(١)</sup>.

وأما الدولة المملوكية الثانية، فقد قامت سنة: ٧٨٤هـ، وسبب قيامها: أن الصالح حاجي بن الأشرف شعبان<sup>(٢)</sup> بوع له وعمره لا يتجاوز ست سنوات، فثارت في أول حكمه بعض القبائل، فنهبوا البلاد، فدرد عليهم القائد برقوق<sup>(٣)</sup> قوة تقدر بخمسمائة مملوك، فحاربوهم حتى شنت شملهم، وغنموا غنائم كثيرة، ولما علم القائد برقوق بمؤامرة بعض المماليك على قتله، عزم على إظهار مقصده، فجمع الخليفة والقضاة وأخبرهم بالحالة التي وصلت إليها البلاد، ومن اختلال في الأمن ورحيل كثير من السكان خارج القاهرة طلباً للأمان، وأنه إذا لم يتسلم البلاد سلطان قوي فسوف تسوء الحالة الأمنية أكثر مما هي عليه، ويعم الاضطراب، وتزداد سطوة القبائل الثائرة وغيرهم، فقرر الحضور خلع الملك الصالح ومبايعة القائد برقوق<sup>(٤)</sup>.

---

١ . الممالك البحرية: أغلبهم من الترك والمغول، جلبهم الأيوبيون وأسكنوهم بجزيرة، ودعوا بالبحريين لإقامتهم في جزيرة الروضة على النيل، وكانت بدايتها بوفاة السلطان الصلح أيوب، وكانت فترت حكمهم، من (١٢٥٨م - ١٣٨٢م) وأولهم: أيك المعز وأشهرهم بيبرس الظاهر، وقلالون المنصور، انظر: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٤١١/٣).

٢ . هو الصالح حاجي بن الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون، حكم وهو صغير مدة عام وأشهر، ثم عزل لصغر سنه، وسواء الأحوال في عهده، وتوفي (سنة: ٨١٤هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (١٥٣/٢).

٣ . هو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد بن أنص العثماني، لقب ببرقوق لحجوظ عينيه، وأصله من المماليك الأتراك في دولة بني أيوب، توفي (سنة: ٨٠١هـ)، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤/ ٣٢٥)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٦/ ٧).

٤ . انظر: العالم الإسلامي، لرضا كحالة، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط ٢، (١١٧/ ٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/ ١٩٩).

وبذلك كانت بداية دولة المماليك الثانية، والتي تعرف أيضاً بالبرجية<sup>(١)</sup> نسبة إلى أبراج القلعة التي سكنوها في عهد السلطان قلاوون<sup>(٢)</sup>.

ثم تتابع سلاطين المماليك في الولاية، وكانت الحروب والفتن بينهم مستمرة على السلطة، وكان الأمراء كثيراً ما يفرضون رأيهم في الأمور المتعلقة بتولي السلطة، إبعاد من يريدون إبعاده، فإنه لما توفي السلطان الملك العادل خشقدم<sup>(٣)</sup>، ترك ولدين، فأرادوا الإمارة، ولكن الأمراء والقواد لم يتفقوا على تعيين أي منهما، بل عينوا الأمير بلباي<sup>(٤)</sup> الذي تلقب بالملك الظاهر أبي النصر.

وفي عهده كثر عصيان بعض الولايات الشامية، وقل الأمن، وأصبحت الطرق مخيفة، قال ابن تغري بردي<sup>(٥)</sup> بعد حديثه عن عصيان أمير حلب في عهد الملك الظاهر بلباي، وقتله بعض ولاية البلاد الشامية: (وجاء هذا الخبر والديار المصرية غير مستقيمة الأحوال لعدم المدبر، والطرق مخيفة، والسبل غير آمنة، وما ذاك إلا أن

---

١ . البرجيون: (١٣٨٢م - ١٥١٦م): أقاموا في برج قلعة القاهرة، وأولهم: برقوق الظاهر، وآخرهم: طومان باي الذي أعدمه السلطان سليم العثماني، بعد هزيمة سلفه قانسوة الغوري، وقد بسط سلاطين المماليك سيطرتهم على مصر وسوريا وأجزاء من آسيا الصغرى، وحاربوا الصليبيين والمغول، وبعد أن قضى العثمانيون على دولتهم ظل بعض بكواتهم مصدر اضطرابات وفتن حتى تخلص منهم محمد علي في مذبحة القلعة ١٨١١م، وعلى الرغم من اشتهاهم عهدهم بالفوضى السياسية والاضطرابات إلا أنهم تركوا آثاراً عمرانية كالمساجد والمدارس، لا سيما في القاهرة، انظر: المعجم الإسلامي، لأشرف طه أبو الذهب، دار الشروق، ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٨٥.

٢ . هو السلطان سيف الدين الملك المنصور قلاوون الألفي، أصله من ممالك الملك الصالح أيوب، طرد الصليبيين من طرابلس وبيروت وصيدا، توفي سنة: ٦٨٩هـ، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٢٠)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٥ / ٤٠٩).

٣ . هو الملك العادل سيف الدين خشقدم الناصري، أحد المماليك، ساءت الأوضاع في عهده، وفشا فساد ممالكه، وهو يعلم بذلك، ولكنه لم يمنعهم فكرهه الناس، توفي سنة: ٨٧٢هـ، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٤١)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٦ / ٣١٥).

٤ . هو الملك الظاهر أبو النصر بلباي المؤيد، أحد الأمراء، كان ضعيفا في إدارته، فساعت الأحوال في ولايته، فخلعه الأمراء بعد شهرين من تسلطه، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٤٢)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٦ / ٣١٥).

٥ . هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ باحث، من أهل القاهرة، ولد سنة: ٨١٣هـ، كان أبوه من ممالك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥ هـ، ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفي سنة ٨٢٤)، وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع، وصنف كتباً نفيسة، منها، (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، و(المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي)، و(الدليل الشافي على المنهل الصافي)، وغيرها، توفي سنة: ٨٧٤هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٨ / ٢٢٢).

الملك الظاهر لما تسلطن، وتم أمره غطاء المنصب، وصار كالمذهول ولزم السكات، وضعف عن بت الأمور وردع الأجلاب<sup>(١)</sup> (٢).

وإذا كان عصر المماليك قد تميز بكثرة الفتن الداخلية والحروب الخارجية، فإن السنوات الأخيرة من عمر الدولة المملوكية قد شهدت أعنف الفتن الداخلية التي دبرها الأمراء المماليك ضد السلطة من أسباب هذه الفتن العصبية والحزبية التي كان يؤلفها الأمراء حول أنفسهم، فمن الفتن التي وقعت في مطلع القرن العاشر وهو القرن الذي تهمننا أحداثه أكثر من غيره، نظراً لأن الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى كان من علماء ذلك القرن، ما وقع في عام: ٩٠٣ هـ من غدر من الأمير طومان باي<sup>(٣)</sup> بالسلطان الناصر ابن قايتباي<sup>(٤)</sup>، فقد أعد له كميناً بالجيزة ودعاه للنزول عنده فاغتاله، ثم تولى بعده أحد المماليك الجراكسة، لكن الفتن استمرت مدة تزيد على السنة، فثار عليه بعض الأمراء واتفقوا على خلعه، وولي السلطان الأمير جان بلاط الجركسي<sup>(٥)</sup>، وتقلب بالملك الأشرف.

ثم تمرد عليه الأمير طومان باي، وذهب إلى دمشق، وتآمر مع بعض الأمراء على خلعه، فكتبوا بذلك أمراً بحضور علماء وأمراء دمشق، وتسمى بالملك العادل، ومن ثم توجه إلى مصر فوصلها عام: ٩٠٦ هـ، وعندما علم جان بلاط بذلك تحصن بالقلعة، فحوصر سبعة أيام تخلى فيها جنوده عنه، فدخل الملك العادل القلعة، وأخرج

---

١ . الأجلاب: هم المماليك الذي يجلبون من أماكن بعيدة، انظر: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، (٤١٥/٣).

٢ . النجوم الزاهرة، لأبي تغري بردى، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٢م، (٣٦١ / ١٦).

٣ . هو الأشرف أبو النصر آخر ملوك الجراكسة بمصر، صار والياً في دمشق، ثم تآمر مع بعض الأمراء على جان بلاط، فحاصره في القلعة إلى أن أسره، ثم قتله سنة: ٩٠٦ هـ، قاتل العثمانيين إلى أن تمكنوا منه، فقتله السلطان سليم الأول شنقا سنة: ٩٢٣ هـ نظر: الأعلام، للزركلي، (٣٣٦ / ٢)، وسمط النجوم العوالي، للعصامي، (٥٣-٤٩ / ٤) والأعلام، للزركلي، (٣٣٧ / ٣).

٤ . هو الملك الناصر أبو السعادات محمد بن السلطان قايتباي، كان جباراً شديداً البطش، فيه سفه، قتل سنة: ٩٠٤ هـ، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤٨ / ٤).

٥ . هو بن يشبك الأشرف أبو النصر، أعتقه الأشرف قايتباي، وجعله نائباً في حلب، ثم بعد ذلك ولي السلطة في مصر، وتلقب بالملك الأشرف، ثم أسر، وقتل في سجن الإسكندرية سنة: ٩٠٦ هـ، انظر: شذرات الذهب، للحنبلي، (٢٨ / ٨)، والأعلام، للزركلي، (٩٦ / ٢).

جان بلاط وأرغمه على التنازل بحضور الخليفة والقضاة، قال في الكواكب: (وأرسله إلى الإسكندرية، ثم قتله خنقاً)<sup>(١)</sup>.

وفي السنة نفسها حصلت فتنة بين المماليك فر بعدها طومان باي، واختفى مدة ثم قبض عليه فقتل، وكان في فترة اختفائه قد تولى السلطة بعده الأمير قانصوه الغوري<sup>(٢)</sup> الذي تلقب بالملك الأشرف، وتميز بالظلم وقوة البطش، قال النجم الغزي: (ولما تسلطن أخذ بتتبع رؤوس الأمراء ذوي الشوكة فيقتلهم شيئاً فشيئاً، ثم فشا ظلمه، ومصادرته للناس في أموالهم حتى صار شيخ الإسلام زكريا<sup>(٣)</sup> يعرض بظلمه في الخطبة، وهو تحت منبره)<sup>(٤)</sup>.

وممن ابتلي بهم السلطان الغوري وأقلقوا باله، وأقضوا مضجعه المماليك الجلبان، فقد تعددت ثوراتهم، وأكثروا الفتن والمشاغبات بحجة المطالبة بحقوقهم.

#### الدولة العثمانية:

ينتسب العثمانيون إلى سلطانهم الأول عثمان أرطغرل<sup>(٥)</sup>، وينتمي العثمانيون الأتراك إلى شعب الغز، ويتحدرون من قبيلة تسمى قبيلة قابي، كانت تستوطن أراضي دولة خوارزم المحيطة ببحر الخزر، الذي يسميه الروس الآن بحر أرال، أما دخول الأتراك في الإسلام، فإنهم أسلموا منذ بداية الفتح الإسلامي لبخارى<sup>(٦)</sup>، وسمرقند<sup>(٧)</sup>، (فإن أرجح الروايات تشير إلى أن انتشار الإسلام بين الأتراك بدأ بشكل تدريجي

١ . الكواكب السائرة، (١ / ١٧١)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٨ / ١١٤).

٢ . هو الملك الأشرف أبو النصر، من أشهر سلاطين المماليك في مصر، بويع به بالسلطنة في قلعة الجبل في القاهرة، سنة: ٩٠٦هـ، كان شجاعاً في بطش وظلم، قتله جيش السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق، (سنة: ٩٢٢هـ)، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٥٠)، والأعلام، للزركلي، (٦ / ٢٣).

٣ . سبقت ترجمته في شيوخ الخطيب الشربيني، ص ٨٩، ٩٠.

٤ . الكواكب السائرة، (١ / ٢٩٥).

٥ . هو أول سلاطين العثمانيين، من المحاربين الأقوياء، والطامحين الأشداء، توفي (سنة: ٧٢٥هـ)، انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٦٠)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٦ / ٦٨).

٦ . بخارى: هي من أكبر الحواضر الإسلامية القديمة، وتقع الآن تحت الحكم الروسي، انظر: معجم البلدان، للحموي، (١ / ٣٥٣).

٧ . من بلاد ما وراء النهر، وهي من المدن التي فتحها قتيبة بن مسلم، وتقع الآن تحت الحكم الروسي، انظر: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفّي الدين (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، (٢ / ٧٣٦).

وبصورة غير منتظمة منذ أن قام القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي<sup>(١)</sup> في أثناء خلافة سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> بفتح بخارى ومرو<sup>(٣)</sup>، وسمرقند، وغيرها من بلاد الترك الترك عام ٩٨هـ<sup>(٤)</sup>.

وبدأ تحول الأتراك إلى الإسلام بشكل جماعي في عام: ٣٤٩هـ، عندما أسلم زعيمهم قره خان، وكما قلنا: إن الدولة العثمانية تنتسب إلى مؤسسها سلطان عثمان الذي انتقلت إليه زعامة الترك بعد وفاة والده، وقد أنعم الملك علاء الدين السلجوقي<sup>(٥)</sup> بهذه الإمارة عليه، تقديراً لجهود أبيه، واعترافاً بفضل قبيلته التي خاضت معه الكثير من الحروب، وكان النصر قد تحقق له بفضل الله ثم بفضل هذه القبيلة، فأعطاه عدة إقطاعات، وأجاز له أن يضرب عملة خاصة به، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة. وعندما أغارت جيوش التتار على سلطنة قونية السلجوقية عام: ٦٩٩هـ، فقتلت أميرها علاء الدين الذي كان عثمان يعمل في خدمته، وجد السلطان عثمان بلا سلطان، فأعلن زعامته على السلطنة تحت اسم: (بادشاه آل عثمان)، وبذلك أصبحت دولة بني عثمان الجهة الوحيدة التي رفعت راية الجهاد في سبيل الله، فانضم إليها كل راغب في نصر دين الله ورفع راية الحق.

وبعد أن جعل مدينة يكي شهر<sup>(٦)</sup> عاصمة ملكه، وأخذ في تحصينها، وإصلاح أمور البلاد، فجهز للقتال وأرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو القتال، فأسلم بعضهم، وقبل آخرون دفع الجزية،

---

١ . هو من أعظم القادة المسلمين الذين فتحوا بلاد ما وراء النهر، وغزا أطراف الصين، وضرب عليها الجزية، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك، سنة: ٩٦هـ، انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٤ / ٨٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (٧ / ١٤٠).

٢ . هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أحد خلفاء بني أمية، قام بعدة فتوحات، منها: فتح جرجان، وطبرستان، توفي سنة: ٩٩هـ، انظر: تاريخ الطبري، (٨ / ١٢٦).

٣ . مرو: هي من المدن المشهورة في التاريخ الإسلامي، أنجبت كثيرا من العلماء المسلمين، تقع في خراسان، انظر: معجم البلدان، (٥ / ١١٢).

٤ . جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك، لزياد أبو غنيمة، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٤٠٣هـ، ص١٨.

٥ . هو الملك علاء الدين كيقيباذ السلجوقي، أحد ملوك سلاجقة الروم، توفي ( سنة: ٦٩٩هـ)، انظر: العالم الإسلامي، لرضا كحالة، (٢ / ٢٠٠).

٦ . يكي شهر: هي مدينة تقع في تركيا في هضبة الأناضول، غربي مدينة قونية، انظر: تاريخ الدولة العثمانية، ص٥٦، وقضاة مصر، للدميري، ص٢١٤.

ولكن قسماً منهم تآمر مع التتار ضد الأتراك فلم يهتم بهم السلطان وجهاز جيشاً لغزوهم، وأمر عليه ابنه أروخان<sup>(١)</sup>، فسار إليهم وشنت شمل التتار.

وهكذا أصبحت هذه الإمارة الصغيرة دولة كبيرة، تهابها أوربا وتخشى شوكتها، ثم لم تلبث أن قضت على الدولة البيزنطية، ودخلت عاصمتها القسطنطينية بعد أن من الله تعالى بفتحها على يد السلطان محمد الفاتح<sup>(٢)</sup> في عام: ٨٥٧هـ.

ويظهر للباحث من خلال دراسة الحالة السياسية لهذه الفترة بأنها كانت مضطربة وغير مستقرة، كما عاش الشرييني معظم حياته في عصر الخلافة العثمانية، وفي عهد هذه الدولة بنيت المدارس والكليات واهتمت الدولة بالعلماء وإعفاءهم من الضرائب، ويعتبر السلطان سليمان القانوني أعظم شخصية في التاريخ العثماني، حيث وصلت الإمبراطورية العثمانية أوج اتساعها وقوتها براً وبحراً.

---

١ . سبقت ترجمته، ص ٥٩.

٢ . هو السلطان محمد الثاني المولود ( سنة: ٨٣٣هـ )، ويعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان، يلقب بالفاتح، لكثرة الفتوحات في عهده، ومنها: فتح القسطنطينية، وأبي الخيرات، حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً، كان خيراً وعزة للمسلمين، تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده ( سنة: ٨٥٥هـ )، وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة، وامتاز بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، وكان ذا معرفة بكثير من لغات عصره، واشتهر بلقب الفاتح لفتحه القسطنطينية، توفي ( سنة : ٨٨٦هـ )، انظر: فاتح القسطنطينية محمد الفاتح، لعلي الصلابي، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٨٣. وسمط النجوم العوالي، للعصامي، (٤ / ٦٦)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٧ / ٣٤٤).

## المطلب الثاني

### الحالة الاجتماعية

كان المجتمع في عصر المماليك مجتمعاً طبقياً؛ بمعنى أنه تألف من عدة طبقات متميزة بعضها عن بعض في خصائصها وصفاتها ومظاهرها، فضلاً عن نظرة الدولة لها، ومقدار ما تتمتع به من حقوق أو تنهض به من واجبات. وفي ظل مثل هذا التنظيم الطبقي يبدو الفارق كبيراً بين الحكام والمحكومين، وبخاصة إذا كان الحكام أغريباً عن البلاد وأهلها، ولم تربطهم بأبناء مصر رابطة الأصل والجنس، مما جعل المماليك لا يشعرون في كثير من الحالات بروح التجاوب مع الأهالي والعطف على مصالحهم والعمل من أجل رفاهتهم. والواقع أن المماليك حكموا البلاد دائماً بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، ومن ثم فقد نظروا إلى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة أو درجات، لا ينبغي لهم أن يشاركوا في الحكم إلا بقدر محدود<sup>(١)</sup>.

وقد قسم المقرئزي<sup>(٢)</sup> المجتمع المصري في ذلك العصر إلى سبع طبقات: الأولى: أهل الدولة وهم سلاطين المماليك والأمراء وأتباعهم من جند المماليك، والوزراء والكتاب وأرباب السلطة، والقضاة.

الثانية: أهل اليسار من التجار وذوي النعمة والرفاهية.

الثالثة: الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوق.

الرابعة: الفلاحون، وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف.

---

١ - انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، لمحمود رزق سليم، القسم الثاني، مكتبة الأداب، القاهرة، ١٩٤٠م ص ٢٣٠.

٢ - هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والامامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر (سنة: ٨١٠هـ)، وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر، من تأليفه: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، ويعرف بخطط المقرئزي، و(السلوك لمعرفة دول الملوك)، توفي (سنة: ٨٤٥هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (١/ ١٧٧).

الخامسة: وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقات ونحوهم.

السادسة: الأجراء وأصحاب المهن.

السابعة: وهم ذوو الحاجة والمسكنة، وهم السؤل وهم الذين يتكفون الناس ويعيشون

منهم.

وإذا نظرنا إلى الحالة المعيشية فنجد أن الممالك اهتموا بالزراعة في مصر اهتماماً كبيراً وقسموا الأراضي على حسب جودتها، وقد ازداد المحصول نتيجة للعناية بمرافق الزراعة من جسور وترع ومقاييس النيل وغيرها، وكذلك اهتمامهم بالثروة الحيوانية، فأكثرُوا من نتاج الأغنام وجلب الأنواع الممتازة حتى ازدادت أعداد المواشي وارتفعت سلالتها. وأما اهتمامهم بالجانب الصناعي فقد كان واضحاً، حيث احتلت الصناعة الحربية مكاناً بارزاً، وقد وجد بالقاهرة سوق كبير اسمه سوق السلاح، وغير ذلك من الصناعات المدنية حيث كانت على جانب كبير من الرقي في ذلك العصر.

وعلى الرغم من ذلك كان في عصر المماليك الجراكسة ضائقة اقتصادية وأزمات معيشية في الغالب، فقد عانت مصر أنواعاً من الآلام والمظالم، وساءت الأحوال في ما بين الناس فكان الفلاحون يمتنعون عن جلب ماشيتهم وحاصلتهم من البيع في أسواق القاهرة خشية مصادرة الحكومة لها، وشرائها بأبخس الأثمان، كما كان يجتاح البلد بين فترة وأخرى الأوبئة والطواعين والغلاء كما انخفض منسوب النيل<sup>(١)</sup>.

وقد عاش المماليك وهم يختلفون عن عامة الشعب حتى كان لباسهم يختلف عن سائر الناس، فعاشوا على اختلاف طبقاتهم عيش النعيم والرفاهية في قصور تجمع كل أسباب الترف والبذخ والإسراف، وكان ذلك هو الطابع المميز لحياتهم<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتضح للمتأمل حجم الفساد الذي استشرى في عصر المماليك، والمعاناة التي كان يعيشها العلماء، وعامة الناس، ويعد الخطيب الشربيني واحداً من هؤلاء الذين عانوا من تلك الظروف.

١ . الأدب في العصر المملوكي، لمحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط بدون، ت بدون، ص ٥٩، والعصر

المماليكي في مصر والشام، لسعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦م، ص ٦٣٣.

٢ . العصر المماليكي في مصر والشام، لسعيد عاشور، ص ٣٢١، والأدب في العصر المملوكي، لمحمد زغلول،

ص ٥٩، وعصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، لمحمد سليم، (٢/ ٣٦٣).

## المطلب الثالث

### الحالة الثقافية

#### أولاً: الحالة الدينية

عرف المماليك ومن بعدهم العثمانيون الأتراك الذين حكموا معظم الديار الإسلامية بحبهم للدين وتمسكهم بمذهب أهل السنة، ومحاربتهم لأعداء هذا الدين، وفي القرن العاشر لم تكن هناك فرق فكرية قوية ظاهرة سوى أهل السنة، وفرق الشيعة. وقد كان لهذه الفرق أثرها في الحياة العامة، يحسن أن نعرض لأهم تلك الفرق الموجودة باختصار.

#### . أهل السنة:

وهم أهل الحق والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، لذلك حاربهم كثير، كالمعتزلة، والخوارج<sup>(١)</sup>، والجهمية<sup>(٢)</sup>، والشيعة<sup>(٣)</sup>، وغيرهم من الفلاسفة، ولكن انتصر أهل السنة

---

١ . الخوارج: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس، وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك: منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان، قال الشهرستاني: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان) ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، قال الأشعري: (والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب)، وزاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن، وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني، انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط ٢٠٠١م، (١/٢٢٨، ٢٢٧).

٢ . الجهمية: هي فرقة مبتدعة ضالة، تنتسب إلى الجهم بن صفوان من أهل خراسان ومولى لبني راسب، تتلمذ على الجعد بن درهم وكان كاتباً للحارث بن سريح، الذي أثار الفتن ضد الدولة الأموية في خراسان، وكان جهم يقرأ سيرته ويدعو إلى توليته، ويحرص الناس على الخروج معه، وكان يقول: الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله وجميع ما جاء من عنده فقط، ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله تعالى لم يكلم موسى، وأنه تعالى لم يتكلم ولا يرى ولا يعرف له مكان وليس له عرش ولا كرسي، ولا هو على العرش، وأنكروا الموازين وعذاب القبر، وكون الجنة والنار مخلوقين، وادعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان، والله - عز وجل - لا يكلم خلقه ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا ينظر

وقلت البدعة، وضعفت دعوتها، وقمع دعائها فقل أتباعها وأنصارها، وهياً الله لأهل السنة من العلماء والأمراء من يدافع عنهم، وكان الحب الأتراك العثمانيون ومن قبلهم المماليك لمذهب أهل السنة الأثر الكبير في قمع أعداء الإسلام من النصاري الذين أرادوا أن يسيطروا على موانئ الدول الإسلامية في اليمن والحجاز، والخليج العربي، كما حارب العثمانيون الروافض الذين قويت شوكتهم، والذين هزمهم السلطان سليم الأول<sup>(٢)</sup>.

### . الشيعة:

فرقة مشهورة، وهي طوائف كثيرة منها الرافضة<sup>(٣)</sup>، والزيدية<sup>(٤)</sup>، والإسماعيلية<sup>(٥)</sup>، فالرافضة والإسماعيلية يوجدون في إيران وباكستان، وهناك قسم من الروافض في بعض البلدان العربية مثل العراق ولبنان وبلدان الخليج.

---

أهل الجنة إلى الله تعالى ولا يروونه فيها، وأن الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان، وأنكروا جميع صفات الحق - عز وجل -، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، انظر: **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل**، لعبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الحيلي (ت: ٥٦١ هـ)، تحقيق، أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، (١٨٥/١)، و **الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار**، علي محمد محمد الصلّابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م، (٢٠٩/٢).

١ . **الشيعة**: هم الذين شايعوا علياً -عليه السلام- على الخصوص، وقالوا بإمامته، خلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت تكون بظلم من غيره أو ببقية من عنده، انظر: **الملل والنحل**، للشهرستاني، (١٤٦ / ١).

٢ . انظر: **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين**، لزياد أبو غنيمة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٠٣هـ، ص١١٠، ١١١، وتاريخ الدولة العثمانية، لعلي حسون، ص٥١، والعالم الإسلامي، لعمر رضا كحالة، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط٣، ١٤٠٤هـ، (٢ / ١٨٣، ٢١٦).

٣ . **الرافضة**: هي الإمامية الذين قالوا بإمامة علي -عليه السلام- بعد النبي -عليه السلام- . نصاً وظاهراً، وتعييناً صادقاً، انظر: **الملل والنحل**، للشهرستاني، (١ / ١٦٢).

٤ . **الزيدية**: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كما يدعون، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، ومن أصولهم جواز إمامة المفضل مع وجود الفاضل، فأقروا إمامة أبي بكر وعمر، انظر: **الملل والنحل**، للشهرستاني، (١ / ١٥٤).

٥ . **الإسماعيلية**: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذين أتتوا له الإمامة، وهو أمر لم تثبته الرافضة، ويعرفون أيضاً بالباطنية، والقرامطة، والمزديكية، انظر: **الملل والنحل**، للشهرستاني، (١ / ١٩١).

أما الزيدية فتوجد في اليمن، وهي أعدل طوائف الشيعة، فلا يكفرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويجوزون إمامتهما، مع وجود الفاضل، وهو علي . رضي الله عنه . كما يرون .

ومن أخبث هذه الطوائف الرافضة، فإنهم يكرهون أبا بكر وعمر وعثمان، وعامة المهاجرين، ويكفرون العلماء والأئمة من السلف الصالح؛ مثل: سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>، والثوري<sup>(٢)</sup>، وأبي حنيفة<sup>(٣)</sup>، ومالك<sup>(٤)</sup>، والشافعي<sup>(٥)</sup>، ويستحلون دماء من خرج عن عقيدتهم<sup>(٦)</sup>.

قال شيخ الإسلام بن تيمية<sup>(٧)</sup>: (ويرون في أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هؤلاء، ولا ذبائحهم، وأن المائعات التي عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة، ويرون أن كفرهم أغلظ من

---

١ . هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان فقيها ومحدثا، كثير الزهد والورع، توفي ( سنة : ٩٤هـ )، في المدينة، انظر : الأعلام، للزركلي، ( ٣ / ١٥٥ ).

٢ . سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، توفي في البصرة ( سنة : ١٦١هـ )، انظر : فيات الأعيان، ( ١ / ٢١٠ )، وشذرات الذهب، للحنبلي، ( ١ / ٣٥٠ ).

٣ . سبقت ترجمته، ص ١٩ .

٤ . هو مالك بن أنس بن عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ومؤسس المذهب المالكي، عربي الأصل، من التابعين، ولد مالك بن أنس بالمدينة المنورة، ( سنة : ٩٣هـ )، وعاش كل حياته بها في مهبط الوحي ومقر التشريع وموطن جمهرة الصحابة ومحط رجال العلماء والفقهاء، ولم يرحل من المدينة إلا إلى مكة حاجًا، مات في المدينة ودفن بالبقيع، ( سنة : ١٧٩هـ )، ويعتبر مالك إمام أهل الحجاز في عصره وإليه ينتهي فقه المدينة، وقد أجمع العلماء على أمانته ودينه وورعه، انظر : الأعلام، للزركلي، ( ٥ / ٢٥٧ ).

٥ . سبقت ترجمته، ص ٧٧ .

٦ . انظر : **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاسمي القاسمي النجدي الحنبلي وابنه، ط ٢، ١٢٩٩هـ، ( ٢٨ / ٤٧٧ )، وتبديد الظلام، لإبراهيم الجبهان، مكتبة الحرمين، الرياض، ١٤٠١هـ، ص ٥٠٤ .

٧ . هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، ( سنة : ٦٦١هـ )، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق ( سنة : ٧١٢ هـ )، واعتقل بها ( سنة : ٧٢٠هـ )، وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، ( سنة : ٧٢٨هـ )، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، انظر : الأعلام، للزركلي، ( ١ / ١٤٤ ).

كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء كفار مرتدون، وكفرة الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي<sup>(١)</sup>.

ومعروف عن الرافضة أنهم يعتقدون نقصاً وتحريفاً في القرآن، وذلك مسطور عندهم في أمهات كتبهم المعتمدة، وقد ألف أحد محدثيهم المسمى النوري الطبري<sup>(٢)</sup> كتاباً يزعم فيه تحريف القرآن سماه: فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب، وفي أوائل القرن العاشر الهجري زادت قوة الرافضة، فدخلوا العراق وقتلوا كثيراً من علماء السنة، ولكن حب العثمانيين الأتراك للسنة جعلهم يهبون لنجدة إخوانهم فدخلوا عاصمتهم تبريز وطردوهم من العراق، ووقفوا سداً منيعاً في وجوه أهل البغي والضلال<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الحالة العلمية

أثرت الفتن الداخلية والخارجية، وأثرت هذه الأحداث على الحالة العلمية والثقافية في منتصف القرن العاشر إلى حد ما، فضعفت العلوم وقل الاهتمام بها، وكان مطلع القرن العاشر يعد امتداداً للقرن التاسع، وهو القرن الذي كانت فيه حركة علمية جديدة وخصوصاً في مصر نظراً لأنها كانت دار الخلافة<sup>(٤)</sup>، قال السيوطي: (واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رجال فضلاء)<sup>(٥)</sup>.

وقد شجع كثير من السلاطين المماليك النشاط العلمي، وكان بعضهم يحضر مجالس العلم، فمثلاً السلطان الغوري كان يعقد المجالس العلمية بالقلعة كل أسبوع مرة أو مرتين، (فأصبحت مصر في عهد سلاطين المماليك ميداناً لنشاط علمي واسع، يدل عليه ذلك

١ . مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٨ / ٤٧٨).

٢ . هو حسين بن محمد بن تقي النور الطبري، محدث إمامي، عالم بالسير والتاريخ، له مصنفات عديدة، ولد في إيران، وتوفي في النجف سنة: ١٣٢٠هـ، انظر: أعيان الشيعة، لمحسن الأمين العاملي، (٢٧ / ١٣٩)، والأعلام، للزركلي، (٢ / ٢٥٧).

٣ . انظر: الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ص ١٦٩.

٤ . المراد بالخلافة: خلافة العباسيين في مصر، وهي خلافة اسمية، فعندما انتهت الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار، انتقل من بقي من العباسيين إلى مصر، وهناك جعلت لهم الخلافة اسماً، والسلطة في أيدي المماليك.

٥ . حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ١، ١٩٦٧م، (٢ / ٩٤).

التراث الضخم من موسوعات أدبية، وكتب تاريخية، ومؤلفات في العلوم الدينية تركها علماء ذلك العصر<sup>(١)</sup>.

ويعتقد كثير من الناس أن سقوط الخلافة في بغداد هو بداية الانحطاط العلمي في العالم الإسلامي، حتى شاع عند كثير من المتعلمين أنه بمجرد أن يذكر سقوط بغداد تبادر إلى أذهانهم التخلف والجهل، والواقع أن سقوط الخلافة في بغداد أصاب الأمة بهزة من جميع النواحي، ومن بينها الناحية العلمية، إلا أن هذه الهزة لم تستطع إيقاف مسيرة العلم والتقدم الفكري في الأمة الإسلامية، (فبنت في مصر مراكز العلم ودور المعرفة والمكتبات فأصبحت ملاذ العلماء ومأوى طلبة العلم الذين يفدون عليها من كل مكان، ولم يمنع الاضطراب السياسي الداخلي في مصر من نشوء حركة علمية قوية)<sup>(٢)</sup>، وكذلك في بلاد الشام وغيرها، ويمكن إجمال الأسباب التي جعلت الحركة العلمية تزدهر وخصوصاً في مصر خلال العصر المملوكي وذلك لعدة أسباب:

. إنشاء المكتبات وخزانات الكتب التي ضمنت أنواع المصنفات الثمينة.

قوة نفوذ العلماء لدى السلطات الحاكمة، وشعور الحكام أنهم الدولة التي تدافع عن المسلمين.

. تشجيع السلاطين للعلماء ورصد الأوقاف على المدارس والمساجد وحضور كثير من الأمراء دروس العلماء.

كما اهتم العثمانيون بأمر الدين وتعظيم الفقهاء، واهتموا أيضاً بأمر الحجاز وخصوصاً الحرمين الشريفين، وبنوا فيها المدارس.

وبدأ الركود يدب إلى الحياة العلمية والفكرية في مصر وغيرها من بلدان المسلمين منذ منتصف القرن العاشر، ويعتبر العهد العثماني بالنسبة للبلاد العربية عموماً ومصر خصوصاً العلمي، وإن كان ذلك غير مقصود، فلم يعد هناك اهتمام بالعلم كما كان من قبل، ويعتبر القرن العاشر وما بعده من الفترات التي قلت فيها المراجع التاريخية التي تتحدث عن تلك الفترة؛ بل اعتبرت نادرة الوجود، نظراً لانصراف الناس عن العلم.

١ . العصر المماليكي في مصر والشام، لسعيد عاشور، ص ٣٤١.

٢ . المرجع السابق، ص ٣٤٢.

قال الجبرتي<sup>(١)</sup> عن قلة اهتمام الناس بالتاريخ في تلك الفترة: (ولم تنزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعنتي بتدوينه سلفاً عن سلف وخلفاً من بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه)<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني هذا أن كلام الجبرتي يعم العهد العثماني كله، على أنه لا ينكر أن المراجع التاريخية التي تتكلم عن فترة القرن العاشر وما بعدها قليلة جداً، كما أن تسرب الكتب التاريخية من مصر إلى البلاد الأخرى أدى إلى تدهور علم التاريخ في تلك الفترة، فأصبحت المعلومات عنها قاصرة، نظراً لذهاب تلك المراجع، وقد ذكر الجبرتي أسماء الكتب التاريخية التي يعرفها، ثم قال: (وهذه صارت أسماء من غير مسميات، فإننا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء بقيت في بعض خزائن الأوقاف بالمدراس مما تداولته أيدي (الصحافيين)، وباعها القومة المباشرون، ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان)<sup>(٣)</sup>.

ولعل من أبرز الأسباب التي عملت على تدهور الناحية العلمية في تلك الفترة ما يلي:

. اضطراب شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ حيث اشتد الصراع على الحكم، وكثرت المظالم وازدادت الضرائب، واختفى الشعور بالأمن والاستقرار، فانعكس ذلك كله من الناحية العلمية، لأن العلم لا يزدهر إلا في جو الرخاء والأمن والعدل.

. أدى التدهور من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى هبوط مستوى المعيشة الذي ترتب عليه انصراف الناس إلى طلب الرزق، فانتشر الجهل وقل

---

١ . هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، مؤرخ مصر، ومدون وقائعها وسير رجالها، في عصره، ولد في القاهرة، سنة: (١١٦٧هـ)، وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبة الديوان، وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، وقتل له ولد فبكاه كثيراً حتى ذهب بصره، ولم يطل عماء فقد عاجلته وفاته، مخنوقاً، وهو مؤلف (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، ويعرف بتاريخ الجبرتي، ابتداء بحوادث (سنة: ١١٠٠ هـ) - وانتهى (سنة: ١٢٣٦ هـ)، وقد ترجم إلى الفرنسية، توفي (سنة: ١٢٣٧هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٣/٣٠٤).

٢ . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (ت: ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت، ط، بدون، ت، بدون، (١/٩).

٣ . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي، (١/ ١١)، وانظر: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠هـ، (٣/ ١٩٩).

المتعلمون، وهذا لا يعني انعدام العلماء؛ بل هناك علماء أفاضل درسوا العلم، وحافظوا على علوم الشريعة واللغة.

### المدارس:

كانت المدارس تقوم بتدريس بعض العلوم الشرعية خاصة الفقه، ويقوم العالم الذي يتولى التدريس بتدريس الفقه على مذهبه، فالطالب الذي يريد أن يدرس مذهباً معيناً يتجه إلى شيخ المذهب في المدرسة، ويتلقى العلوم على يديه، وسبل العلم مفتوحة للجميع، وبعد أن يتم الطالب الدراسة، ويكون أهلاً للإجازة، يمنحه شيخه إجازة بذلك تفيد أن الطالب قد درس على يديه كذا وكذا، وقد كانت المدارس كثيرة في عهد المماليك في بلاد الشام ومصر؛ مثل: المدرسة الظاهرية التي بناها السلطان الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup>، والمدرسة الأشرفية التي بناها السلطان الأشرف برسباي الدقماقي<sup>(٢)</sup>.

والمدرسة الغورية التي بناها السلطان الغوري، وفي عهد العثمانيين بدأت تقل وتهمل، حتى إن النظار قد تصرفوا في شؤون المدارس الموقوفة على خلاف شروط وقفها، ومع ذلك وجدت بعض المدارس في اسطنبول والشام ومكة، منها المدارس المعروفة بالسليمانية التي بناها السلطان سليمان الأول، قال العصامي بعد حديثه عن السلطان سليمان الأول: (وبنى المدارس المعروفة بالسليمانية للأربعة الأئمة المالكي ثم الحنفي ثم الشافعي ثم الحنبلي)<sup>(٣)</sup>.

---

١ . هو بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والخبار والآثار، مولده بأرض القيقاق، سنة: ٦٢٥هـ، وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة، فاشتره الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى كان (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك (المظفر) قُطِرَ، توفي في دمشق، (سنة: ٦٧٦هـ)، ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧٩/٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (٢٢٢/١٣)، وشذرات الذهب، الحنبلي، (٣٥٠/٥).

٢ . هو برسباي الدقماقي الظاهري، أبو النصر، السلطان الملك الأشرف: صاحب مصر جركسي الأصل، ولد (سنة: ٧٦٦هـ)، وكان من مماليك الأمير (دقماق) المحمدي وأهداه إلى (الظاهر) بقوق، فأعتقه واستخدمه في الجيش، فتقدم إلى أن ولي نيابة طرابلس الشام في أيام المؤيد (شيخ بن عبد الله) ثم اعتقل بقلعة (المرقب) مدة طويلة، وأطلق، واعتقل بقلعة دمشق، فأخرجه الظاهر ططر وجعله (دوادارا) كبيراً له بمصر، توفي بقلعة القاهرة، (سنة: ٨٤١هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤٨/٢)، وشذرات الذهب، للحنبلي، (٢٣٨/٧).

٣ . سمط النجوم العوالي، للعصامي، (٧٤/٤).

## المساجد:

أما المساجد التي كانت تقوم بنشر العلم فعلى رأسها الجامع الأزهر الذي بقي منارة شامخة للعلم في القاهرة، واستطاع بعون من الله أن يقف في جميع الظروف محافظاً على اللغة والدين دائماً عن حمى الثقافة الإسلامية. ومن هذه المساجد مسجد محمد أبي الذهب<sup>(١)</sup> الذي قرر أن يدرس فيه المذهب الحنفي والمالكي والشافعي وغيرها من المساجد<sup>(٢)</sup>.

## المكتبات:

للمكتبات دور عظيم في نشر الثقافة والعلم، وقد اهتم المسلمون بالكتب والمكتبات، وازدهرت أسواق الوراقين الذين يكتبون الكتب وينسخونها، ثم بدأت تقل بعد ذلك وخصوصاً في بداية القرن العاشر، واقتصرت المكتبات على بعض المساجد والزوايا، نظراً، لإهمال الناس لها، حتى امتدت إليها الأيدي، ونقلت إلى خارج مصر، ولم يكن في عصر العثمانيين مكتبات مشهورة في مصر، ما عدا مكتبة الأزهر التي كانت تطل على بركة الأزبكية<sup>(٣)</sup>، ويقوم على المكتبة خازن الكتب، ومهمته ترتيب الكتب وتنظيمها وإرشاد القراء إليها.

---

١ . لم أعثر له على ترجمة.

٢ . انظر: القاهرة، لشحاته عيسى إبراهيم، دار الهلال، القاهرة، ط بدون، ص ٢٠٦،

٣ . انظر: القاهرة، لشحاته إبراهيم، ص ٢٠٦.

## **المبحث الرابع:**

### **التعريف بتفسير الإمام الخطيب الشربيني**

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: التعريف بالكتاب.**

**المطلب الثاني: قيمته العلمية.**

**المطلب الثالث: مصادره في التفسير.**

**المطلب الرابع: منهجه في التفسير.**

## المطلب الأول

### التعريف بالكتاب.

#### اسم الكتاب وصحة نسبته إلى مصنفه:

قال الخطيب الشربيني في مقدمة تفسيره: (وقد ألف أئمة السلف كتباً في معرفة أحكام القرآن الكريم ونزوله كل على قدر فهمه، ومبلغ عمله، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم، ثم خطر لي أن أقتفي أثرهم وأسلك طريقهم؛ لعل الله أن يرزقني من مددهم، ويعود عليّ من بركتهم،....إلى أن قال: وسميته: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن هذا يدل على صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى، وقد نسب إلى مؤلفه فسمي: تفسير الخطيب الشربيني.

#### سبب وضع هذا التفسير:

يذكر الإمام الشربيني سبب وضعه لتفسيره: (السراج المنير)؛ فيقول: إنه استخار الله . تعالى . بعد أن صلى ركعتين في روضة النبي ﷺ وسأله أن يشرح صدره لذلك ويبسره له، فشرح الله صدره، ولما رجع من سفره كتم ذلك في سره، حتى قال له شخص من أصحابه: إنه رأى في المنام النبي ﷺ أو الشافعي يقول: قل لفلان يحمل تفسيراً على القرآن، ولم يمض عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان<sup>(٢)</sup>، ثم سأله بعد ذلك جماعة من أصحابه المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين - بعد أن رأوه فرغ من شرح (منهاج الطالبين) - أن يجعل لهم تفسيراً وسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل، فأجابهم إلى ذلك مقتدياً بالماضين من السلف في

١ . انظر: السراج المنير، للشربيني، (١ / ٢، ٣).

٢ - بيمارستان، بكسر الموحدة، وسكون الياء بعدها، وكسر الراء، ومعناه: دار المرضى، وهو فارسي معرب، وبیمار، عندهم هو المريض، وأستان بالضم: المأوى، ثم خفف فحذفت الهمزة، ولما حصل التركيب أسقطوا الياء والياء عند التعريب، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، حققه: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط بدون، (١٦ / ٥٠٠).

تدوين العلم إبقاء على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر للطلابين فيه الجد والجهد، تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمتنبطين<sup>(١)</sup>.

وقد سأل الله . -ﷻ- من فضله وإحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالإخلاص والقبول، وفعلاً متقبلاً مرضياً زكياً يعد من صالح الأعمال، ثم شرع في تفسير القرآن الكريم مبتدأً بفاتحة الكتاب إلى آخر سورة الناس.

ونستخلص من هذا أن الخطيب الشربيني كان يهدف من تأليف تفسيره، إلى الآتي:

- . غاية دينية، وتتمثل في إرضاء الله تعالى، حيث يقدم عملاً يرضي به ربه.
- . تقديم تفسير وسطاً، لا هو بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل.
- . مراعاة التجديد بما يناسب الزمن الذي عاشه الخطيب الشربيني.
- . أن يجمع خلاصة ما في كتب السابقين من أحكام وقراءات وإعراب.

#### مدة تأليف الكتاب وتاريخه وحجمه:

لم يشر الخطيب الشربيني إلى الفترة الزمنية التي قضاها في تأليف تفسيره، كذلك فإن الناشر لم يشر إلى شيء من ذلك، غير أن الخطيب الشربيني يذكر أنه عندما فرغ من تأليف كتابه: (منهاج الطالبين) سأل بعض الراغبين في طلب العلم أن يؤلف لهم تفسيراً مختصراً؛ وهذا يعني أنه شرع في تأليفه بعد انتهائه من تأليف الكتاب الآنف ذكره، ولا نعلم متى كانت بداية تأليفه للتفسير بالضبط، غير أنه صرح . رحمه الله تعالى . في خاتمة تفسيره إلى سنة انتهائه من كتابته حيث قال: "وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك؛ ثالث عشر صفر الخير، من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة، على يد مؤلفه فقير رحمة الله ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب"<sup>(٢)</sup>.

والكتاب مطبوع في دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م، وقد طبع في أربعة أجزاء، الجزء الأول يتكون من ٧٥٧ صفحة، والجزء الثاني يتكون من ٧١٧

١ . انظر: السراج المنير، للشربيني، (١/ ٣، ٤).

٢ . المرجع السابق، (٤/ ٦١٩).

صفحة، والجزء الثالث يتكون من ٧٣٩ صفحة، والجزء الرابع يتكون من ٧٢٨ صفحة، وبهذا يكون إجمالي صفحات الكتاب: (٢٩٤١)؛ إحدى وأربعين وتسعمائة وألفي صفحة.

كذلك طبع أيضاً في مطبعة بولاق الأميرية بالقاهرة، عام: ١٢٨٥هـ، ويتكون الجزء الأول من ٦٥٩ صفحة، والجزء الثاني من ٦٧٨ صفحة، والجزء الثالث من ٦٠٣ صفحة، والجزء الرابع من ٦٢٠ صفحة، وبهذا يكون إجمالي صفحات الأجزاء الأربعة (٢٥٦٠)؛ ستين وخمسمائة وألفي صفحة.

## المطلب الثاني

### قيمه العلمية

يمكن أن نستخلص القيمة العلمية لهذا التفسير من خلال تقرّظ العلماء للكتاب وثنائهم عليه، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

قال صاحب كتاب التفسير والمفسرون: وعلى كل "إن كتاب السراج المنير من أجل الكتب وأفضلها، وهو تفسير سهل المأخذ، ممتع العبارة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، نقل فيه صاحبه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف، كما أنه يذكر أحياناً أقوال من سبقه من المفسرين كالزمخشري، والبيضاوي، والبغوي، وقد يوجه ما يذكره من هذه الأقوال ويرتضيها، وقد يناقشها ويرد عليها".<sup>(١)</sup>

ويقول صاحب كتاب مناهج المفسرين: "ولقد حاول الشيخ حقا أن يجرّد كتابه عن الروايات الضعيفة وينتقد ما ذكره منها المفسرون ولكنه هو لم يسلم من إيراد بعضها، ولكن يلاحظ أن الروايات الضعيفة التي يأتي بها عليها جميعها سمة الموعظة والعبرة، وليس فيها ما يمس أمراً من أمور الدين في أصوله أو في فروعها، والملاحظ في التفسير أن أسلوبه سهل وعبارته فصيحة"<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن: "تفسير الخطيب: كتاب عظيم يعني بثلاثة أشياء تقرير الأدلة وتوجيهها والكلام على المناسبات بين السور والآيات وسرد كثير من القصص والروايات"<sup>(٣)</sup>.

وقال الشربيني في خاتمة كتابه: "قدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد"<sup>(٤)</sup>، أو درأً منضداً<sup>(١)</sup>، مظهراً لدقائق استعملنا الفكر فيها إذا الليل جن"<sup>(٢)</sup>.

١ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٢).

٢ . مناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم، ص ٢٦١.

٣ . مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، (٢/ ٦٨).

٤ . العسجد: الذهب، وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت، انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٣/ ٢٩٠).

إن كتاب السراج المنير له قيمة علمية عظيمة عند علماء المسلمين عامة، وعند المفسرين خاصة، لما فيه من الدقة العلمية وحسن الصوغ، وجمال التعبير، مما جعل كثيراً من العلماء يعترفون بقيمته العلمية، وجعلوه مرجعاً مهماً يعتمد عليه في تفسير كتاب الله تعالى؛ كما ذكرنا آنفاً.

---

١ . المنضد: نضد العقد: بلغ في ضم بعضه إلى بعض، في اتساق وانسجام، نضد أحرف الطباعة: صفها، رتبها، جمع بعضها إلى بعض، وألف منها كلمات، انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، ت: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، (٣/ ٢٢٢٦).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٤/ ٦١٨).

## المطلب الثالث

### مصادره في التفسير

تعددت مصادر الخطيب الشربيني . رحمه الله . من كتب التفسير والحديث والقراءات واللغة والسير، وقد اعتمد على التفسير بالمأثور، ومنها أقوال الصحابة والتابعين، والباحث في تفسيره يجد أنه قد ذكر أسماء المفسرين من الصحابة كعلي بن أبي طالب، وابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين-، ومن التابعين: كقتادة<sup>(١)</sup>، والحسن<sup>(٢)</sup>، ومجاهد بن جبر<sup>(٣)</sup>، وعطاء بن أبي رباح<sup>(٤)</sup>، والضحاك<sup>(٥)</sup>، وابن الحنفية<sup>(٦)</sup>.

١ - هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر، حافظ، ولد ( سنة: ٦٠ هـ)، تابعي بصري، وكان من علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة، وأيام العرب والنسب، توفي ( سنة: ١١٨ هـ)، انظر: **إنباء الرواة على أنباء النحاة**، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، توفي ٦٤٦ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، (٣ / ٣٥)، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٥ / ٢٧٠).

٢ - هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد في المدينة ( سنة: ٢١ هـ)، إمام أهل البصرة، من سادات التابعين، توفي ( سنة: ١١٠ هـ)، انظر: **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل أبيك بن عبد الله الصفدي، ت: ٧٦٤ هـ، تحقيق: أحمد الأرنبوط، وآخر، دار إحياء التراث بيروت، ط بدون، ٢٠٠٠ م، (١٢ / ١٩٠)، وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢ / ٦٩)، والأعلام، للزركلي، (٢ / ٢٢٦).

٣ - هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى سائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، تابعي، أخذ التفسير والقرآن والفقه عن ابن عباس، وسمع بعض الصحابة، توفي ( سنة: ١٠١ هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (٤ / ٤٤٩، ٤٥٠)، والأعلام للزركلي، (٥ / ٢٧٨).

٤ - هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح، تابعي، ولد في أثناء خلافة عثمان، توفي ( سنة: ١١٤ هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٥ / ٧٨).

٥ - هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، مفسر، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه وحديثه في السنن، وله باع كثير في التفسير والقصص، توفي ( سنة: ١٠٥ هـ)، بخراسان، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٤ / ٥٩٨، ٥٩٩).

٦ - هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية، وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمهم سببية اليمامة، خولة بنت جعفر الحنفي، ينسب إليها تمييزاً له عنهما، توفي ( سنة: ٨١ هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٤ / ١١٠)، والأعلام، للزركلي، (٦ / ٢٧٠).

كما أخذ من المفسرين؛ ومنهم: الماوردي<sup>(١)</sup>، والطبري، والقرطبي، والبغوي<sup>(٢)</sup> وابن كثير، والزمخشري والبيضاوي والرازي، وكذلك رجع في تفسيره إلى كتب أهل المعاني مثل: الزجاج<sup>(٣)</sup> والفراء<sup>(٤)</sup>، وغيرهما.

وكذلك فقد اعتمد على مجموعة من كتب الحديث؛ منها: صحيح البخاري<sup>(٥)</sup>، ومسلم<sup>(٦)</sup>، ومسند أحمد<sup>(٧)</sup>، وسنن أبي داود<sup>(٨)</sup>، والدارقطني<sup>(٩)</sup>، وغيرها من كتب كتب الحديث.

١ . هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، ولد ( سنة: ٣٦٤هـ )، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير والأدب، منها: أدب الدنيا والدين، والنكت، والعيون، وكان يمثل إلى مذهب الاعتزال، توفي ( سنة: ٤٥٠هـ )، ببغداد، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٨ / ٦٤)، والأعلام، للزركلي، (٤ / ٣٢٧).

٢ . هو أبو محمد الحسن بن مسعود المعروف بالفراء البغوي، الفقيه الشافعي المحدث، المفسر، الملقب بمحيي السنة، وركن الدين، توفي ( سنة: ٥١٠هـ )، تفسيره هو: معالم التنزيل، انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢ / ٢٨٥).

٣ . هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، النحوي، كان حسن الاعتقاد، وله مصنفات منها: معاني القرآن، وكان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعلمه المبرد، ولد ( سنة: ٢٤١هـ )، وتوفي ( سنة: ٣١١هـ )، انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، (٥ / ٢٢٨)، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٤ / ٣٦٠).

٤ . هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة ( سنة: ١٤٤هـ )، وكان ثقة وتوفي ( سنة: ٢٠٧هـ )، انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٦ / ١٧٦)، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٠ / ١١٨، ١١٩هـ).

٥ . سبقت ترجمته، ص ٩٠.

٦ . هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، حافظ من أئمة المحدثين، ولد سنة: ٢٠٤هـ، وتوفي ( سنة: ٢٦١هـ )، من أشهر كتبه: صحيح مسلم، جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليها عند أهل السنة في الحديث، وقد شرحه كثيرون، رتبته على الرجال، والجامع مرتب على الأبواب وغيرها، انظر: طبقات الحنابلة، لأبي الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد، توفي ٥٢٦هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط بدون، (١ / ٣٣٧)، والأعلام، للزركلي، (٧ / ٢٢١).

٧ . هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة: ١٦٤هـ، وكان وكان ممن روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، توفي ( سنة: ٢٤١هـ )، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١١ / ١٧٧-١٧٩)، والوافي بالوفيات، للصفدي، (٦ / ٢٢٥-٢٢٨).

٨ . هو عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، أبو بكر الأزدي السجستاني، من كبار حفاظ الحديث، ولد بسجستان، ( سنة: ٢٣٠هـ )، من كتبه: المصاحف، والمسند، والسنن، والتفسير والقراءات، والناسخ والمنسوخ، توفي ( سنة: ٣١٦هـ )، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤ / ٩١).

٩ . هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني الشافعي، وأول من صنف في القراءات، ولد ( سنة: ٣٠٦هـ )، من تصانيفه: كتاب السنن، والعلل الواردة في الأحاديث النبوية، وغيرها، توفي ( سنة: ٣٨٥هـ )، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٦ / ٤٤٩)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣ / ٢٩٧).

ويمكن أن نورد بعض الأمثلة الدالة على استفادته من كتب التفسير التي صنفها من سبقه من المفسرين، كالطبري، حيث أفاده . رحمه الله . من تفسير الإمام الطبري، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِيَنفَرَقُونَ ﴾ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) (١).

قال الخطيب . رحمه الله . في تفسير الروضة: وهي أرض عظيمة جداً منبسطة واسعة ذات ماء غدق، ونبات معجب بهيج، هذا أصلها في اللغة، ثم أورد قول الطبري في وصفه لجمال الروضة، وحسن رائحتها، قال الطبري: (ولا تجد أحسن منظراً، ولا أطيب نشراً من الرياض) (٢).

وتعتبر كتب التفسير بالرأي أهم مصادر الخطيب الشربيني . رحمه الله . في تفسيره، كون تفسيره يعد من كتب التفسير بالرأي (٣)، ولذا فقد استفاد من تفسير الرازي، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَازَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُم يَنكُثُونَ ﴾ (١٣٥) فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) (٤)، نقل الخطيب الشربيني . رحمه الله . قول الرازي في الآية؛ وهو وجوب النظر في الآيات التي يضربها الله للناس من أجل العبرة، وأن الذي لا ينظر فيها فإنه مذموم، قال الرازي: (والآية تدل على الواجب في الآيات النظر فيها، فلذلك ذمهم الله بأنهم غفلوا عنها، وذلك على أن التقليد طريق مذموم) (٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ لَهُ لَكِ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيَ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤٦) (٦)، أورد الشربيني في تفسيره قولاً نسبته لمجاهد والحسن: أن ولد نوح ولد حنث (٧) على فراشه، لكنه لم يرض هذا القول ورده مستشهداً

١ . سورة الروم: الآيتان: ١٤، ١٥ .

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٣ / ١٦٠).

٣ . انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١ / ١٦٥).

٤ . سورة الأعراف: الآية: ١٣٥، ١٣٦ .

٥ . السراج المنير، لشربيني، (١ / ٥٠٩)، وانظر: تفسير الرازي، لرازي، (١٤ / ٢٢١).

٦ . سورة هود: الآية: ٤٦ .

٧ . ولد حنث: أي: ولد زنا، يقال: (أولاد الحنث؛ أي: أولاد الزنا، من الحنث: المعصية)، لسان العرب، لابن

منظور، (٢ / ١٣٨).

بقول الرازي: (وهذا قول واه؛ حيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة؛ لا سيما وهو خلاف نص القرآن)<sup>(١)</sup>، ويعني به قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

كما أفاد من تفسير البيضاوي في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الخطيب الشربيني: (قال البيضاوي: والآية وإن نزلت في الحرب؛ لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات)<sup>(٤)</sup>.

كما أفاد من تفسير الزمخشري، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾<sup>(٥)</sup>، فقد بين الخطيب الشربيني . رحمه الله . أن الهمة التي كانت، إنما هي حديث نفس، ثم قال: (وقال الزمخشري: والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم يردها صاحبها إلى الثبات، والصبر ويوطنها على احتمال المكروه)<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، لشربيني، (٢ / ٦١)، تفسير الرازي، لرازي، (١٤ / ٢٣١).

٢ . سورة هود: الآية: ٤٢.

٣ . سورة النساء: الآية: ٧١.

٤ . السراج المنير، للشربيني (١ / ٣١٥)، وتفسير البيضاوي، لناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ط بدون، (٢ / ٢١٦).

٥ . سورة آل عمران: الآية: ١٢٢.

٦ . السراج المنير، للشربيني، (١ / ٢٤٣)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت . ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون، ١٤٠٧ هـ، (١ / ٤٠٩).

## المطلب الرابع

### منهجه في التفسير

بين الإمام الشرييني في تفسيره منهجه الذي سار عليه فذكر أنه اقتصر فيه على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية، وذكر أنه ما يذكره فيه من القراءات أنه من السبع المتواترة<sup>(١)</sup>، قال الشرييني: "وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها، أو لورودها، ولكن بصيغة قيل: ليعلم أن المرضي أولها"<sup>(٢)</sup>، ثم قال: (وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم وانتشرت مآثرهم)<sup>(٣)</sup>.

وقال الشرييني في خاتمة كتابه: "جمع من التفاسير معظمها، ومن القراءات متواترها، ومن الأقاويل أظهرها، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها، محرراً لدلائل في هذا الفن، مظهراً لدقائق استعملنا الفكر فيها"<sup>(٤)</sup>.

قال صاحب التفسير والمفسرون: "وقد وفى فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات إلا ما تواتر منها، ولم يقم نفسه فيما لا يعني المفسر من ذكر الأعاريب التي لا تمت إلى التفسير بسبب، كما أنه وفى بما التزمه من أنه لا يذكر فيه إلا حديثاً صحيحاً، أو حسناً، ولهذا نراه يتعقب الزمخشري، والبيضاوي في ما ذكره من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة"<sup>(٥)</sup>.

ومما يلاحظ في تفسير الخطيب الشرييني أنه يورد بعض النكت التفسيرية، وبعض الإشكالات والإجابة عنها، تارة بقوله: تنبيه، وتارة بقوله: فإن قيل كذا أجيب بكذا<sup>(٦)</sup>.

١ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٢).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (١/ ٣).

٣ . المرجع السابق، (١/ ٣).

٤ . المرجع نفسه، (٤/ ٦١٨).

٥ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٢).

٦ . المرجع السابق، (١/ ٢٤٣).

كما أنه شديد العناية بذكر المناسبات بين آيات القرآن، وعظيم الاهتمام بتقرير الأدلة وتوجيهها، وكذلك يربط بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة بأسلوب رائع وسهل ومنسجم مع السياق القرآني.

كما يلاحظ أنه يستطرد في ذكر الأحكام الفقهية ومذاهب العلماء وأدلتهم، وإن كان مقللاً في هذه الناحية، فلا يتوسع ولا يكثر من ذكر الفروع<sup>(١)</sup>.

كذلك لم يخلُ تفسير الخطيب الشربيني من ذكر الإسرائيليات الغريبة، وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف<sup>(٢)</sup>.

المطالع لتفسير الإمام الخطيب الشربيني يجده يتناول السورة القرآنية بالتفسير على النحو التالي:

- يصدر السورة بذكر اسمها، وقد يذكر اسماً آخر لها، وسر تسميتها، وبين كونها مكية أو مدنية.
- يذكر عدد آياتها وعدد حروفها.
- يفسر البسملة حسب مقاصد كل سورة وأهدافها.
- ثم يشرع في تفسير الآيات مبيناً أسباب النزول ومعاني المفردات.
- ويعرض الناسخ والمنسوخ.
- ويلتمس المناسبات بين السور والآيات.
- ويبين القراءات السبع فيها.
- ويعرض أقوال السلف في التفسير وأقوال الفقهاء في الأحكام.
- ويذكر آراء الفرق المختلفة مظهراً رأي أهل السنة والجماعة، ويستفيض في ذكر القصص.

- ويختتم كل سورة بتتبع ما يذكره البيضاوي تبعاً للزمخشري من أحاديث موضوعة في فضل السورة، ويبين ما يصح من فضائلها.

١ . التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٢٤٣).

٢ . الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد أبو شهبة، ص ٢٤٢، و التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/

## **الباب الثاني:**

**الدراسة المقارنة بين تفسير إرشاد العقل السليم لأبي  
السعود والسراج المنير للخطيب الشربيني من الجزء  
السادس عشر إلى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم  
وفيه أربعة فصول:**

**الفصل الأول: آيات العقائد عند الإمامين.**

**الفصل الثاني: الأحكام الفقهية عند الإمامين.**

**الفصل الثالث: الآيات الكونية والقصص والأمثال.**

**الفصل الرابع: علوم القرآن عند الإمامين.**

## **الفصل الأول:**

### **آيات العقائد عند الإمامين**

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: آيات الإيمان.**

**المبحث الثاني: آيات الكفر والشرك والسحر.**

# **المبحث الأول:**

## **آيات الإيمان.**

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: آيات الإيمان بالله.**
- المطلب الثاني: آيات الإيمان بالملائكة.**
- المطلب الثالث: آيات الإيمان بالكتب.**
- المطلب الرابع: آيات الإيمان بالرسول.**
- المطلب الخامس: آيات الإيمان باليوم الآخر.**
- المطلب السادس: آيات الإيمان بالقدر.**

## مدخل

علم العقيدة من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنه مختص بالعلم بالله تعالى وآياته، وأسمائه، وصفاته، وحقه على عباده، وكذلك العلم بالنبوات، وكل ما يتعلق بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار؛ ولأهمية هذا العلم نجد أن الكثير من آيات القرآن الكريم جاءت لترسخ عقيدة التوحيد بما يزيل الريب والشك، ويقوي اليقين.

### تعريف العقيدة

**العقيدة في اللغة:** من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراسة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم، وأصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً، وعقده ومنه عقد اليمين: أكدها، قصد توثيقها وعزم على البر بها وجمع عقيدة عقائد<sup>(١)</sup>.

**أما العقيدة في الاصطلاح:** فهي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك<sup>(٢)</sup>.

**والعقيدة الإسلامية:** هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والاتباع لرسوله ﷺ -<sup>(٣)</sup>.

---

١ . انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة محققين، دار الهداية، ط بدون، ت، بدون، (٣٩٤/٨)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار، (١٥٢٧/٢)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لإبراهيم مصطفى وآخرين، (٦١٤/٢).

٢ . الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، لعبد الله بن عبد الحميد الأثوي، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ، (٢٤/١).

٣ . انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، لعبد الله الأثري، (٢٤/١).

## المطلب الأول

### آيات الإيمان بالله

#### مدخل:

**الإيمان في اللغة:** التصديق، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف مع أبيهم ﴿قَالُوا يَبْنَآ إِنَّا ذَاهِبْنَآ نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَآ يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) أي: بمصدق لنا (١).

**أما الإيمان في الاصطلاح:** قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي (٢)، والإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق والرازق المحي المميت، وأنه المستحق لأن يفرد بالعبادة، والذل والخضوع، وجميع أنواع العبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيب ونقص (٣)، وأول ما يتناوله الباحث في آيات الإيمان هو: الإيمان بالله تعالى.

ونعرض في الإيمان بالله تعالى لتوحيده جل شأنه في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وذلك على النحو الآتي:

١ . سورة يوسف: الآية: ١٧ .

٢ . انظر: الإيمان بالله جل جلاله، علي محمد محمد الصَّلَّابِي، دار ابن كثير، سوريا، ط ١، ت: بدون، ص ١٦٩ .  
٣ . انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ، (١/٨٤)، والإيمان بين السلف والمتكلمين، لأحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٧ .

٤ . انظر: الأسئلة والأجوبة في العقيدة، لصالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم، (ت: ١٤٢٨هـ)، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ، (١/٢٤) .

## توحيد الربوبية:

**التوحيد في اللغة:** وحد يوحد وحادة ووحدة ووحداً، وتقول: بقيت وحيداً فريداً حريداً بمعنى واحد<sup>(١)</sup>.

**أما التوحيد اصطلاحاً:** بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بالنعيم، وربى خواص خلقه - وهم الأنبياء وأتباعهم - بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين<sup>(٢)</sup>.

وبمعنى آخر: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال ما سبق نذكر مثالين على ذلك:

### الآية الأولى:

**قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

**قال الإمام أبو السعود:** " وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾: من تمام كلام عيسى - عليه السلام -، قيل: هو عطف على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>؛ داخل تحت القول، وقد قرئ بغير واو، وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام؛ أي: ولأنه تعالى ربي

١ . انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤٤٨/٣).

٢ . القول السديد شرح كتاب التوحيد، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط ٣، ت بدون، (١٩/١).

٣ . تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط بدون، ت بدون، (١٧/١).

٤ . سورة مريم: الآية: ٣٦.

٥ . سورة مريم: الآية: ٣٠.

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>، وقيل: معطوفٌ على الصلاة، ﴿هَذَا﴾؛ أي: الذي ذكرته من التوحيد ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ لا يضلُّ سالكه<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطيب الشربيني: "وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ إخبار عن عيسى -عليه السلام- أنه قال ذلك، وقرأ ابن عامر والكوفيون<sup>(٣)</sup> بكسر الهمزة على الاستئناف، والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجرّ متعلق بما بعده<sup>(٤)</sup>، والتقدير: ولأنَّ الله ربي وربكم ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده؛ لتفرده بالإحسان كما أعبدته؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، والمعنى: لوحدانيتها أطيعوه، وقيل: إنه عطف على الصلاة، والتقدير: وأوصاني بالصلاة، وبأنَّ الله...، وإليه ذهب الفراء<sup>(٥)</sup>، ﴿هَذَا﴾؛ أي: الذي أمرتكم به ﴿صِرَاطٌ﴾؛ أي: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: يقود إلى الجنة<sup>(٦)</sup>.

## الدراسة:

١ . سورة الجن: الآية: ١٨ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٥/٥).

٣ . الكوفيون: المقصود بالكوفيين هنا من نسبت إليه إحدى القراءات العشر من طريقي الشاذبية والدرّة المضية وهم أربعة: عاصم والكسائي وحمة وخلف العاشر، والكوفة هي الرملة الحمراء، وبذلك سميت المدينة المعروفة، وقيل اشتقاقها من التكوف: وهو التجمع، والكوفة سميت كوفة لاستدارتها. أخذ من قول العرب: رأيت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها: للرملة المستديرة، ويقال سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوف الرمل يتكوف تكوفا: إذا ركب بعضه بعضا، ويقال: الكوفة، أخذت من الكوفان، يقال: هم في كوفان أي: في بلاء وشر. قال الشاعر: (وما أضحى ولا أمسيت إلا ... رأيتني منكم في كوفان، انظر: إكمال الأعلام بتثليث الكلام، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، (المتوفى: ٦٧٢هـ): تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (٥٥٤/٢)، والبيت الشعري ذكره الطبري في تفسيره ولم ينسبه (٣٥٢/٢).

٤ . انظر: الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (٢٠٢/٥).

٥ . سبقت ترجمه، ص ١٢٤.

٦ . السراج المنير، للشربيني، (٤٢٦/٢).

يعرض أبو السعود قضية توحيد الربوبية عرضاً سريعاً فيقول: «ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه؛ هذا: أي: الذي ذكرته من التوحيد ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ لا يضلُّ سالكه».

وعلى هذا النحو يقول الخطيب الشربيني: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾؛ لتفرده بالإحسان كما أعبدته... والمعنى: لوحدانيته أطيعوه).

والملاحظ أن الخطيب الشربيني يكاد يتفق تماماً مع الإمام أبي السعود في عرض هذه الآية، حيث يذكر أن الآية من تمام كلام عيسى -عليه السلام- وبهذا قال الزمخشري<sup>(١)</sup>، والشوكاني<sup>(٢)</sup>، والآلوسي<sup>(٣)</sup>، والبيضاوي<sup>(٤)</sup>، والنسفي<sup>(٥)</sup>، أما الخطيب الشربيني فيذكر أن الله تعالى أخبرنا أن عيسى -عليه السلام- قال ذلك، وبه قال أبو الطيب<sup>(٦)</sup>، والقاسمي<sup>(٧)</sup> فالمعنى واحد مع اختلاف العبارتين.

كذلك فقد اتفقا على تقدير اللام، حيث أشار أبو السعود إلى ذلك بقوله: «وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام»<sup>(٨)</sup>؛ أي: ولأنه تعالى ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾، كما أشار

---

١ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (١٧/٣).

٢ . فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، (٣/٣٩٤).

٣ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، (٣/٣٧٢).

٤ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٢/١٣٨).

٥ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، (٢/٢٨٠).

٦ . فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ط بدون، ١٤١٢هـ، (١٢/٣٧٠).

٧ . محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٤/٢١٢).

٨ . انظر: الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (٥/٢٠٢).

الخطيب الشربيني إلى ذلك بقوله: «وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الهمزة على الاستئناف، والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجرّ متعلق بما بعده، والتقدير<sup>(١)</sup>: ولأنّ الله ربي وربكم ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده».

كما اتفقا أيضاً في الاستشهاد بالآية القرآنية: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهو التفسير بالمأثور، كما تقدم ذكره، وإن اختلفت بعض العبارات عن بعض فالمضمون واحد، حيث قال أبو السعود في تفسير: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: ﴿هَذَا﴾؛ أي: الذي ذكرته من التوحيد، ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ لا يضلّ سالكه، وبه قال الطبري<sup>(٣)</sup>، والحنفي<sup>(٤)</sup>، وأبو العباس<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٧)</sup>،... بينما يقول الخطيب الشربيني: هذا أي: الذي أمرتكم به ﴿صِرَاطٌ﴾؛ أي: أي: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: يقود إلى الجنة، وبه قال الرازي<sup>(٨)</sup>.

ويرى الباحث أن ظاهر الخلاف بينهما في تفسير هذه الآية يتمثل في أن الخطيب الشربيني - في تفسير هذه الآية - يعزو الأقوال والآراء إلى أصحابها، خلافاً لأبي السعود؛ فإنه يعتمد صيغة قيل، دون أن ينسب شيئاً من الأقوال والآراء إلى أحد.

١ . الحجة للقراء السبعة، للفراسي، (٢٠٢/٥).

٢ . سورة الجن: الآية: ١٨.

٣ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ، (١٩٧/١٨).

٤ . روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، ط بدون، ت بدون، (٣٣٤/٥).

٥ . البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط بدون، ١٤١٩هـ، (٣٣٢/٣).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٣٩٤/٣).

٧ . فتح البيان، لأبي الطيب، (١٦١/٨).

٨ . مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٥٣٩/٢١).

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى، فإن من بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان؟ وهو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من ربك، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: لترتيب ما بعدها من موجب الأمرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما، وقيل: من كونه تعالى غير تارك له - ~~الملكوت~~ -، أو غير ناس لأعمال العاملين، والمعنى: فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده... الخ، فإن إيجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه، أو حين عرفت أنه تعالى لا ينساك أو لا ينسى أعمال العاملين كائناً من كان فأقبل على عبادته، واصطبر على مشاقها، ولا تحزن بإبطال الوحي وهُزء الكفرة، فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة، وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق، كقولك للمبارز: اصطبر لقرنك؛ أي: اثبت له فيما يورد عليك من شدائده، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ السمي: الشريك في الاسم، والظاهر أن يراد به هاهنا: الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك، وهو رب السموات والأرض وما بينهما، والمراد بإنكار العلم ونفيه: إنكار المعلوم ونفيه على أبلغ وجه وأكده، فالجملة تقرير لما أفاده الفاء من عليّة ربوبيته العامة لوجوب عبادته، بل لوجوب تخصصها به تعالى ببيان استقلاله - ~~عنه~~ - بذلك الاسم، وانتفاء إطلاقه على الغير بالكلية حقاً أو باطلاً، وقيل: المراد هو: الشريك في الاسم الجليل، فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً، وقيل: هو: الشريك في اسم الإله، والمراد بالتسمية: التسمية على الحق، فالمعنى: هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق إليها؟ وأما التسمية على الباطل فهي كلاً

١ . سورة مريم: الآية: ٦٥.

تسمية، فتقريرُ الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الإشعار باستحقاق العبادة فتدبر<sup>(١)</sup>.

**وقال الخطيب الشربيني:** "قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فلا يجوز عليه النسيان إذ لا بدّ أن يمسكهما حالاً بعد حال وإلا لبطل الأمر فيهما وفيمن يتصرّف، والآية دالة على أنّ الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لأنّ فعل العبد حاصل بين السماء والأرض؛ وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ خطاب للنبي -ﷺ- مرتب على ما تقدّم، أي: لما عرفت أنّ ربك لا ينساك فاعبده بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي من مثلك، واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزه الكفار بك.

فإن قيل: لم يَقل واصطبر على عبادته؛ لأنها صلته فكان حقه تعديه بعلى؟ أجيب: بأنه ضمن معنى الثبات؛ لأنّ العبادة ذات تكاليف قلّ من يثبت لها فكانه قيل: اثبت لها مصطبراً؛ كقولك للمحارب اصبر لقرنك، ثم علل ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: هل تعلم له مثلاً؛ أي: نظيراً فيما يقتضي العبادة والذي يقتضيها؛ كونه منعماً بأصول النعم وفروعها، وهي خلق الأجسام والحياة والعقل وغيرها، فإنه لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى، وإذا كان قد أنعم عليك بغاية الإنعام وجب أن تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة.

وقال الكلبي<sup>(٢)</sup> هل تعلم أحداً تسمى الله غيره؟، فإنهم وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شيء<sup>(٣)</sup>

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٧٣/٥-٢٧٤).

٢ . هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، رواية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها سنة: (١٤٦هـ) وهو من (كلب بن وبرة) من قضاة، وصنف كتاباً في (تفسير القرآن) وهو ضعيف الحديث، قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير، وقيل: كان سبئياً، من أصحاب (عبد الله بن سبأ) الذي كان يقول إن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لم يمت وسيرجع ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً! وهو أبو (هشام) صاحب كتاب (الاصنام)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٢٤٨/٦)، ومعجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، والأعلام للزركلي، (١٣٣/٦).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٤٣٨/٢).

## الدراسة:

يرى الباحث أن أبا السعود يعرض مسألة توحيد الربوبية بقوله: «والمعنى: فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده...الخ، فإن إيجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه، أو حين عرفت أنه تعالى لا ينساك أو لا ينسى أعمال العاملين كائناً مَنْ كان فأقبل على عبادته، واصطبر على مشاقها، ولا تحزن بإبطال الوحي وهُزِرَ الكفرة، فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة»، وهذه هي معاني الربوبية.

ثم يعرض توحيد الربوبية بنفي الشريك في الاسم فيقول: «السمي: الشريك في الاسم، والظاهر أن يراد به هاهنا: الشريك في اسم خاص قد عبّر عنه تعالى بذلك، وهو ربُّ السموات والأرض وما بينهما، والمراد بإنكار العلم ونفيه: إنكار المعلوم ونفيه على أبلغ وجهٍ وآكده، فالجملة تقريرٌ لما أفاده الفاء من عليّة ربوبيته العامة لوجوب عبادته، بل لوجوب تخصّصها به تعالى ببيان استقلاله -ﷻ- بذلك الاسم، وانتفاء إطلاقه على الغير بالكلية حقاً أو باطلاً»، فإذا كان نفي الشريك حتى في الاسم فهو في غيره أكد وأبعد، وأما الخطيب الشربيني فيشير إلى توحيد الربوبية بصريح العبارة فيقول: «والآية دالة على أنّ الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما».

ثم يقترب كثيراً من عبارة أبي السعود السابقة فيقول: «لما عرفت أنّ ربك لا ينساك فاعبده بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي من مثلك، واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفار بك».

هذا ويجد المتأمل في تفسير هذه الآية أن الإمامين الجليلين: أبا السعود العمادي، والخطيب الشربيني يتفقان في المضمون، ويختلفان في العبارة والأسلوب، فكلاهما يذكر استحالة النسيان على الله تعالى، على الرغم من أن النسيان جاء في الآية السابقة ولم يرد في هذه الآية، وهذا يعني أن كليهما لم يفسر الآية بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، وهذا حال أغلب المفسرين كالطبري<sup>(١)</sup>، والماتريدي<sup>(٢)</sup>،

١ . جامع البيان، للطبري، (٢٣٦/١٨).

٢ . تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، (٢٥٠/٧).

والبيضاوي<sup>(١)</sup>، والشوكاني<sup>(٢)</sup>، فقد أشار هؤلاء جميعاً إلى هذا المعنى الذي ذكره أبو السعود والخطيب الشربيني.

كما أن كيلهما - أبا السعود والخطيب الشربيني - أشار إلى تعدية الاصطبار باللام دون حرف الاستعلاء «على»، حيث قال تعالى: ﴿وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ولم يقل: واصطبر على عبادته، ثم جاء تعليل ذلك متفقاً لديهما، وإن اختلفت العبارة والأسلوب، وقد استعمل الشربيني أسلوب الاستفهام، أو السؤال والجواب، أما أبو السعود فقد استعمل الأسلوب المتبع المتعارف عليه لدى أغلب المفسرين، وهو التناول والعرض المباشر.

وإذا كان الخطيب الشربيني يقول: إن «فعل العبد مخلوق لله تعالى؛ لأنَّ فعل العبد حاصل بين السماء والأرض»، فهذا لا يعني أنه تأثر بآراء المعتزلة، ولكن لعله نقل ذلك عن المفسرين الذين سبقوه، كالرازي<sup>(٣)</sup> وغيره، بخلاف أبي السعود فإنه في هذه الآية لم يشير إلى شيء من ذلك.

### توحيد الألوهية:

**معنى الألوهية في اللغة:** قال بعض أهل اللغة: «أله إلهة: كعبد عبادة، والمتأله: المتعبد، وبذلك سمي الإله»<sup>(٤)</sup>، ومن ثم فالإله: هو المعبود.

**وفي الاصطلاح:** هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، فحقيقة إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرغبة وسائر أنواع العبادة لله<sup>(٥)</sup>.

١ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (١٥/٤).

٢ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٠٤/٣).

٣ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٤٢ / ٤).

٤ . انظر: **مجلد اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط بدون، ١٤٠٦هـ، (١٠١/١).

٥ . انظر: **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط بدون، ت بدون، (١/٢٤٦، ٢٤٥).

كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذا الفهم يمكننا أن نختار مثالين على ذلك.

### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: بدل من ما يوحى، ولا ريب في أن اختياره -ﷺ- ليس لهذا الوحي فقط، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ لترتيب المأمور به على ما قبلها، فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به -ﷺ-، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: خصت الصلاة بالذكر وأُفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات بما نيبت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره، وذلك قوله تعالى: ﴿لِذِكْرِي﴾ أي: لتذكركني، فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة، أو لتذكركني فيها؛ لاشتمالها على الأذكار، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ثرائي بها ولا تقصيد بها غرضاً آخر، أو لتكون ذاكرة لي غير ناس، وقيل: لذكري إياها وأمري بها في الكتب، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل: لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة، أو لذكر صلاتي لما روي أنه -ﷺ- قال: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»<sup>(٣)</sup>، وقرأ لذكرى بألف التأنيث، وللذكرى معرفاً، وللذكر بالتعريف والتكثير<sup>(٤)</sup>.

١ . سورة البينة: الآية: ٥.

٢ . سورة طه: الآية: ١٤.

٣ . مسند السراج، باب من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لأبي العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الخراساني النيسابوري المعروف بالسراج (المتوفى: ٣١٣هـ)، تحقيق: الأستاذ إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط بدون، ١٤٢٣هـ، ص ٤٢١، برقم (١٣٦٦)، وتخرّيج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ، باب سورة طه، (٣٤٩/٢)، برقم (٧٨٥).

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٨/٦).

**وقال الخطيب الشربيني:** "وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾: بدل مما يوحى، دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل، وفي هذه الآية دلالة على أن علم أصول الدين مقدّم على علم الفروع، وأيضاً فالفاء في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ تدل على أن عبادته إنما لزمّت لآلهيته؛ لأن التوحيد من علم الأصول، والعبادة من علم الفروع، وخص الصلاة بالذكر وأفردها في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ للعلة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكير المعبود وشغل القلب واللسان بذكره.

وقيل: ﴿لِذِكْرِي﴾: لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، وقيل: لأوقات ذكرى، وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي؛ لما روى مسلم أنه -ﷺ- قال: «من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»<sup>(١)</sup>، وقيل: لأنّ أذكرك بالثناء والمدح واجعل لك عليها لسان صدق علياً، وقيل: ﴿لِذِكْرِي﴾ خاصة لا تشوبه بذكر غيري»<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يرى الباحث أن الإمامين في تفسير هذه الآية يقتربان أو يتفقان في بعض المعاني دون بعضها الآخر، وكذلك من حيث الإيجاز والإطناب، فقد اتفق الإمامان على أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: بدل من: «ما يوحى» في الآية السابقة؛ والذي يعنينا هنا هو قول أبي السعود: «فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به -ﷻ-»، فالله سبحانه وتعالى هو الإله الحق الواحد الذي لا شريك له، وهذا يقتضي أن يكون هو المعبود دون سواه.

١ . سورة طه: الآية: ١٤ .

٢ . سبق تخريج الحديث، ص ١٤٢ .

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٥٣) .

وفي هذا الشأن أي: في توحيد الألوهية يذكر الشرييني أن قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾: «دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل»، وعلى هذا فقد أجمعت عبارة الإمامين الجليلين في توحيد الألوهية على إلحاق العبادة بالتوحيد، فهي العمل بمقتضى لا إله إلا الله.

وكذلك تخصيص الصلاة بالذكر على الرغم من أنها إحدى العبادات الواردة في الآية، غير أن الإمام أبا السعود يستدل بهذا التخصيص على فضل الصلوات على سائر العبادات، بينما يستدل بها الخطيب الشرييني على أهمية الأصول وتقديمتها على الفروع، وقد اتفق الإمامان الجليلان في بعض معاني قوله تعالى: ﴿لِذِكْرِي﴾ واتفقا أيضاً بالاستشهاد بالحديث الشريف، غير أن الخطيب الشرييني أشار إلى المصدر الذي ورد فيه، وهو صحيح مسلم بخلاف أبي السعود.

ومن الواضح في هذه الآية ارتباط التوحيد بالعبادة، وذلك لأن عبادة الله تعالى هي نتيجة طبيعية لتوحيده جل شأنه في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وقد جاء الحديث عن التوحيد مرتبطاً بالعبادة في تفسير هذه الآية لدى كل من الطبري<sup>(١)</sup>، والزجاج<sup>(٢)</sup>، وابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>، والماتريدي<sup>(٤)</sup>، والثعلبي<sup>(٥)</sup>، والرازي<sup>(٦)</sup>.

١ . جامع البيان، للطبري، (٢٨٤/١٤).

٢ . معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، (٣٥٢/٣).

٣ . تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، (٢٤١٨/٧).

٤ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٢٧٣/٧).

٥ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، (٢٤١/٦).

٦ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٠/٢٢).

## الآية الثانية:

**قال تعالى:** ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢) (١).

**قال الإمام أبو السعود:** "وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾: جُعِلُوا موضعاً للإرسال كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ (٢)، ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (٣): للإيدان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾؛ أي: من جملتهم نسباً فإنهما - عليهما السلام - كانا منهم، وأن في قوله تعالى: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول؛ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾: تعليل للعبادة المأمور بها، أو للأمر بها، أو لوجوب الامتثال به، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: عذابه الذي يستدعيه ما أنتم عليه من الشرك والمعاصي" (٤).

**قال الإمام الشربيني:** "وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾؛ أي: فتعقب إنشاءنا لهم وتسبب عنه أنا أرسلنا ﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾؛ هو هود - عليه السلام -، وقيل: صالح - عليه السلام -؛ قال البغوي: والأول هو الأظهر وهو المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ويشهد له حكاية الله قول هود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٥)، ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء، ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: وحدوه لأنه لا مكافئ له، ثم دل على الاستغراق

١ . سورة المؤمنون: الآية: ٣٢.

٢ . سورة الرعد: الآية: ٣٠.

٣ . سورة هود: الآية: ٢٥.

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٣٣/٦).

٥ . سورة الأعراف: الآية: ٦٩.

بقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نجد الإمام أبا السعود يلفت النظر إلى وضع الحرف «في» موضع الحرف «إلى»، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾، ولم يقل: أرسلنا إليهم، بينما نجد الخطيب الشربيني يلفت إلى السياق فيقول: «أي: فتعقب إنشاءنا لهم»، إشارة إلى الآية السابقة، ثم يشير إلى الرسول المعني بهذه الآية، خلافاً لأبي السعود، لأنه لم يذكر من هو الرسول المعني بهذه الآية.

وقد تناول أبو السعود توحيد الألوهية في هذه الآية بصورة غير مباشرة حيث يقول: «و﴿أَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ مفسرة لأرسلنا لتضمينه معنى القول؛ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾: تعليل للعبادة المأمور بها، أو للأمر بها، أو لوجوب الامتثال به»، فقد جعل عبادة الله تعالى بمثابة الإقرار بأن الله عز وجل هو الإله الحق الذي يستحق العبادة دون سواه، وممن قال بأن قوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾: تعليل للعبادة المأمور بها، أو للأمر بها، أو لوجوب الامتثال به، وبهذا قال: الطبري<sup>(٢)</sup>، وابن عطية<sup>(٣)</sup>، والشعلبي<sup>(٤)</sup>.

أما الخطيب الشربيني فيعرض توحيد الألوهية قائلاً: «ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: وحدوه لأنه لا مكافئ له، ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾»، فهو يستشهد بالأمر بالعبادة الوارد في

١ . السراج المنير، للشربيني، (٥٧٨/٢).

٢ . البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط بدون، ١٤٢٠هـ، (٥٥٨/٧).

٣ . البحر المديد، لأبي العباس، (٥٧٣/٣).

٤ . الكشف والبيان، للشعلبي، (٤٦/٧).

الآية على أن الله تعالى واحد لا مكافئ له ولا ند، ولا شبيه ولا مثيل؛ على نحو ما فعل كل من: مقاتل<sup>(١)</sup>، والماتريدي<sup>(٢)</sup>، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، والبيضاوي<sup>(٤)</sup>.

### الأسماء والصفات:

الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، والأصل في هذا الفصل، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وأفعاله، من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تحريف، ولا تكييف، بل تكون المعرفة متلقة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة<sup>(٥)</sup>.

ومن خلال البحث في تفسير الإمامين نذكر مثالين على ذلك:

أ: أسماء الله - ﷻ -:

من أسماء الله: الحي القيوم:

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق:

عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ، (٣/١٥٦).

٢ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٧/٤٦٧).

٣ . بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، ط بدون، ت بدون، (٢/٤٧٩).

٤ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٤/٨٦).

٥ . شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط بدون، ت بدون، (١/٦).

٦ . سورة طه: الآية: ١١١.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾؛ أي: ذلت وخضعت خضوعَ العُناة؛ أي: الأسارى في يد الملكِ القهارِ، ولعلها وجوه المجرمين؛ كقوله تعالى: ﴿سَيَتَّ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(١)</sup>، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابن عباس -رحمه الله-: خسِرَ من أشرك بالله ولم يثُب، وقيل: الوجوه على العموم"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "ولما ذكر خشوع الأصوات أتبعه خضوع ذويها، فقال: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾؛ أي: ذلت وخضعت في ذلك اليوم، ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره، وخص الوجوه بالذكر مع أن المراد الأشخاص لشرف الوجوه، ولأنها أول ما يظهر فيها الذل ﴿لِلْحَيِّ﴾ الذي هو مطلع على الدقائق والجلائل، ﴿الْقَيُّومِ﴾: الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت؛ روى ابن أسامة الباهلي<sup>(٣)</sup> عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «اطلبوا اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث: البقرة وآل عمران، وطه»<sup>(٤)</sup>.

قال الرازي: فوجدنا المشترك في السور الثلاث: الله لا إله إلا هو الحي القيوم<sup>(٥)</sup>.

١ . سور الملك: الآية: ٢٧.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٤٣/٦).

٣ . هو صدى بن عجلان بن وهب، ويقال ابن عمرو، أبو أمانة الباهلي، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونزيل حمص روى علما كثيرا، وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة -رضي الله عنه-، وروى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وسليمان بن حبيب المحاربي، ومحمد بن زياد الألهماني، وسليم بن عامر، وأبو غالب حزور، ورجاء بن حيوة، وآخرون، (توفي سنة: ٨٦هـ) بالشام، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٣٥٩/٣).

٤ . رواه ابن ماجه، في الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم: (٣٨٥٦)، (١٢٦٧ / ٢)، وأبو داود، في الصلاة باب في الدعاء، برقم: (١٤٩٦)، (٨٠ / ٢)، والطحاوي، في شرح مشكل الآثار، برقم: (١٧٦)، (١ / ١٦٢)، والطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (٨٣٧١)، (٨ / ١٩٢)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين للحاكم، برقم: (١٨٦١)، (١ / ٦٨٤)، قال الألباني حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ط بدون، ت بدون، (١ / ٢٢٨).

٥ . السراج المنير، للشربيني، (٤٨٥/٢).

## الدراسة:

من خلال تأمل تفسير الإمامين الجليلين لهذه الآية يتضح أن الشرييني تناول الاسمين الكريمين: «الحي، القيوم»، بصورة أوضح من تناول أبي السعود، واستدل بحديث الرسول -ﷺ- في هذا الشأن، غير أن كليهما لم يفصل على شاكلة علماء العقيدة وغيرهم ممن يعنيهم هذا الأمر، وذلك لأن المفسر ينظر إلى الآية بصورة متكاملة فهو لا يهتم بلفظة على حساب أخرى.

كذلك فإن المفسر لا يعنيه لفظ من الآية دون غيره، لأن طبيعة التفسير تقتضي العناية بكل الألفاظ، فكلمة: ﴿الْوَجُوهُ﴾ الواردة في الآية نالت من التفسير والتوضيح ما نالته اسم الله: «الحي»، واسمه: «القيوم»، وهذه طبيعة عمل المفسر ووظيفته، وقد أشار إلى الآية على هذا النحو كل من: الرازي<sup>(١)</sup>، وابن كثير<sup>(٢)</sup>، وأبو العباس<sup>(٣)</sup>، وابن عادل<sup>(٤)</sup>، والحنفي<sup>(٥)</sup>.

وعلى كل فإن أبا السعود لم يزد على أن قال: « قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾؛ أي: ذلت وخضعت خضوع العُناة؛ أي: الأسارى في يد الملك القهار»، فهو لم يعرض لمعنى هذين الاسمين الكريمين، وقد يعود ذلك إلى أن كثيراً من «الأسماء الحسنى» قد تم عرضها في الأجزاء السابقة بداية من الفاتحة فما بعدها.

أما الخطيب الشرييني فيقول: «الحي: الذي هو مطلع على الدقائق والجلائل، ﴿الْقَيُّومُ﴾: الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت».

١ . مفاتيح الغيب، للرازي، (١٠٢/٢٢).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (٦٧٧/١).

٣ . البحر المديد، لأبي العباس، (٤٢٢/٣).

٤ . اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، (٣٩٥/١٣).

٥ . روح البيان، للحنفي، (٤٣١/٥).

ولأن هذين الإمامين الجليلين لم يتناولوا هذين الاسمين الكريمين بما فيه الكفاية  
يمكن أن نعرض بعض أقوال العلماء فيهما على النحو الآتي:

قال الخطابي<sup>(١)</sup>: «الحي» في صفة الله سبحانه: هو الذي لم يزل موجوداً،  
وبالحياة موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر  
الأحياء يعثورهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً؛ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ  
إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٢)</sup> «(٣)».

وأما معنى ﴿الْقَيُّومُ﴾؛ فحكى بعضهم أن معناه: القائم على كل نفس بما كسبت  
حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها، وقال بعضهم:  
القائم على كل شيء يكلاه ويرزقه ويحفظه تفضلاً منه، فيكون القول الأول خرج مخرج  
الوعد، والثاني: مخرج الامتنان<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا يكون بمعنى: «الباقى الدائم، وقيل: ﴿الْقَيُّومُ﴾: الذي لا تقنيه الدهور  
بانقلاب الأمور،... ويقال: هو القائم على كل نفس بالرعاية لها والمدير لجميع أمور  
العالم، فعلى هذا يكون بمعنى: «الحفيظ»، والمدير<sup>(٥)</sup>.

---

١. هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، فقيه  
محدث، من أهل بستان (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب)، ولد سنة: (٣١٩هـ)، له  
مصنفات منها: (غريب الحديث)، و (شرح البخاري) باسم (تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري)، توفي في  
بستان (في رباط على شاطئ هيرمند)، سنة: (٣٨٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٢٣/١٧)  
(٢٦-)، والأعلام، للزركلي، (٢٧٣/٢ - ٢٧٤).

٢. سورة القصص: الآية: ٨٨.

٣. شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى:  
٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط بدون، ١٤٠٤هـ، ص ٨٠.

٤. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري  
القرطبي، حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا،  
بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

٥. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص ٣٩٧.

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> وغيره: ﴿الْقِيَوْمُ﴾: هو الذي لا ينام، وكأنه أخذه من قوله . عز وجل . عقيب في آية الكرسي: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: "أنه «قيوم» لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة، دون خلقه، فإنهم ينامون"<sup>(٣)</sup>، فـ ﴿الْقِيَوْمُ﴾ هو المستغني بنفسه عن غيره المفتقر إليه كل ما سواه"<sup>(٤)</sup>.

### الآية الثانية:

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: مبالغ في مغفرة فرطات العباد، ﴿رَحِيمٌ﴾: مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم، والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم"<sup>(٦)</sup>.

١ . هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور)، سنة: (٣٨٤هـ)، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات (سنة: ٤٥٨هـ)، صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى)، و (السنن الصغرى) و (المعارف) و (الأسماء والصفات) و (ودلائل النبوة)، وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٦٣/١٨ - ١٦٩)، والأعلام، للزركلي، (١١٦/١).

٢ . سورة البقرة: الآية: ٢٥٥.

٣ . الأسماء والصفات، للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ، (١٣١/١).

٤ . الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٢٠.

٥ . شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، للقطاني، ص ٢٥٦، والمجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لكاملة الكواري، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٥٣.

٦ . سورة النور: الآية: ٦٢.

٧ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٩٨/٦).

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾؛ أي: الذي له الأمر كله بعد الإذن ليكون ذلك شاملاً لمن صحت دعواه وغيره، ثم علل ذلك ترغيباً في الاستغفار وتطيباً لقلوب أهل الأوزار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾؛ أي: الذي لا يخفى عليه شيء، ﴿غَفُورٌ﴾؛ أي: لفرط العباد، ﴿رَحِيمٌ﴾؛ أي: بالتستر عليهم"<sup>(١)</sup>.

**الدراسة:**

من الواضح أن أبا السعود والخطيب الشربيني كليهما يعرض الاسمين الكريمين: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عرضاً عابراً دون التعمق في المعاني الدالة على بلوغ أقصى درجات المغفرة والرحمة، وإن كان أبو السعود يشير إلى مسألة بلوغ المغفرة والرحمة أقصى درجاتها؛ حيث يقول: ﴿غَفُورٌ﴾: مبالغ في مغفرة فرط العباد، ﴿رَحِيمٌ﴾: مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم).

وهذا شأن المفسر، لأنه لو استغرق كل المعاني الخاصة بالكلمة لحظيت بعض كلمات القرآن بالعناية دون بعضها الآخر، ولا سيما أن هذين الأسمين الكريمين: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قد كثر ورودهما في القرآن الكريم.

وعلى كل جاء تفسير الإمامين لهذه الآية موافقاً لتفسيرها لدى كل من: الحنفي<sup>(٢)</sup>، وأبي العباس<sup>(٣)</sup>، والبيضاوي<sup>(٤)</sup>، والإيجي<sup>(٥)</sup>، والمظهري<sup>(٦)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٧)</sup>.

### ب: صفات الله عز وجل:

من صفات الله: السمع والرؤية والعلم:

### الآية الأولى:

- ١ . السراج المنير، للشربيني، (٦٤٤/٢).
- ٢ . روح البيان، للحنفي، (١٨٤/٦).
- ٣ . البحر المديد، لأبي العباس، (٧١/٤).
- ٤ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (١١٤/٤).
- ٥ . جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ، (١٤٢/٣).
- ٦ . التفسير المظهر، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، ط بدون، ١٤١٢هـ، (٥٦٧/٦).
- ٧ . فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب، (٢٧٤/٩).

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾؛ أي: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير، ويجوز أن لا يُقدَّر شيء، على معنى أنني حافظكما سميعاً بصيراً، والحافظ الناصر إذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها" (٢).

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾: كلامكما فأسخره للاستماع منكما، وأرى أفعاله فلا أتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه" (٣).  
الدراسة:

في هذه الآية يتقارب المعنى الذي أشار إليه أبو السعود مع المعنى الذي أشار إليه الخطيب الشربيني، ولا تختلف غير الألفاظ، وطريقة التناول من حيث الإيجاز والإطناب، فإشارة أبي السعود إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ هو دفع الضرر والشر، هو المعنى نفسه الذي أشار إليه الشربيني بقوله: «فلا أتركه يفعل بكما ما تكرهانه»، وهو ما قال به الطبري (٤)، والزمخشري (٥)، والبيضاوي (٦)، والنيسابوري (٧)، وأبو العباس (٨)، والقاسمي (٩).

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٠).

١ . سورة طه: الآية: ٤٦.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٨/٦).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٤٦٥/٢).

٤ . الجامع البيان، للطبري، (٣١٥/١٨).

٥ . الكشف، للزمخشري، (٦٦/٣).

٦ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٢٨/٤).

٧ . غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، (٥٤٨/٤).

٨ . البحر المديد، لأبي العباس، (٣٩١/٣).

٩ . محاسن التأويل، للقاسمي، (١٢٧/٧).

١٠ . سورة طه: الآية: ٩٨.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: وسع علمه كل ما من شأنه أن يُعلم، بدل من الصلة، كأنه قيل: إنما إلهكم الله الذي وسع كل شيء علماً؛ لا غيره كائناً ما كان، فيدخل فيه العجل دخولاً أولياً، وقرئ وسع بالتشديد؛ فيكون انتصاب ﴿عِلْمًا﴾ على المفعولية؛ لأنه على القراءة الأولى فاعل حقيقة، وينقل الفعل إلى التعدية إلى المفعولين صار الفاعل مفعولاً أولاً، كأنه قيل: وسع علمه كل شيء، وبه تم حديث موسى -عليه السلام- المذكور لتقرير أمر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته" (١).

وقال الخطيب الشربيني: "ولما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان أخبرهم بالحق على وجه الحصر، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: الجامع لصفات الكمال، ثم كشف المراد من ذلك، وحققه بقوله: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره؛ لأنه ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ﴾، وقوله: ﴿عِلْمًا﴾: تمييز محمول على الفاعل، أي: أحاط علمه بكل شيء، فكل شيء إليه مفتقر، وهو غني عن كل شيء، وأما العجل الذي عبدوه، فلا يصلح للإلهية بوجه، ولا في عبادته شيء من حق" (٢).

### الدراسة:

إن ما لمسناه في تفسير «الأسماء الحسنى» نجده يتكرر هنا، وذلك أن أبا السعود والخطيب الشربيني يعرضان الصفات عرضاً شبيهاً بعرض سائر الألفاظ، وما عساهما أن يفعلا، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الصفات تعبيراً يعجز عنه البشر.

ومهما يكن فقد تناول كل منهما صفة العلم على أن اللفظ هنا هو تمييز محول عن الفاعل، وكأنه قال: وسع علمه كل شيء.

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٤٠/٦).

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٤٨٣/٢).

وبهذا قال الزمخشري<sup>(١)</sup>، وابن عطية<sup>(٢)</sup>، والبيضاوي<sup>(٣)</sup>، وابن عادل<sup>(٤)</sup>، وأشار إليه الحنفي<sup>(٥)</sup>، والمظهري<sup>(٦)</sup>، والشوكاني<sup>(٧)</sup>.

وفي الأخير نود الإشارة إلى أن قول الخطيب الشربيني: «لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره». أي: غير الله تعالى - تعبير لا يليق بجلال الله وعظيم سلطانه، فالإلهية ليست منصباً، ولا وظيفة، فكما أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٨)</sup>، كذلك فإن الإلهية ليس كمثله شيء من المناصب والوظائف والأعمال، وهذا مجرد اجتهد من الباحث، وهو للتنبيه فحسب، وإلا فمن أنا حتى أنتقد مثل هذا العلم الشامخ، ومع ذلك جل من لا يجوز في حقه الخطأ والنقص.

وعلى كل فلا أعلم أحداً من المفسرين قال بهذا القول غير الخطيب الشربيني، والبقاعي<sup>(٩)</sup> في تفسيره: نظم الدرر<sup>(١٠)</sup>.

---

١ . الكشف، للزمخشري، (٨٦/٣).

٢ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (٦٣/٤).

٣ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٨/٤).

٤ . اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٣٧٩/١٣).

٥ . روح البيان، للحنفي، (٤٢٣/٥).

٦ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (١٦١/٦).

٧ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٥٤/٣).

٨ . سورة الشورى: الآية: ١١.

٩ . هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، مؤرخ، أديب، أصله من البقاع في سورية، تفسيره: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ولد (سنة: ٨٠٩هـ)، وتوفي (سنة: ٨٨٥هـ)، انظر: الأعلام؛ للزركلي، (١/١٧٣) ..

١٠ . انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، (٤٣/٥).

## المطلب الثاني

### آيات الإيمان بالملائكة

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ وَمَا يَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، (حكاية لقول جبريل - عليه السلام - حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه، فأبطأ عليه أربعين يوماً أو خمسة عشر، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، وقال المشركون: ودَّعه ربُّه وقلاه، ثم نزل ببيان ذلك)، وأنزل الله - عز وجل - هذه الآية وسورة الضحى (٢)، والنتزل: النزول على مهل لأنه مطاوعٌ للتنزيل، وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الإنزال، والمعنى وما ننزل وقتاً غباً (٣) وقتاً إلا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته، وقرئ: وقرئ: وما يتنزل بالياء والضمير للوحي، ﴿لَهُ وَمَا يَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾؛ أي: تاركاً لك؛ يعني أن عدم النزول لم يكن إلا لحكمة بالغة فيه، ولم يكن لتركه تعالى لك، وتوديعه إياك؛ كما زعمت الكفرة، وفي إعادة اسم الربِّ المُعرب عن التبليغ إلى الكمال اللائق مضافاً إلى

١ . سورة: مريم: الآية: ٦٤.

٢ . الذي ورد في سبب نزول سورة الضحى الآتي: (أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي - ﷺ - فلم يقدّم ليلة أو ليلتين فأنته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا وقد تركك فانزل الله: (والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى)، انظر: لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ص ٢١٢.

٣ . غب: بمعنى بعد، وغب كل شيء: عاقبته، وجئته غب الأمر؛ أي: بعده، انظر: لسان العرب، لابن منظور،

ضميره - **الجنة** - من تشريفه والإشعار بعلّة الحكم ما لا يخفى، وقيل: أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطباً بعضهم بعضاً بطريق التبجح والابتهاج، والمعنى وما ننتزل الجنة إلا بأمر الله تعالى ولطفه، وهو مالك الأمور كلّها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تقرير لقولهم من جهة الله تعالى؛ أي: وما كان ناسياً لأعمال العاملين، وما وعدهم من الثواب عليها<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: كلام غير الله؛ فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل؟ أجيب: بأنه إذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا كلام الله تعالى، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم علل جبريل - **الجنة** - قوله ذلك بقوله: ﴿لَهُ وَمَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ أي: أماننا من أمور الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾؛ أي: من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾؛ أي: ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ ما بقي من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما مضى منها، ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: مدّة حياتنا، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: بعد أن نموت، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: مدّة الحياة، وقيل: ﴿لَهُ وَمَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الأرض إذا أردنا النزول إليها، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ السماء، وما ينزل منها، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الهواء، يريد أنّ ذلك كله لله فلا نقدر على شيء إلا بأمره، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: المحسن إليك، ﴿نَسِيًّا﴾: بمعنى ناسياً؛ أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك؛ لقوله تعالى: ﴿مَا

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٧٣/٥).

٢ . سورة مريم: الآية: ٣٥.

٣ . سورة مريم: الآية: ٣٦.

وَدَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَالَى ﴿٣﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: وما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، وما كان ذلك عن ترك الله تعالى لك وتوديعه إياك<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

نلاحظ في تفسير هذه الآية أن الإمامين: أبا السعود والخطيب الشربيني يتفقان من حيث المعنى وإن اختلفا في العبارة وأسلوب التناول، فكلاهما يذكر أن الآية الكريمة نزلت حين انقطع الوحي عن الرسول ﷺ، وفيها بيان أن جبريل -عليه السلام- وهو أحد الملائكة الكرام، وأمين الوحي، أنه لا ينزل إلا بأمر الله تعالى، ولأنه مخلوق كسائر المخلوقين لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا يستطيع أن يقدم أو يؤخر إلا بأمر الله تعالى، وهذا ما يمكن استخلاصه من تفسير الآية لدى هذين المفسرين الجليلين، وبه قال مقاتل<sup>(٣)</sup>، والطبري<sup>(٤)</sup>، وابن أبي حاتم<sup>(٥)</sup>، والزمخشري<sup>(٦)</sup>، والبيضاوي<sup>(٧)</sup>، والشوكاني<sup>(٨)</sup>.

وقد اختلفا في تفسير قوله جل شأنه: ﴿لَهُ وَمَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾<sup>(٩)</sup>، فقد فسرها أبو السعود بالظرفية المكانية، وبهذا قال السمعاني<sup>(٩)</sup>، والزمخشري<sup>(١٠)</sup>،

١ . سورة الضحى: الآية: ٣.

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٤٣٧/٢).

٣ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (٦٣٣/٢).

٤ . جامع البيان، للطبري، (٢٢٣/١٨).

٥ . تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٢٤١٤/٧).

٦ . الكشف، للزمخشري، (٢٨/٣).

٧ . انوار التنزيل، للبيضاوي، (١٥/٤).

٨ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٠٧/٣).

٩ . تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم

ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض -

السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، (٣٠٤/٣).

١٠ . الكشف، للزمخشري، (٢٨/٣).

والقرطبي<sup>(١)</sup>، في حين فسرهما الخطيب الشربيني بالظرفية الزمانية، وبه قال الماتريدي<sup>(٢)</sup>، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، وأشار إليه ابن كثير<sup>(٤)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل، وأنه تعالى يُحقِّق الحقَّ وَيُزهق الباطل، أي: له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقاً ومُلكاً وتدبيراً وتصرفاً وإحياءً وإماتةً وتعذيباً وإثابةً من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل؛ لا استقلالاً ولا استتباعاً، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: وهم الملائكة عليهم السلام، عبّر عنهم بذلك إثر ما عبّر عنهم بمن في السموات تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه - ﷺ -، وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل، وهو مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾؛ أي: لا يتعظمون عنها، ولا يُعدّون أنفسهم كبيراً، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ولا يكلّون ولا يعيّون، وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقةً بأن يُستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون، لا لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة كما أن نفي الظلامية في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٦)</sup>، لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلّقه بالعبيد لا لإفادة

١ . الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ، (١٢٩/١١).

٢ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٢٤٩/٧).

٣ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٣٨١/٢).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٢١/٥).

٥ . سورة: الأنبياء: الآية: ١٩.

٦ . سورة ق: الآية: ٢٩.

نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة، وقيل: من عنده معطوف على من الأولى، وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والأرض للتعظيم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾<sup>(١)</sup> فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: حينئذ حال من الثانية<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشرييني: "وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾؛ أي: وهم الملائكة بإجماع الأمة، ولأن الله تعالى وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهذا لا يليق بالبشر، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾؛ بنوع كبر طلباً ولا إيجاداً، وخصهم بالذكر لكرامتهم عليه تنزيلاً لهم منزلة المقربين عند الملك.

تنبيه: هذه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة، فكأنه تعالى قال: الملائكة مع كمال شرفهم وعلو مراتبهم، ونهاية جلالته لا يستكبرون عن عبادته، فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته، ومع ذلك أيضاً: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾؛ أي: لا يعيون، وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيهاً على أن عبادتهم من ثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون، ولا يطلبون أن ينقطعوا عنها، فأنتج ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

### الدراسة:

تقاربت العبارات في تفسير هذه الآية حتى كأن الإمامين الجليلين يستقيان من ينبوع واحد، ومع ذلك يختلف أسلوب التناول، فأبو السعود حين تحدث عن شرف الملائكة وعلو شأنهم استعمل التعبير المباشر بينما استعمل الشرييني السؤال المفترض والرد عليه، وقد أورده بعد كلمة، (تنبيه): وما عدا ذلك فالتعبير يكاد يتفق حتى في بعض الألفاظ وفي ترتيبها في العبارة أيضاً، كقولهما: مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾،

١ . سورة البقرة: الآية: ٩٨ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٠/٦).

٣ . سورة الأنبياء: الآية: ٢٠ .

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٥٠٠/٢).

وكذلك عند الحديث عن نفي الاستسحار في العبادة لدى الملائكة الكرام -عليهم السلام-، وتخصيصهم بالذكر بعد الإشارة المجملة إليهم في قوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وكل ما قاله الإمامان الكريمان في هذه الآية عن الملائكة قاله قتادة<sup>(١)</sup>، ومجاهد<sup>(٢)</sup>، والطبري<sup>(٣)</sup>، ووافقهما المظهري<sup>(٤)</sup>، والشوكاني<sup>(٥)</sup>.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: يتوسّطون بينه تعالى وبين الأنبياء -عليهم السلام- بالوحي، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: وهم المختصّون بالنفوس الرّكيّة، المؤيّدون بالقوّة القدسيّة، المتعلّقون بكلا العالمين: الرّوحانيّ والجسمانيّ، يتلقّون من جانب، ويلقّون إلى جانب، ولا يعوقهم التّعلّق بمصالح الخلق عن التّنبّل إلى جانب الحقّ، فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم، ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرّر وحدانيّته في الألوهية، ونفى أن يشاركه فيها شيء من الأشياء بيّن أن له عباداً مُصطفىين للرّسالة، يُتوسّل بإجابتهم، والاقتداء بهم إلى عبادته -ﷻ-، وهو أعلى الدّرجات، وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريراً للنّبوة، وتزييفاً لقولهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾<sup>(٧)</sup> وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

١ . النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط بدون، ت بدون، (٤٤١/٣).

٢ . تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر، ط ١، ١٤١٠هـ، (٤٧٠/١).

٣ . جامع البيان، للطبري، (٤٢٣/١٨).

٤ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (١٨٩/٦).

٥ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٧٤/٣).

٦ . سورة الحج: الآية: ٧٥.

٧ . سورة المؤمنون: الآية: ٢٤.

لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿١﴾؛ وقولهم: الملائكة بناتُ الله وغير ذلك من الأباطيل، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: عليم بجميع المسموعات والمبصرات، فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال" (٢).

**قال الإمام الشرييني:** "ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق بالإلهيات ذكر ما يتعلق بالنبوت بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: الملك الأعلى، ﴿يَصْطَفِي﴾؛ أي: يختار ويختص، ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم وعليهم-، نزلت حين قال المشركون: ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (٣)، فأخبر تعالى أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من خلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الذي له الجلال والجمال، ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقاتلهم، ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولاً" (٤).

### الدراسة:

تعرض هذه الآية الإيمان بالملائكة والإيمان بالرسول، وموضوعنا هنا الإيمان بالملائكة، وقد عرض الإمام أبو السعود الإيمان بالملائكة من حيث بيان مهمتهم وهي النزول بالوحي إلى الأنبياء، حيث يذكر أنهم: (يتوسّطون بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحي)، وهذه هي المهمة الخاصة التي أنيطت بجبريل -عليه السلام-، وبه قال البيضاوي (٥)، وابن كثير (٦)، أما الخطيب الشرييني فقد عرض ذلك بتسمية بعض الملائكة حيث يذكر أن الله (يختار ويختص، ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: كجبريل

١ . سورة الزمر: الآية: ٣.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٢١/٦).

٣ . سورة ص: الآية: ٨.

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٥٦٦/٢-٥٦٧).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٨٠/٤).

٦ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٤٢/١).

وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام)، وهذا ما قاله مقاتل<sup>(١)</sup>، والطبري<sup>(٢)</sup>، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، والشوكاني<sup>(٤)</sup>، والخازن<sup>(٥)</sup>، والملاحظ أن الإمام أبا السعود يتفرد بذكر مزاعم المشركين وحججهم الواهنة، كاعتراضهم على إرسال الرسل من البشر وليس من الملائكة، وعبادتهم لغير الله ليكون واسطة تقربهم من الله، وزعمهم أن الملائكة بنات الله، وغير ذلك من ترهات الجاهلية وأباطيلها.

---

١ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (١٣٩/٣).

٢ . جامع البيان، للطبري، (٦٨٧/١٨).

٣ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٧١/٢).

٤ . فتح القدير، للشوكاني، (٥٥٦/٣).

٥ . لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ،

(٢٦٤/٣).

## المطلب الثالث

### آيات الإيمان بالكتب السماوية

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: كلامٌ مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة، وبيان إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزاؤهم به، وتسميتهم تارةً سحراً، وتارةً أضغاث أحلام، وأخرى مفترى وشعراً، وبيان علو رتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ ببيان أنه كسائر الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام-، قد صدر بالتوكيد القسمي؛ إظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه، وإيضاحاً بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير، أي: والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كِتَابًا﴾ عظيم الشأن نير البرهان، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صفة لكتاب مؤكدة لما أفاده التنكير التفضيحي من كونه جليل المقدار، وبأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جلية، أي: فيه شرفكم وصيبتكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقيل: ما تحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم، وقيل: فيه ما تطالبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق، وقيل: فيه موعظتكم، وهو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه، فإن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: إنكارٌ توبيخيٌّ فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب، والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ، والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة، والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام؛

١ . سورة الأنبياء: الآية: ١٠.

٢ . سورة الزخرف: الآية: ٤٤.

أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك؟ أو لا تعقلون شيئاً من الأشياء التي من جملتها ما ذكر!"<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشريبي:** "قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش، ﴿كِتَابًا﴾ أي: القرآن، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم ووصيتكم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد ودق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك، وقيل: فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، أو لأنه نزل بلغتكم، وقيل: فيه تذكرة لكم لتحذروا، فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنوا به، وفي ذلك حث على التدبر؛ لأن الخوف من لوازم العقل"<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

في تفسير هذه الآية يتفق أبو السعود والخطيب الشريبي في المعنى، ويتميز أبو السعود بالتفصيل في معاني العبارات والجمل، ويرجح ما يراه يناسب السياق، فقد أشار إلى أن صدر الآية مسوق لتحقيق أحقية القرآن الكريم، كما أشار إلى مزاعم الكفرة والمشركين من قريش الذين زعموا المزاعم في حق هذا الكتاب العزيز، فوصفوه بالسحر تارة، وبالشعر تارة أخرى، وأضغاث أحلام، ومفتري، وغير ذلك من الأكاذيب والأقاويل، بينما يتميز الخطيب الشريبي باختيار الراجح دون أن يخوض في التفاصيل.

ومما اتفق فيه الإمامان أبو السعود والخطيب الشريبي في تفسير هذه الآية أن المراد بالذكر الشرف والصيت، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥٨/٦).

٢ . سورة الزخرف: الآية: ٤٤.

٣ . السراج المنير، للشريبي، (٤٩٨/٢).

وَلَقَوْمٌ ﴿١﴾، وهو الثناء الحسن، وهذا ما قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>، والطبري<sup>(٣)</sup>، والماتريدي<sup>(٤)</sup>،  
والسمرقندي<sup>(٥)</sup>، ووافقهم أبو العباس<sup>(٦)</sup>، والشوكاني<sup>(٧)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٨﴾.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن الكريم، أشير إليه  
ب(هذا) إيداناً بغاية وضوح أمره، ﴿ذِكْرٌ﴾: يُتَذَكَّرُ، وُصِفَ بالوصف الأخير للتوراة  
لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة، ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير الخير  
غزير النفع يُتَبَرَّكُ به، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: إما صفة ثانية لذكر أو خبر، ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ  
مُنْكَرُونَ﴾: إنكارٌ لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإيتاء التوراة، كأنه قيل: أبعد أن  
علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإيتاء والإيحاء، أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا؟  
فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساعٍ له أصلاً"<sup>(٩)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "ولما ذكر تعالى فرقان موسى - عليه السلام - وكان العرب  
يشاهدون تمسك اليهود به - حثهم على كتابهم وهو أشرف منه بقوله تعالى:  
﴿وَهَذَا﴾؛ أي: القرآن، وأشار إليه بأداة القرب إيماء إلى سهولة تناوله عليهم،  
﴿ذِكْرٌ﴾؛ أي: موعظة، ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: كثير خيره، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على أشرف

١ . سورة الزخرف: الآية: ٤٤.

٢ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (٧٢/٢).

٣ . جامع البيان، للطبري، (٦٠٣/٢٠).

٤ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٣٣٠/٧).

٥ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٢٥٩/٣).

٦ . البحر المديد، لأبي العباس، (٤٤٦/٣).

٧ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٧٢/٣).

٨ . سورة الأنبياء: الآية: ٥٠.

٩ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٧٢-٧١/٦).

الرسول محمد - ﷺ - ، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أي: جاحدون استفهام توبيخ<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نجد أن أبا السعود يتفق مع الخطيب الشربيني في عرض الآية، حيث يذكر أن (القرآن الكريم، أشير إليه بـ(هذا) إيذاناً بغاية وضوح أمره)، ويقول الخطيب الشربيني: (وأشار إليه بأداة القرب إيماء إلى سهولة تناوله عليهم)، فوضوح القرآن وسهولة تناوله بمعنى واحد وإن اختلفت العبارات.

ويأتي قول أبي السعود: ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير الخير غزير النفع يُتَبَرَّكُ به، على شاكلة قول الخطيب الشربيني: ﴿مُبَارَكٌ﴾؛ أي: كثير خيره، مع زيادة تفصيل في عبارة أبي السعود، وقد ذكر هذا المعنى البغوي<sup>(٢)</sup>، والزمخشري<sup>(٣)</sup>، والقرطبي<sup>(٤)</sup>، والبيضاوي<sup>(٥)</sup>.

ولا يكادان يختلفان إلا من حيث التفصيل والإجمال، وإن اختلفت العبارة فالمعاني متفقة، وإذا كان أبو السعود يذكر أن الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾؟، هو الإنكار فإن الخطيب الشربيني يذكر أن الغرض منه هو التوبيخ، وهما متقاربان، وذلك لأن التوبيخ ضرب من الإنكار، وقد جاءت أقوال المفسرين موزعة على هذين المعنيين: أي: التوبيخ والإنكار، وهذا ما نجده لدى السمرقندي<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٥٠٦/٢-٥٠٧).

٢ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (٣٢٢/٥).

٣ . الكشاف، للزمخشري، (١٢١/٣).

٤ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٩٥/١١).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٥٣/٤).

٦ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٢٩/٢).

وكذلك وافقهم الثعلبي<sup>(١)</sup>، وأبو محمد مكي<sup>(٢)</sup>، والواحدي<sup>(٣)</sup>، والسمعاني<sup>(٤)</sup>،  
والبيضاوي<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا  
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ هو كتاب داود  
- عليه السلام -، وقيل: هو اسمٌ لجنس ما أنزل على الأنبياء عليهم السلام، ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾  
أي: التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ؛ أي: وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة  
أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا  
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾؛ أي: عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار، وهذا وعدٌ منه تعالى  
بإظهار الدين وإعزاز أهله، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن المراد أرض الجنة؛  
كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ  
نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾<sup>(٨)</sup>، وقيل: الأرض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ<sup>(٩)</sup>.

١ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٨٧/٦).

٢ . الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي  
بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)،  
تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد  
البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ،  
(٤٧٦٦/٧).

٣ . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،  
الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط ١،  
١٤١٥هـ، (٧١٧/١).

٤ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣٨٥/٣).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٥٣/٤).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٨٥/٢).

٧ . سورة الأنبياء: الآية: ١٠٥.

٨ . سورة الزمر: الآية: ٧٤.

٩ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٨٨/٦).

**قال الإمام الشريبي:** "قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾؛ قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور: جميع كتب الله تعالى المنزلة، والذكر: أم الكتاب الذي عنده، ومعناه: من بعدما كتب ذكره في اللوح المحفوظ، وقال ابن عباس والضحاك: الزبور والتوراة والذكر: الكتب المنزلة من بعد التوراة، وقال الشعبي<sup>(١)</sup>: الزبور: الزبور: كتاب داود، والذكر: التوراة، وقيل: الزبور: كتاب داود - عليه السلام -، والذكر: القرآن، وبعد بمعنى قبل؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: أمامهم، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: قبله، ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾<sup>(٤)</sup> أي: أرض الجنة، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾ وحقق ذلك ما أفادته إضافتهم إليه بقوله تعالى: ﴿الصَّالِحُونَ﴾ أي: المتحققون بأخلاق أهل الذكر، المقبلون على ربهم الموحدون له، المشفقون من الساعة، الراهبون من سطوته، الراغبون في رحمته، الخاشعون له، فهذا عام في كل صالح، وقال مجاهد: يعني أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، دليله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال ابن عباس: أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون، وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين، وقيل: أراد بالأرض: الأرض المقدسة، وقيل: أراد جنس الأرض الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها، ولأرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى، وجرى على هذا البقاعي في تفسيره"<sup>(٥)</sup>.

**الدراسة:**

١ . هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد سنة: (١٩هـ)، ومات فجأة بالكوفة (سنة: ١٠٣هـ)، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر، وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً، شاعراً، واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٤/٢٩٤-٢٩٥)، والأعلام، للزركلي، (٣/٢٥٠-٢٥١).

٢ . سورة الكهف: الآية: ٧٩.

٣ . سورة النازعات: الآية: ٣٠.

٤ . سورة الزمر: الآية: ٧٤.

٥ . السراج المنير، للشريبي، (٢/٥٣٢-٥٣٣).

نلاحظ في تفسير هذه الآية أن الخطيب الشربيني أكثر تفصيلاً من أبي السعود، كما أنه يعزو الأقوال إلى أصحابها، إلا أنهما على الرغم من ذلك يتفقان في المعاني، غير أن الخطيب الشربيني يستشهد على الآراء التي يوردها بآيات من القرآن الكريم، خلافاً لأبي السعود، ولعل سبب ذلك هو الإيجاز؛ إذ إن أبا السعود لم يفصل في بعض ألفاظ هذه الآية تفصيل الخطيب الشربيني.

وعلى كل فإن أبا السعود ينص على الآتي: (الزبور) هو كتاب داود - عليه السلام -، وقيل: هو اسمٌ لجنس ما أنزل على الأنبياء - عليهم السلام -، ﴿ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ أي: التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ).

وينص الخطيب الشربيني على الآتي: (الزبور: جميع كتب الله تعالى المنزلة، والذكر: أم الكتاب الذي عنده، ومعناه: من بعدما كتب ذكره في اللوح المحفوظ، وقال ابن عباس والضحاك: الزبور والتوراة والذكر: الكتب المنزلة من بعد التوراة، وقال الشعبي: الزبور: كتاب داود، والذكر: التوراة، وقيل: الزبور: كتاب داود - عليه السلام -، والذكر: القرآن)، وقد وافق هذه الأقوال قول مقاتل بن سليمان<sup>(١)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(٢)</sup>، والطبري<sup>(٣)</sup>، والزمخشري<sup>(٤)</sup>، والبيضاوي<sup>(٥)</sup>، وابن جزي<sup>(٦)</sup>.

ومن هنا يتضح أن الشربيني قد فصل أكثر من أبي السعود إلا أنهما لا يختلفان كثيراً في المعاني التي يذكرونها.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: " وقوله تعالى: ﴿ الْفُرْقَانَ ﴾: مصدرٌ فرقَ بين الشيئين؛ أي: فصلَ بينهما، سمّي به القرآنُ لغاية فرقه بين الحقِّ والباطلِ بأحكامه، أو بينَ المحقِّ

١ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (٩٦/٣).

٢ . تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، (٣٤٩/١).

٣ . جامع البيان، للطبري، (٤٣١/١٦).

٤ . الكشف، للزمخشري، (١٣٨/٣).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٦٢/٤).

٦ . التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٣٠/٢).

٧ . سورة الفرقان: الآية: ١.

والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصلاً بعضه من بعض في نفسه، أو في إنزاله، ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾: مُحَمَّدٍ ﷺ، وإيراده - عليه الصلاة والسلام - بذلك العنوان لتشريفه والإيدان بكونه - عليه الصلاة والسلام - في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ﴿ لِيَكُونَ ﴾: غايةً للتنزيل؛ أي: نزل عليه ليكون هو - عليه الصلاة والسلام - أو الفرقان ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾: من الثقلين، ﴿ نَذِيرًا ﴾ أي: مُنذراً، أو إنذاراً مبالغاً أو ليكون تنزيلاً إنذاراً وعدم التعرض للتبشير لانسحاق الكلام على أحوال الكفرة، وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل، وإبراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيهاً على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى: ﴿ لَا رَبَّ فِيهِ ﴾ (١) " (٢).

قال الإمام الشريبي: " وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾؛ أي: القرآن، والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما، وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل، ولأنه لم ينزل جملة واحدة، ولكن مفروقاً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ (٣)، ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾؛ أي: محمد ﷺ، وأضافه إلى نفسه إضافة تشريف، وفي عود ضمير ﴿ لِيَكُونَ ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يعود على الذي نزل؛ أي: ليكون الذي نزل الفرقان نذيراً.

الثاني: أنه يعود على الفرقان؛ أي: ليكون الفرقان نذيراً، وأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٤)؛ قال قال ابن عادل (٥): وهو بعيد؛ لأن المنذر والنذير في صفات الفاعل المخوف، ووصف القرآن به مجاز وحمل الكلام على الحقيقة أولى.

١ . سورة البقرة: الآية: ٢ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٠٠/٦).

٣ . سورة الإسراء: الآية: ١٠٦ .

٤ . سورة الإسراء: الآية: ٩ .

٥ . هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير " الباب في علوم الكتاب"، (المتوفى سنة: ٧٧٥هـ)، وقيل (سنة: ٨٨٠هـ)، انظر: مقدمة كتابه، الباب في علوم الكتاب، لأبي

الثالث: أنه يعود على عبده أي: ليكون عبده محمد ﷺ، ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ أي: وبشيراً، وهذا أحسن الوجوه معنىً وصناعةً لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على أقرب مذكور، وللعالمين متعلق بـ ﴿نَذِيرًا ۝١﴾، وإنما قدّم لأجل الفواصل، ونذيراً بمعنى: منذر؛ أي: مخوف، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار؛ كالنكير بمعنى: الإنكار، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾<sup>(١)</sup>.

تنبيه: المراد بالعالمين قال البقاعي: أي: المكلفين كلهم من الجن والإنس والملائكة، ولكن في إرساله للملائكة خلاف بين العلماء، فقد نقل الجلال المحلي في شرحه على «جمع الجوامع» الإجماع على أنه لم يرسل إليهم، وغيره صرح بأنه أرسل إليهم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نلاحظ أن أبا السعود يختصر المعاني ويوجزها بخلاف الخطيب الشربيني، ولكن التفصيل في هذه الآية لا يكون في معاني الفرقان بل في الضمير المستتر في الفعل (يكون).

ويذكر أبو السعود أن ﴿الْفُرْقَانَ﴾: مصدر فرق بين الشيئين؛ أي: فصل بينهما، سمّي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه، أو بين المحق والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصلاً بعضه من بعض في نفسه، أو في إنزاله، ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: محمد ﷺ. ويذكر الخطيب الشربيني أن ﴿الْفُرْقَانَ﴾؛ أي: القرآن، والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما، وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل، ولأنه لم ينزل جملة واحدة، ولكن مفروقاً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿

حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ت ١٤١٩هـ، ص ٣-١٣، والأعلام، للزركلي، (٥٨/٥).

١ . سورة القمر: الآية: ١٦.

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٦٤٦/٢).

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴿١﴾، وهذا ما قال به الطبري<sup>(٢)</sup>، والماوردي<sup>(٣)</sup>،  
والواحدي<sup>(٤)</sup>، والسمعاني<sup>(٥)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٦)</sup>، والرازي<sup>(٧)</sup>، والسعدي<sup>(٨)</sup>.

أما في ما يخص عود الضمير في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، فقد  
فصل الخطيب الشربيني القول فيه، ولعل أصح تلك الأقوال أنه يعود على الرسول ﷺ،  
أو على القرآن الكريم.

---

١ . سورة الإسراء: الآية: ١٠٦ .

٢ . جامع البيان، للطبري، (٢٣٣/١٩) .

٣ . النكت والعيون، للماوردي، (١٣٠/٤) .

٤ . الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،  
الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور  
أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ، (٣٣٣/٣) .  
٥ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٥/٤) .

٦ . زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:  
٥٩٧ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (٣١١/٣) .  
٧ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٤٢٩/٢٤) .

٨ . تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:  
١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (٥٧٧/١) .

## المطلب الرابع

### آيات الإيمان بالرسول

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾: استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية، وأجمعت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقرئ (يوحى) على صيغة الغائب مبنياً للمفعول، وأياً ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورة الوحي" (٢).

قال الإمام الشربيني: "ولما كان الإرسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم كما أنّ الرسالة لا يقوم بها كل واحد، فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن أثبت الجار في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، وأغرق في النفي فقال تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ في شيع الأولين، ﴿إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ من عندنا، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وهذا مقرر لما سبقه من أي التوحيد، وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنَا﴾، ولم يقل: نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادّعوه من تعدد الآلهة، ولذلك قال: فاعبدون بالافراد" (٣).

١ . سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٣/٦).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٥٠٢/٢).

## الدراسة:

في هذه الآية نجد أن أبا السعود يعرض مسألة التوحيد عرضاً عاماً دون أن يستشهد عليها بألفاظ الآية وانتقائها للدلالة على توحيد الله تعالى فيقول: "التوحيد مما نطقت به الكتبُ الإلهية، وأجمعت عليه الرسلُ عليهم الصلاة والسلام".

ويلحظ القارئ أن أبا السعود تناول مسألة الوحي والرسالة بصورة واضحة حيث يذكر أن "صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورة الوحي".

أما الخطيب الشربيني فإنه يمس مسألة التوحيد أكثر من أبي السعود، حيث يؤكد على أن استعمال الضمير «أنا» فيه دلالة قوية على التوحيد فيقول: "وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنَا﴾، ولم يقل: نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادّعوه من تعدد الآلهة، ولذلك قال: فاعبدون بالإفراد"، وهذا ما قاله كل من: الطبري<sup>(١)</sup>، والبيضاوي<sup>(٢)</sup>، ووافقهم في هذا القول أبو العباس<sup>(٣)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٤)</sup>، والبقاعي<sup>(٥)</sup>.

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسليّة لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به - ﷺ - في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام، وتصديرها

١ . جامع البيان، للطبري، (٢٤٩/١٦).

٢ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٤٩/٤).

٣ . البحر المديد، لأبي العباس، (٤٥٣/٣).

٤ . فتح البيان، لأبي الطيب، (٣١٨/٨).

٥ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط بدون، ت بدون، (٤٠٧/١٢).

٦ . سورة الأنبياء: الآية: ٤١.

بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها، وتوئينُ الرسل للتفخيم والتكثير، و﴿مِّنْ﴾ متعلقةً بمحذوف هو صفة له، أي: وبالله لقد استهزئ برسل أولي شأنٍ خطير، وذوي عددٍ كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط عقيب ذلك، أو نزل أو حل أو نحو ذلك، فإن معناه يدور على الشمول واللزوم، ولا يكاد يُستعمل إلا في الشر، والحيق: ما يشتمل على الإنسان من مكروهٍ فعّله، وقوله تعالى: ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾؛ أي: من أولئك الرسل عليهم السلام، متعلق بحاق، وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ للمسارعة إلى بيان لحوق الشرّ بهم، و﴿مَا﴾: إما موصولة مفيدة للتهويل،... أي: فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به؛ حيث أهلكوا لأجله، وإما مصدرية فالضمير المجرور راجعٌ حينئذٍ إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا، ولعل إيثاره على الجمع للتنبيه على أنه يحيق بهم جزاءُ استهزائهم بكل واحدٍ واحدٍ منهم عليهم السلام لا جزاءُ استهزائهم بكلهم من حيث هو كلٌّ فقط، أي: فنزل بهم جزاءُ استهزائهم على وضع السبب موضعَ المسبب إيداناً بكمال الملابسِ بينهما، أو عينُ استهزائهم<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشريبي:** "ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على أنّ الرسل في ذلك شرع واحد تسلية له ~~﴿فَحَاقَ﴾~~، فقال عاطفاً على وإذا رآك: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كثيرين فلك بهم أسوة،... ﴿فَحَاقَ﴾ أي: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك"<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نجد الإمام أبا السعود يفصل ولا يوجز، بينما نجد الخطيب الشريبي يوجز ولا يفصل على خلاف ما مضى في الآية السابقة، وعلى كل فإن

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٨/٦).

٢ . السراج المنير، للشريبي، (٥٠٥/٢).

كليهما يذكر أن في الآية تسليّة للرسول ﷺ، بأن عاقبة المستهزئين ستكون الهلاك الذي حل بالأمم السابقة التي استهزأت بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ويختلف الإمامان في تفسير هذه الآية من حيث الإطناب والإيجاز، فالخطيب الشربيني يمر على الألفاظ مرور الكرام، وكأن الآية واضحة، بينما الإمام أبو السعود يعرض معني الآية كلمة كلمة، فيوضح أن «حاق» لا تستعمل إلا في التعبير عن الشر والهلاك.

والملاحظ أن كليهما: -أبا السعود والخطيب الشربيني - لا يعرضان الإيمان بالرسل على طريقة علماء التوحيد والعقيدة، وإنما يعرضانه بطريقة المفسر وهي طريقة تقف عند معاني الألفاظ، وتعبيرات السياق، وعلى هذا النحو جرى في تفسير هذه الآية كل من: الطبري<sup>(١)</sup>، والماتريدي<sup>(٢)</sup>، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، والواحي<sup>(٤)</sup>، ووافقه المظهري<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>، والقاسمي<sup>(٧)</sup>، والمراغي<sup>(٨)</sup>، فكل واحد من هؤلاء وإن لم يوافقهما في الألفاظ فقد وافقهما في المعاني.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾<sup>(٩)</sup>.

١ . جامع البيان، للطبري، (٢٧١/١١-٢٧٢).

٢ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٢٩/٤).

٣ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٢٧/٢).

٤ . الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحي، (٢٣٨/٣).

٥ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (١٩٨/٦).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٨٢/٣).

٧ . محاسن التأويل، للقاسمي، (١٩٥/٧).

٨ . تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ، (٣٤/١٧).

٩ . سورة الفرقان: الآية: ٢٠.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: جوابٌ عن قولهم: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(١)</sup>... والمعنى: ما أرسلنا أحداً قبلك من المرسلين إلا آكلين وماشين، وقرئ: يمشون على البناء للمفعول؛ أي: يمشيهم حوائجهم أو الناس، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ سَائِرًا﴾: تلوينٌ للخطاب بتعميمه لسائر الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بطريق التعليل، والمراد بهذا البعض: كفار الأمم؛ فإن اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضاً منهم...، ﴿فِتْنَةً﴾ أي: ابتلاءً ومحنة...، وقوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾؛ المعنى: جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة، وإيذائهم لهم وأقاوليلهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعلم صبركم. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ وعدٌ كريم للرسل عليه الصلاة والسلام بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالالتفات إلى اسم الربّ مضافاً إلى ضميره ﷻ"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخرها أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ أي: يا أشرف الخلق أحداً ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا﴾ وحالهم ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ كما تأكل ويأكل غيرك من الآدمين، ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: كما تفعل فهذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله، وهم يعلمون ذلك بالسمع من أخبارهم، وهذا تأكيد من الله تعالى؛ لأنهم لا يكذبونه ﷻ، وقيل: معنى الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قد قيل لهم مثل هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ

١ . سورة الفرقان: الآية: ٧.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢١٠/٦).

٣ . سورة الفرقان: الآية: ٧.

لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴿١﴾، ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: بالعطاء والمنع بما لنا من العظمة  
﴿بَعْضَكُمْ﴾ أي: أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي: بليّة، والمعنى: أنه تعالى  
ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم والعدواة لهم، وأقاويلهم الخارجة عن حد  
الإنصاف، وجعل الغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع،  
يقول الثاني من كل: ما لي لا أكون كالأول؟.

وقال ابن عباس-~~رضي~~:- جعلت بعضكم بلاءً لبعض لتصبروا على ما تسمعون  
منهم، وترون من خلفهم فنتبّعوا الهدى أم لا، وقال مقاتل<sup>(٢)</sup>: نزلت هذه الآية في أبي  
جهل والوليد بن عقبة والعاصي بن وائل والنضر بن الحرث، وذلك أنهم رأوا أبا ذر  
وابن مسعود وعماراً وبلالاً وصهيباً وعامر بن فهيرة ومن دونهم قد أسلموا قبلهم، فقالوا:  
أنسلم ونكون مثل هؤلاء؟ وقيل: جعلناك فتنة لهم؛ لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز  
وجنات لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا، فتكون ممزوجة بالدنيا، وإنما بعثناك فقيراً  
لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي، وقوله تعالى:  
﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: على ما تسمعون مما ابتليتم، به استفهام بمعنى الأمر؛ أي:  
اصبروا، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ﴾ أي: المحسن إليك إحساناً لم يحسنه إلى أحد سواك لا  
سيما بجعلك نبياً عبداً، ﴿بَصِيْرًا﴾ أي: بكل شيء فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان لم  
يفده ذلك علماً لم يكن عنده، ولكن يعلم ذلك شهادة كما يعلم علم الغيب، ولتقوم عليهم  
بذلك الحجة فلا يضيقن صدرك ولا تستخفك أقاويلهم، فإن صبرك عليها سعادتك  
وفوزك في الدارين.

١ . سورة فصلت: الآية: ٤٣ .

٢ . مقاتل: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين، أصله من بلخ  
انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، سنة: (١٥٠هـ)، كان متروك الحديث، من كتبه  
(التفسير الكبير)، و (نواذر التفسير) و (الرد على القدريّة) و (متمشابه القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (القراءات) و  
(الوجوه والنظائر)، انظر: سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، (٢٠١/٧)، والأعلام، للزركلي، (٢٨١/٧).

روي أنه عليه السلام قال: «إذا نظر أحدكم من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

الملاحظ في تفسير هذه الآية أن أبا السعود العمادي والخطيب الشربيني لا يختلفان في المعاني، غير أن الخطيب الشربيني أسهب في ذكر المعاني والأحاديث وسبب النزول أكثر من أبي السعود، ولكن على الرغم من هذا الإسهاب والإطناب إلا أن كليهما: أبا السعود والخطيب الشربيني لم يعرضا معنى مهماً وهو أن قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ فيه كناية عن قضاء الحاجة، وقد ذكر ذلك بعض المفسرين ومنهم الخطيب الشربيني "في قوله تعالى في عيسى - عليه السلام - وأمه مريم: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾"<sup>(٣)</sup>، فقال: والمراد منه: قضاء الحاجة"<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو الأمر الذي يجب أن يعرفه الناس عن الرسل بأنهم بشر كسائر البشر، وليسوا آلهة، ولا أبناء الله؛ كما زعمت اليهود والنصارى، والذي أعنيه أن هذين الإمامين الجليلين لم يعرضا بشرية الرسل والأنبياء، ولا بشرية محمد عليه السلام، وإنما عرضا الأقوال والمعاني بعيداً عن الإشارة إلى هذه الكناية التي تبين أن الرسل والأنبياء بشر كسائر الناس، إلا أنه يوحى إليهم، ويجب الإيمان بهم، وقد وافق الإمامان الجليلان في تفسير هذه الآية ما ذهب إليه الماتريدي<sup>(٥)</sup>، والزمخشري<sup>(٦)</sup>، والقرطبي<sup>(٧)</sup>، والمظهري<sup>(٨)</sup>.

- ١ . صحيح مسلم، باب الزهد والرقائق، (٤٨٨/٢)، برقم (٢٩٦٣)، وصحيح البخاري، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، (١٠٢/٨)، برقم (٦٤٩٠).
- ٢ . السراج المنير، للشربيني، (٦٥٤-٦٥٥).
- ٣ . سورة المائدة: الآية: ٧٥.
- ٤ . انظر: السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٣٢٤ / ٤).
- ٥ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٩/٨).
- ٦ . الكشف، للزمخشري، (٢٧١/٣).
- ٧ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٥/١٣).
- ٨ . تفسير المظهري، لمحمد بن ثناء الله، (١٧/٧).

## المطلب الخامس

### آيات الإيمان باليوم الآخر

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك، أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفى الوارث لإرثه ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: يُردّون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك، أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفى الوارث لإرثه ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: يُردّون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً"<sup>(٣)</sup>.

#### الدراسة:

يعرض أبو السعود والخطيب الشربيني هذه الآية عرضاً متقارباً في تناول المعاني، من الحديث عن فناء كل ما على الأرض ومن عليها، ويأتي بعد الفناء الحساب والجزاء، ولكن نجد الخطيب الشربيني يتفرد بذكر الغرض من استعمال (من)، دون (ما)، وذلك لأن (من) تدل على العاقل، بينما تدل (ما) على غير العاقل، ولأن العاقل أقوى من غيره، وأنه هو المعني بيوم القيامة، ولأن ميزان العدالة يقتضي أن

١ . سورة مريم: الآية: ٤٠.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٦/٥).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٤٢٧/٢).

يكون هناك حساب وجزاء، وإلا فقدت هذه الحياة قيمتها، وضاعت المظالم، ونجا الظلمة والمجرمون، لذلك كان لا بد من البعث والحساب والجزاء والجنة أو النار، وعلى هذا النحو جاء الحديث عن يوم الحساب عند تفسير هذه الآية لدى البقاعي<sup>(١)</sup>، والنسفي<sup>(٢)</sup>.

وقد عرض أبو السعود والشرييني هذه المعاني عرضاً موجزاً في تفسير: ﴿يُرْجَعُونَ﴾، فقال أبو السعود: (أي: يُرَدُّونَ للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً)، وقال الشرييني: ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فنجازيهم بأعمالهم، وهو ما ذكره الطبري<sup>(٣)</sup>، والثعلبي<sup>(٤)</sup>، والبيضاوي<sup>(٥)</sup>، والحنفي<sup>(٦)</sup>، والقرطبي<sup>(٧)</sup>، وابن عادل<sup>(٨)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾<sup>(٩)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿فَوَرِّكَ﴾: إقسامه باسمه عزّت أسماؤه مضافاً إلى ضميره - عليه السلام - لتحقيق الأمر بالإشعار بعليّته وتفخيم شأنه - عليه الصلاة والسلام -، ورفع منزلته، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: لنجمعن القائلين بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجناهم من الأرض أحياء، ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجهٍ وأكده، كأنه أمرٌ واضحٌ غنيٌّ عن التصريح به، وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك

١ . نظم الدرر، للبقاعي، (٢٠٢/١٢).

٢ . مدارك التنزيل، للنسفي، (٣٣٧/٢).

٣ . جامع البيان، للطبري، (٢٠٢/١٨).

٤ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٢١٦/٦).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٦٤/٥).

٦ . روح البيان، للحنفي، (٢٦٧/٢٥).

٧ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/٤).

٨ . اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٧١/١٣).

٩ . سورة مريم: الآية: ٦٨.

من الأهوال، ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾: معطوفٌ على الضمير المنصوبِ أو مفعول معه، روي أن الكفرة يُحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تُغويهم، كلٌّ منهم مع شيطانه في سلسلة، وهذا وإن كان مختصاً بهم لكن ساغ نسبته إلى الجنس باعتبار أنهم لما حُشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً، كما ساغ نسبة القول إلى المحكي إليه مع كون القائل بعض أفرادهم، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّ لَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطةً وسروراً، وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عُدَّةً ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم بهم، والجثي: جمع جاثٍ من جثا إذا قعد على ركبتيه،... ونصبه على الحالية من الضمير البارز؛ أي: لنُحْضِرَنَّهُمْ حول جهنم جاثين على رُكَبِهِمْ لما يدهمهم من هول المطلع، أو لأنه من توابع التوافق للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب، فإن أهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾<sup>(١)</sup>، على ما هو المعتاد في مواقف التقاؤل، وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف إلى شاطئ جهنم جثاةً إهانةً بهم، أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشريفي: "ثم إنه تعالى لما قرّر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من وجوه: أولها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾؛ أي: المحسن إليك بالانتقام منهم، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: بعد البعث، ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾ الذين يضلونهم؛ بأن نحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وفائدة القسم أمران:

أحدهما: أن العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين، والثاني: في إقسام الله باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ تفخيم لشأنه، ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض

١ . سورة الجاثية: الآية: ٢٨

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٧٥/٥).

في قوله تعالى: ﴿فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾<sup>(١)</sup>، والواو في ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾: يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى مع وهو أولى.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ بعد طول الوقوف ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطتهم وسروراً إلى سرورهم، ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم، وما يغبطهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم، وقوله تعالى: ﴿جِثْيَا﴾ حال مقدرة من مفعول ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾، وهو جمع جاث.

فإن قيل: هذا المعنى حاصل لكل بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾<sup>(٢)</sup>، ولأنَّ العادة جارية بأنَّ الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من القلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا حاصلًا لكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار؟ أجيب: بأنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نلاحظ أن أبا السعود يشير إلى البعث إشارة واضحة تقترب من أسلوب علماء العقيدة حيث يقول: (ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجهٍ وآكدِه، كأنه أمرٌ واضحٌ غنيٌّ عن التصريح به، وإنما المحتاجُ إلى البيان ما بعد ذلك من الأهوال).

وكذلك قوله: (وإن كان المرادُ بالإنسان: الكفرة؛ فلعلهم يساقون من الموقف إلى شاطئ جهنم جثاةً إهانةً بهم، أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة).

١ . سورة الذاريات: الآية: ٢٣.

٢ . سورة الجاثية: الآية: ٢٨.

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٤٣٩).

ومن هنا نلاحظ أن أبا السعود يتحدث عن الإيمان باليوم الآخر بما تعنيه هذه التسمية من دلالة ومعنى، على خلاف ما مر بنا في الآيات السابقة، ولعل السبب في ذلك هو طبيعة الكلمة: ﴿جِثْيَا﴾، وما تحمله من دلالة.

أما الخطيب الشربيني فإنه يربط هذه الآية بما سبقها من الآيات؛ حيث يقول: (ثم إنه تعالى لما قرّر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد)، ويقصد بذلك الآيات التي تتحدث عن إنكار الكفرة للبعث، ونسيانهم لمسألة الخلق، وكيف أن الله تعالى خلقهم ولم يكونوا شيئاً، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو السعود في نهاية تفسير الآية السابقة بقوله: (المراد بالإنسان: الكفرة)، حيث ورد ذكر الإنسان في الآيتين السابقتين مرتين: ﴿وَيَقُولُ أَلِإِنْسَانِ إِذَا مَا مِئْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۚ﴾ (٦٧) (١).

وقد اتفق الإمامان في تفسير هذه الآية في أن كل كافر يحشر مع شيطانه الذي يضلّه في سلسلة، وفي الحديث عن سعادة المؤمنين وغبطتهم، وحسرة الكافرين وندمهم، وفي أن العادة جارية بأنّ الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من القلق، وفي الاستدلال بآية الجاثية، ولكن مع اختلاف العبارة وأسلوب التناول، وتفسيرهما لهذه الآية يتفق مع ما قاله الزجاج (٢)، والماتريدي (٣)، والواحدي (٤)، السمعاني (٥)، وابن كثير (٦).

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (٦٨) (٧).

١ . سورة مريم: الآيتان: ٦٦، ٦٧.

٢ . معاني القرآن، للزجاج، (٣/٣٣٨).

٣ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٧/٢٥١).

٤ . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدى، (١/٦٨٦).

٥ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣/٣٠٦).

٦ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/٢٥١).

٧ . سورة الأنبياء: الآية: ١.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالناس: المشركون، وهو الذي يُفصح عنه ما بعده، والمراد باقتراب حسابهم: اقترابه في ضمن اقتراب الساعة، وإسنادُ الاقترابِ إليه لا إلى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأحوالِ الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكّرهم ذلك، واللامُ متعلقةٌ بالفعل، وتقديمُها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة، فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبةً وانزعاجاً من المقترَب،... والمعنى: دنا منهم حسابُ أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب، وفي إسناد الاقترابِ المنبئ عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يُعتبرَ التوجُّه والإقبالُ من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه، وتهويل أمره ما لا يخفى؛ لما فيه من تصويره بصورة شيءٍ مقبلٍ عليهم لا يزال يطلبهم، ويصيبهم لا محالة، ومعنى اقترابه لهم: تقارُّبه ودُنُوُّه منهم بعد بُعده عنهم، فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقربُ إليهم منه في الساعة السابقة.

هذا وأما الاعتذارُ بأن قرَّبه بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، أو بالنسبة إلى الله - ﷻ -، أو باعتبار أن كلَّ آتٍ قريبٌ فلا تعلُّقَ له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي، ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه، نعم؛ قد يفهم منه عرفاً كونه قريباً في نفسه أيضاً، فيصار حينئذٍ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الآخرين، أما الثاني: فلا سبيلَ إلى اعتباره هاهنا؛ لأن قرَّبه بالنسبة إليه تعالى مما لا يُتصوَّر فيه التجددُ والتفاوتُ حتماً، وإنما اعتباره في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>، ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث، وأما الثالث: فلا دلالة فيه على القرب حقيقةً ولو بالنسبة إلى شيء آخر<sup>(٢)</sup>.

١ . سورة الشورى: الآية: ١٧.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥٣/٦).

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ﴾ أي: قرب، ﴿لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي: في يوم القيامة، وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب؛ لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها، وآخر الفاعل تهويلاً لتذهب النفس في تعيينه كل مذهب فإن قيل: كيف وصف ذلك اليوم بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من تسعمائة عام أجيب بأنه مقترب عند الله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧)، ولأن كل آت - وإن طالَّت أوقات استقباله وترقبه - قريب، وإنما البعيد هو الذي وجد وانقرض، قال الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غد      ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس<sup>(٢)</sup>.

ولأن ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين - ﷺ -

الموعود ببعثه في آخر الزمان، وقال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»<sup>(٣)</sup>، وأشار بإصبعيه، وقال - ﷺ -: «ختمت النبوة بي»<sup>(٤)</sup>، كل ذلك لأجل أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي، وعن ابن عباس أن المراد بالناس: المشركون، وهو من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: والحال أنهم ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾؛ أي: عن الحساب ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب لهذا اليوم، لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما يرجع إليه خاتمة أمرهم مع

١ . سورة الحج: الآية: ٤٧.

٢ . قائل هذا البيت هو ابن دراج القسطلي، انظر: ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود على مكي، دمشق ط بدون، ١٩٦١م، ص ٨٤.

٣ . صحيح البخاري، كتاب الرقائق، (١٠٥/٨) برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٥٩٢/٢)، برقم (٨٦٧).

٤ . أورده البخاري عن أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله - ﷺ -، قال: إن " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (١٨٦ / ٤) برقم: (٣٥٣٥).

اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء، وأيضاً إن هذه الآية نزلت في كفار مكة<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية تتقارب المعاني التي تحدث عنها الإمامان: أبو السعود والخطيب الشربيني مع اختلاف العبارة وأسلوب تناول، غير أن أبا السعود يربط فاتحة السورة بخاتمة السورة السابقة، خلافاً للخطيب الشربيني.

ومن المعاني التي اتفق فيها الإمامان الجليلان: أن التعبير بالفعل الماضي ﴿قَتَرَبَ﴾ للدلالة على مزيد القرب، غير أن أبا السعود قال: (صيغة الماضي)، بينما قال الشربيني: (صيغة الافتعال)، أي: أن الشربيني تناوله من جانب البنية كون زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى<sup>(٢)</sup>، وكأن شيئاً مقبلاً عليهم لا محالة، وكذلك من المعاني التي اتفقا عليها أن المقصود بالناس: المشركون، وهذا ما أشار إليه عند تفسير هذه الآية كل من: السمعاني<sup>(٣)</sup>، والزمخشري<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، والنسفي<sup>(٦)</sup>، وأبو حيان<sup>(٧)</sup>، وأبو العباس<sup>(٨)</sup>.

ونلاحظ أن كليهما أسهب في تفسير المعنى المراد بالاقتراب، وهل يكون ذلك بمقارنة بالزمن المتبقي من عمر الدنيا أو غيره؟، ثم يتحدث الشربيني عن إعراض الناس وهم الكفار عن التأهب ليوم البعث، وسبب نزول الآية، وقد وافقهما في ذلك كل من: ابن جزي<sup>(٩)</sup>، والنسفي<sup>(١٠)</sup>، والشوكاني<sup>(١١)</sup>.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٩٤).

٢ . انظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ت بدون، (٢/١٥٢).

٣ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣/٣٦٧).

٤ . الكشاف، للزمخشري، (٣/١٠٠).

٥ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/٢٦٦).

٦ . مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/٣٩٣).

٧ . البحر المحيط، لأبي حيان، (٧/٤٠٥).

٨ . البحر المديد، لأبي العباس، (٣/٤٤١).

٩ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٢/١٨).

١٠ . مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/٣٩٣).

١١ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/٤٦٨).

#### الآية الرابعة:

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٦٠) ﴿١﴾.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾؛ أي: يعطون ما أعطوه من الصدقات، وقرئ: (يأتون ما أتوا)؛ أي: يفعلون ما فعلوه من الطاعات، وأياً ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق، كما أن صيغة المضارع في الأولى للدلالة عن الاستمرار، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ حال من فاعل يؤتون، أو يأتون؛ أي: يؤتون ما آتوه، أو يفعلون من العبادات ما فعلوه، والحال: أن قلوبهم خائفة أشد الخوف، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾؛ أي: من أن رجوعهم إليه -عكس- على أن مناط الوجل ألا يقبل منهم ذلك، وألاً يقع على الوجه اللائق فيؤخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى، وقيل: لأن مرجعهم إليه تعالى، والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة، كأنه قيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٢)؛ ﴿بِعَايَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) الخ، وإنما كرر الموصول إيذاناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حاليها، وتنزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها" (٤).

قال الإمام الشربيني: "ولما أثبت لهم الإيمان الخالص نفى عنهم العجب بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾؛ أي: يعطون ﴿مَاءً آتَوْا﴾؛ أي: ما أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة، وهذه الصفة الرابعة، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ أي: شديدة الخوف أن لا يقبل منهم ولا ينجيهم من عذاب الله، ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: الذي طال إحسانه إليهم، ﴿رَاجِعُونَ﴾ بالبعث، فيجازيهم على النقيير والقطمير، ويجزيهم بكل قليل وكثير، وهو الناقد البصير، ولا تنفع هناك الندامة، وليس هناك إلا الحكم

١ . سورة المؤمنون: الآية: ٦٠.

٢ . سورة المؤمنون: الآية: ٥٧.

٣ . سورة المؤمنون: الآية: ٥٨.

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٤٠/٦).

العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك؛ قال الحسن البصري<sup>(١)</sup>: المؤمن جمع إيماناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

الملاحظ أن أبا السعود انشغل في تفسير هذه الآية بأوجه القراءات ودلالاتها، أكثر من انشغاله بتفصيل الحديث عن البعث، ومع أن هناك موضعاً خاصاً بالقراءات القرآنية إلا أننا هنا نشير إلى أن هذه القراءة لها علاقة بالمعنى المتعلق بالبعث، وقد اتفق أبو السعود والشريبي على أن الخشية التي وصف الله تعالى بها المؤمنين في هذه الآية سببها خوفهم من ألا تقبل صدقاتهم عند لقاء الله تعالى يوم القيامة، وبه قال مقاتل<sup>(٣)</sup>، والطبري<sup>(٤)</sup>، والسمرقندي<sup>(٥)</sup>، والواحي<sup>(٦)</sup>، والزمخشري<sup>(٧)</sup>، والبيضاوي<sup>(٨)</sup>، وأبو العباس<sup>(٩)</sup>، والشوكاني<sup>(١٠)</sup>.

ونلاحظ أن الخطيب الشريبي أوجز عبارة من أبي السعود في تفسير هذه الآية، وقد لمس بعبارته شغاف القلوب، وتناول مسألة البعث تناولاً مؤثراً.

### الآية الخامسة:

- ١ . الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد في المدينة ( سنة: ٢١ هـ)، إمام أهل البصرة، من سادات التابعين، توفي ( سنة: ١١٠ هـ)، انظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل أبيك بن عبد الله الصفي، ت: ٧٦٤ هـ، تحقيق: أحمد الأرنبوط، وآخر، دار إحياء التراث بيروت، ط بدون، ٢٠٠٠م، ( ١٢ / ١٩٠)، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ( ٢ / ٦٩)، والأعلام، للزركلي، ( ٢ / ٢٢٦).
- ٢ . السراج المنير، للشريبي، ( ٢ / ٥٨٤).
- ٣ . تفسير مقاتل، ( ٣ / ١٦٠).
- ٤ . جامع البيان، للطبري، ( ١٩ / ٤٦).
- ٥ . بحر العلوم، للسمرقندي، ( ٢ / ٤٧٤).
- ٦ . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحي، ( ١ / ٧٤٩).
- ٧ . الكشف، للزمخشري، ( ٣ / ١٩٢).
- ٨ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، ( ٤ / ٩٠).
- ٩ . البحر المديد، لأبي العباس، ( ٣ / ٥٨٣).
- ١٠ . فتح القدير، للشوكاني، ( ٣ / ٥٨١).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: وُصفوا بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا، وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإشعاراً بعلّة الحكم، فإنّ الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدّواهي من أقوى الدّواعي إلى طلب الحقّ وسلوك سبيله، ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: عن جنس الصِّرَاطِ، ﴿لَنُكَبُّونَ﴾: لعادلون فضلاً عن الصِّرَاطِ المستقيم الذي تدعوهم إليه، والأوّل أدلّ على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنّه ينبئ عن كون ما ذهبوا إليه ممّا لا يُطلق عليه اسمُ الصِّرَاطِ ولو كان مُعوجاً"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشريبي: "قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعث والثواب والعقاب، ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الذي لا صراط غيره؛ لأنّه لا موصل إلى القصد غيره، ﴿لَنُكَبُّونَ﴾ أي: عادلون منحرفون في سائر أحوالهم، سائرون على غير منهج أصلاً؛ بل خبط عشواء"<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية نجد أن الخطيب الشريبي يفسر نفس الألفاظ والعبارات التي يفسرها أبو السعود، دون زيادة أو نقصان، ويختلفان من حيث الإطناب والإيجاز، كما يختلفان في تفسير الصراط، حيث يذكر أبو السعود أن المراد به جنس الصراط، وهو الطريق المستقيم، فهم مائلون عادلون عن أي طريق مستقيم، أيّاً كان هذا الطريق، وفي ذلك تصوير واضح لانحرافهم الذي لا يستقيم أبداً، وبه قال أبو الطيب<sup>(٤)</sup>.

١ . سورة المؤمنون: الآية: ٧٤.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٤٥/٦).

٣ . السراج المنير، للشريبي، (٥٨٦/٢).

٤ . فتح البيان، لأبي الطيب، (١٣٩/٩).

بينما يذكر الشرييني أن المراد به الطريق المستقيم الموصل إلى الجنة، وهو الطريق أو المنهج الذي نزلت الشرائع السماوية والكتب الإلهية لتوضيحه وتبيينه، وبه قال السمرقندي<sup>(١)</sup>، الثعالبي<sup>(٢)</sup>.

وهذا واضح من عبارة أبي السعود حيث يقول: (والأوّل أدلُّ على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم؛ لما أنّه ينبئ عن كون ما ذهبوا إليه ممّا لا يُطلق عليه اسمُ الصّراطِ ولو كان مُعوجّاً)، وبهذا قال أبو محمد مكي<sup>(٣)</sup>، والسمعاني<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>.

---

١ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٧٦/٢).

٢ . الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (١٥٨/٤).

٣ . الهداية الى بلوغ النهاية، لمحمد مكي، (٤٩٧٩/٧).

٤ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٤٧٤/٣).

٥ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٥٥/٢).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٥٨٥/٣).

## المطلب السادس

### آيات الإيمان بالقدر

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمَتْ نَفْسًا فَجِيعًا مِّنَ الْغَمِّ وَفَتَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يٰمُوسَىٰ ۖ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: ومدين بلدة شعيب - عليه السلام - على ثماني مراحل من مصر، ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ إلى المكان الذي أونس فيه النار، ووقع فيه النداء والجوار، وفي كلمة التراخي إيذاناً بأن مجيئه - عليه السلام - كان بعد (اللتيا والتي)<sup>(٢)</sup>، من ضلال الطريق، وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك، ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: تقدير قدرته؛ لأن أكلَمَكَ وأستنبئك في وقت قد عينته لذلك، فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر، وقيل: على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء - عليهم السلام -، وهو رأس أربعين سنة، وقوله تعالى: ﴿يٰمُوسَىٰ﴾ تشريف له - عليه السلام -"<sup>(٣)</sup>.

١ . سورة طه: الآية: ٤٠ .

٢ . المراد بـ(اللتيا والتي): مقاساة الدواهي الصغيرة والعظيمة، واللتيا: تصغير التي، وهو على غير قياس التصغير المطرد؛ لأن القياس: أن يضم أول الاسم إذا صُغُر، وقد أقر هذا الاسم على الفتحة الأصلية عند تصغيرها؛ إلا أن العرب عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفاً في آخره، وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه، انظر: الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط بدون، (٢٧٤/٢)، ومقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، طبع بالمطبعة الحسينية المصرية، ط بدون، ١٩٢٩م، ص ٢٨١، وص ٢٨٥.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٥/٦-١٦).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: فلبثت سنين فيهم عند شعيب - عليه السلام - وتزوجت بابنته، وهي إما عشر أو ثمان؛ لقوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال وهب: لبث موسى عند شعيب ثماناً وعشرين سنة، منها عشر سنين مهر امرأته، فإنه قضى أوفى الأجلين، والآية دالة على أنه لبث عشر سنين، وليس فيها ما ينفي الزيادة على العشر كما قاله الرازي؛ وإن قال ابن عادل يرده قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: الأجل المشروط عليه في تزويجه، وسار بأهله، ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر، ﴿ثُجِّتَ عَلَى قَدَرٍ﴾؛ أي: على القدر الذي قدرته أنك تجي فيه لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر، وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه للأنبياء، وهذا قول أكثر المفسرين؛ أي: على الموعد الذي وعد الله، وقدر أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة، وكرر تعالى قوله: ﴿يَمُوسَى﴾ عقب ما هو غاية الحكاية للتبويه على ذلك<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية يظهر لنا كيف تتفق المعاني لدى الإمامين الجليلين: أبي السعود والخطيب الشرييني، بل إنهما يتفقان في بعض الألفاظ والعبارات، عند حديثهما القدر حيث يقول الإمام أبو السعود في قوله تعالى: ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾؛ أي: تقدير قدرته؛ لأن أكلمك وأستنبئك في وقت قد عينته لذلك، فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر، وقيل: على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء - عليهم السلام -، وهذا هو المعنى ذكره الخطيب الشرييني نفسه.

وقد اتفقا في كثير من الألفاظ والمعاني؛ كبعد مصر عن أرض مدين، وكالسن التي يوحى فيها . عادة . إلى الأنبياء - عليهم السلام -، وغير ذلك من الألفاظ

١ . سورة القصص: الآية: ٢٧.

٢ . سورة القصص: الآية: ٢٩.

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٤٦٢-٤٦٣).

والعبارات، وقد جاءت هذه الأقوال موافقة لما قاله ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>، والواحدي<sup>(٢)</sup>، والسمعاني<sup>(٣)</sup>، والبغوي<sup>(٤)</sup>، والرازي<sup>(٥)</sup>، والبيضاوي<sup>(٦)</sup>، والشوكاني<sup>(٧)</sup>.

ونلاحظ في تفسير هذه الآية أن الخطيب الشربيني يستدل بأقوال المفسرين، ويفصل القول في مسألة الأجل الذي قضاه موسى -عليه السلام- في أرض مدين عند نبي الله شعيب -عليه السلام-، وأن الذين قالوا: لبث موسى عند شعيب ثماناً وعشرين سنة، يرده قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾.

ولكن أبا السعود والخطيب الشربيني كليهما لم يورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: حين سئل: (أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟)، قال: «أَوْفَاهُمَا وَأَبْرَهُمَا»<sup>(٨)</sup>، أي: أنه مكث عشر سنين، وإن كان الخطيب الشربيني يذكر أن موسى عليه السلام قضى أوفى الأجلين؛ لكن لم يشر إلى الحديث المذكور.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٩)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: الاستفهام للتقرير؛ أي: قد علمت ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء

١ . تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٢٤٢٣/٧).

٢ . الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (٢٠٧/٣).

٣ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣٣١/٣).

٤ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٢٦٢/٣).

٥ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٥٠/٢٢).

٦ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٢٨/٤).

٧ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٣٢/٣).

٨ . انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ثم صورتها: دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، ١٤٠٩هـ، (١٥ / ٢).

٩ . سورة الحج: الآية: ٧٠.

التي من جُمَلتها ما يقوله الكَفَرَةُ، وما يعملونه، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما في السَّمَاءِ والأَرْضِ ﴿فِي كِتَابٍ﴾، هو اللُّوحُ قد كُتِبَ فيه قبل حدوثه فلا يُهمُّكَ أمرهم مع علمنا به وحفظنا له، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذُكِرَ من العلم والإحاطة به وإثباته في اللُّوحِ أو الحكم بينكم ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فَإِنَّ علمه وقدرته مُقتضى ذاته فلا يَخْفَى عليه شيءٌ ولا يعسرُ عليه مقدورٌ<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** "قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ﴾ بجلال عزه وعظيم سلطانه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يخفى عليه شيء، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر، ﴿فِي كِتَابٍ﴾ كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه قبل وقوعه، وكتب جزاؤه وهو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿يَسِيرٌ﴾؛ أي: سهل؛ لأنَّ علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء"<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

لا تختلف هذه الآية عن الآيات السابقة من حيث تناول الإمامين الجليلين لها، فقد اتفقت بعض الألفاظ والعبارات، غير أن الإمام أبا السعود يعرض للاستفهام في بداية الآية، ويبين نوعه ومعناه؛ بخلاف الخطيب الشرييني، ولم يعرج أحدهما أو كلاهما على مسألة الإيمان بالقدر والاطمئنان إلى قضاء الله تعالى وأحكامه، غير أن مهمة المفسر تختلف عن مهمة علماء العقيدة، على الرغم من أن القرآن كان يرمي بمثل الآية إلى أن يرضى المسلم بما كتب وأن الله تعالى غالب على أمره، ولا يمكن أن يرد أحد قدراً من أقدار الله تعالى.

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١١٩/٦).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٥٦٥/٢).

وعلى كل فقد عرض كلا الإمامين أن الأعمال والأقوال كلها محصورة في كتاب، وأنه تعالى مطلع على كل صغيرة وكبيرة، ولا تخفى عليه خافية، وبه قال السمرقندي<sup>(١)</sup>، والواحدي<sup>(٢)</sup>، والرازي<sup>(٣)</sup>، وأبو حيان<sup>(٤)</sup>، والأيجي<sup>(٥)</sup>.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: هو المطر، أو الأنهار النازلة من الجنة، قيل هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في فنون معاشهم<sup>(٧)</sup>... ﴿يَقْدَرُ﴾: بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم، ودفع مضارهم، أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم، ﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلناه ثابتاً قاراً فيها، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي: إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التغيير بحيث يتعذر استنباطه، ﴿لَقَادِرُونَ﴾ كما كنا قادرين على إنزاله، وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة

١ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٦٩/٢).

٢ . الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (٢٧٩/٣).

٣ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٥٠/٢٣).

٤ . البحر المحيط، لابي حيان، (٥٣٥/٧).

٥ . جامع البيان، للإيجي، (٧٠/٣).

٦ . سورة المؤمنون: الآية: ١٨.

٧ . ورد هذا الحديث بألفاظ وروايات مختلفة، مع زيادة بعضها، ونقص في بعضها الآخر، منها قوله -ﷺ- : (سيحان وجيحان والنيل والفرات، كل من أنهار الجنة)، انظر: صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج؛ أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٤/٢١٨٣).

طُرُقِهِ وَمِبَالِغُهُ فِي الْإِبْعَادِ بِهِ وَلِذَلِكَ جَعَلَ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (١) (٢).

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من جرمها، وهو ظاهر اللفظ وعليه أكثر المفسرين، أو من السحاب، وسماه سماء لعلوه، ﴿مَاءً يَقْدَرُ﴾؛ أي: بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة، ويسلمون معه من المضرة؛ إذ لو كان فوق ذلك لأغرقت البحار الأقطار، ولو كان دون ذلك لأدّى إلى جفاف النبات والأشجار، ﴿فَأَسْكَنَهُ﴾ أي: فجعلناه ثابتاً مستقراً، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٣)، و«عن ابن عباس عن النبي: ﷺ» «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سِيحُونُ نَهْرُ الْهِنْدِ، وَجِيحُونُ نَهْرُ بَلْخِ، وَدَجَلَةُ وَالْفَرَاتُ نَهْرَا الْعِرَاقِ، وَالنَّيْلُ نَهْرُ مِصْرَ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عَيُونِ الْجَنَّةِ مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا عَلَى جَنَاحِي جَبْرِيلَ فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ وَأَجْرَاهَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ مِنْ أَصْنَافٍ مَعَاشِهِمْ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيلَ فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَتَابُوتَ مُوسَى بِمَا فِيهِ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ فَيَرْفَعُ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ» (٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدَرُونَ﴾ لَقَدَرُونَ ﴿قُدْرَةٌ هِيَ فِي نَهَايَةِ الْعِظْمَةِ، فَإِنَّا كَمَا قَدَرْنَا عَلَى إِيجَادِهِ وَاخْتِرَاعِهِ نَقْدَرُ عَلَى رَفْعِهِ وَإِزَالَتِهِ وَزَوَالِهِ، فَإِذَا رَفَعْتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مِنَ الْأَرْضِ فَقَدْ أَهْلَهَا خَيْرُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا؛ قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَابِقِ الْإِسْكَندَرِيِّ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَبَانَ.

١ . سورة الملك: الآية: ٣٠.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/١٢٧-١٢٨).

٣ . سورة الزمر: الآية: ٢١.

٤ . ورد هذا الحديث بألفاظ وروايات مختلفة، مع زيادة بعضها، ونقص في بعضها الآخر، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (سيحان وجيحان والنيل والفرات، كل من أنهار الجنة)، انظر: صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج؛ أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٤/٢١٨٣).

تنبيه: في تكثير ذهاب إيماء إلى تكثير طرقه، وفيه إيدان باقتدار المذهب، وأنه لا يتعيا عليه شيء إذا أراده، وهو أبلغ في الإيعاد من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفادها إذا لم تشكر<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يتفق أبو السعود والخطيب الشربيني في تفسير هذه الآية، غير أن أبا السعود يشير إلى الحديث الشريف بمعناه دون أن ينص على أنه حديث، بخلاف الخطيب الشربيني فقد نص على الحديث لكنه لم يذكر أين ورد الحديث ومن الذي رواه؟.

ونلاحظ أن أبا السعود يذكر أن قوله تعالى: ﴿يَقْدَرِ﴾؛ معناه: (بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم، ودفع مضارهم، أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصلحتهم)، أي: بما يفي بالحاجة، دون زيادة أو نقصان.

أما الخطيب الشربيني فيفصل القول في ذلك فيقول: ﴿مَاءٌ يَقْدَرِ﴾؛ (أي: بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة، ويسلمون معه من المضرة؛ إذ لو كان فوق ذلك لأغرقت البحار الأقطار، ولو كان دون ذلك لأدّى إلى جفاف النبات والأشجار).

وقد قال بهذه الأقوال جميعها كل من: مقاتل<sup>(٣)</sup>، والطبري<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، والبيضاوي<sup>(٦)</sup>، والصابوني<sup>(٧)</sup>.

١ . سورة الملك: الآية: ٣٠.

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٥٧٤/٢).

٣ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (١٥٣/٣).

٤ . جامع البيان، للطبري، (٥٧٢/٢١).

٥ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١٣/١٢).

٦ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٨٤/٤).

٧ . صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ،

(٢٧٩/٢).

والحقيقة أن معنى الآية يتسع لأكثر مما ذكر؛ إذ يدخل في هذا المعنى أن الله تعالى قدر أن ينزل هذا القدر من الماء لينبت به نباتاً بعينه فيأكل ثمرته فلان من الناس، أو يأكل ذلك النبات حيوان معين، وكل ذلك مكتوب منذ الأزل.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿مَاتَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِزُّونَ﴾ (٤٣).<sup>(١)</sup>

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿مَاتَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي: ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عُيِّنَ لهلاكهم؛ أي: ما تهلك أمة قبل مجيء أجلها، ﴿وَمَا يَسْتَعِزُّونَ﴾ ذلك الأجل بساعة"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "ثم إنه تعالى أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الأجل الذي أجل لهم بقوله تعالى: ﴿مَاتَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾؛ أي: الذي قدر لها بأن تموت قبله، ﴿وَمَا يَسْتَعِزُّونَ﴾ عنه"<sup>(٣)</sup>.

#### الدراسة:

نجد أن أبا السعود والخطيب الشربيني في هذه الآية يلزمان مسألة القدر، وذلك من حيث عدم الزيادة في الآجال أو النقص منها، وإنما هناك موعد ثابت لا يمكن تجاوزه، بالتقديم أو التأخير، وهذا ما قاله الطبري<sup>(٤)</sup>، والماتريدي<sup>(٥)</sup>، وابن كثير<sup>(٦)</sup>، والشوكاني<sup>(٧)</sup>، والخازن<sup>(٨)</sup>.

١ . سورة المؤمنون: الآية: ٤٣.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٣٥/٦).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٥٨٠/٢).

٤ . جامع البيان، للطبري، (٦٦/١٧).

٥ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٤٣١/٦).

٦ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١٤/٥).

٧ . فتح القدير، للشوكاني، (٥٧٣/٣).

٨ . لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (٢٧٢/٣).

**المبحث الثاني:**  
**آيات الكفر والشرك والسحر.**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: آيات الكفر.**
- المطلب الثاني: آيات الشرك.**
- المطلب الثالث: آيات السحر.**

## المطلب الأول

### آيات الكفر

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "والمعنى أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي﴾ من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام، وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿أَوْلِيَاءَ﴾؛ معبودين ينصرونهم من بأسِي، وما قيل: إنها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى: ﴿كَانَتْ﴾ (٢) الخ ﴿وَكَانُوا﴾ (٣) الخ؛ دلالة على أن الحُسابان ناشئان من التعامي والتصام، وأدخل عليها همزة الإنكار ذماً على ذم وقطعاً له عن المعطوف عليهما لفظاً لا معنى للإيذان بالاستقلال المؤكّد للذم، ياباه ترك الإضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على أنهما أخرجاً مُخْرَجَ الأحوال الجبليّة لهم، ولم يذكروا من حيث إنهما من أفعالهم الاختيارية الحادثة كحُسابانهم ليحسن تفرّغه عليهما، وأيضاً فإنه دينٌ قديم لا يمكن جعله ناشئاً عن تصامهم عن كلام الله - ﷻ -، وتخصيص الإنكار بحُسابانهم المتأخر عن ذلك تعسّف لا يخفى، وما في حيز صلة أن سادّ مسدّ مفعولي حسب كما في قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ (٤)؛ أي: أفحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين، وهم عليهم الصلاة والسلام منزّهون عن ولايتهم بالمرّة لقولهم:

١ . سورة الكهف: الآية: ١٠٢.

٢ . سورة الكهف: الآية: ١٠١.

٣ . سورة الكهف: الآية: ١٠١.

٤ . سورة المائدة: الآية: ٧١.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وقيل: مفعوله الثاني محذوف؛ أي: أفحسبوا اتخاذهم نافعاً لهم، والوجه هو الأول؛ لأن في هذا تسليماً لنفس اتخاذ، واعتداداً به في الجملة،... ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: هيأناها ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ المعهودين، عدل عن الإضرار ذمّاً لهم وإشعاراً بأن ذلك الإعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسابانهم الباطل، ﴿نُزُلًا﴾ أي: شيئاً يتمتعون به عند ورودهم، وهو ما يقام للنزول؛ أي: الضيف مما حضر من الطعام، وفيه تخطئة لهم في حسابانهم، وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من قبيل إعتاد العتاد، وإعداد الزاد ليوم المعاد، فكأنه قيل: إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والدُّخْر جهنم عُدَّة. وفي إيراد النُّزْل إيماءً إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له، وقيل: النزْل موضع النزول، ولذلك فسر ابن عباس رضي الله عنهما بالمتوى<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** "ولما بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن استماع ما جاء به النبي ﷺ أتبعه بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ من الأحياء كالملائكة وعزير والمسيح، والأموات كالأصنام ﴿مِنْ دُونِي﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أرباباً مفعول ثانٍ ليتخذوا، والمعنى: أظنوا أن اتخاذ المذكور ينفعهم ولا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا،... ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري ليس الأمر كذلك حسن جداً قوله تعالى مؤكداً لأجل إنكارهم، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ﴾ التي تقدم أنا عرضناها لهم ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف، وهذا على سبيل التهكم ونظيره قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)﴾<sup>(٤)</sup>.</sup>

١ . سورة سبأ: الآية: ٤١ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٤٨/٥).

٣ . سورة آل عمران: الآية: ٢١ .

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٤٠٩/٢).

## الدراسة:

نلاحظ في هذه الآية أن أبا السعود يطنب في العرض والتناول، بينما نجد الخطيب الشربيني يعرض تفسير الآية بإيجاز، غير أنهما يتفقان على أن الغرض من الاستفهام هو الإنكار في قوله تعالى: ﴿أَلْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

كما يتفقان أيضاً على أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ هو تعبير من قبيل التهكم، وذلك لأن النُّزْل هو المكان المعد للضيف حيث يجد الحفاوة والتكريم، وبهذا قال السمرقندي<sup>(١)</sup>، وأبو محمد مكي<sup>(٢)</sup>، وابن عطية<sup>(٣)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٤)</sup>، والبيضاوي<sup>(٥)</sup>، وأبو العباس<sup>(٦)</sup>.

ولكن أبا السعود يذكر هذا المعنى من قبيل التلميح، بينما يذكره الخطيب الشربيني بصريح العبارة، أما الخطيب الشربيني فيتميز بربط الآية بالسياق، حيث يقول: ولما بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر... الخ، بخلاف أبي السعود فإنه لا يعرض الآية السابقة، ولا يشير إلى السياق في هذه الآية.

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آذَا﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

تعجب لرسول الله ﷺ مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة، وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة، والمردة العتاة من فنون القبائح من الأقاويل والأفاعيل، والتمادي في الغي، والانهماك في الضلال، والإفراط في العناد، والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم، ولا عاطف يثنيهم، والإجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه، وانتفاء الشك عنه بالكلية، وتنبية على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن

١ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٣٦٤/٢).

٢ . الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكي، (٤٤٧٧/٦).

٣ . المحرر الوجيز، لابن عطية، (٥٤٤/٣).

٤ . زاد المسير، لابن الجوزي، (١١١/٣).

٥ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٢٩٤/٣).

٦ . البحر المديد، لأبي العباس، (٣١٠/٣).

٧ . سورة مريم: الآية: ٨٣.

مسوَّغاً ما في الجملة، ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم عليهم وتمكينهم من إضلالهم، وإما تقييضهم لهم، وليس المراد تعجيبه - عليه السلام - من إرسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به، بل مما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿تَوَزُّهُمَّ أَرَا﴾، كأنه قيل: ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ؟ فقيل: توَزُّهم؛ أي: تُغريهم وتُهيِّجهم على المعاصي تهيجاً شديداً بأنواع الوسوس والتسويلات، فإن الأَرَّ والهَزَّ والاستفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشربيني:** "قوله تعالى: ﴿الْمَرَّتْ﴾ أي: تنظر ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا﴾ أي: سلطانا ﴿الشَّيْطَانِ عَلَى الْكَاذِبِينَ تَوَزُّهُمَّ أَرَا﴾، الأَرَّ والهَزَّ والاستفزاز أخوات؛ ومعناها: التهيج وشدة الإزعاج؛ أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسوس والتسويلات"<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

إن تعبير الشربيني في هذه الآية يتميز بالاختصار والتلخيص، بخلاف أبي السعود؛ فإنه يعرض أولاً نوع الاستفهام وغرضه في قوله تعالى: ﴿الْمَرَّتْ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانِ﴾، ويوضح أن الغرض منه التعجب.

والملاحظ أن أبا السعود والخطيب الشربيني يتفقان في تفسير قوله تعالى: ﴿تَوَزُّهُمَّ أَرَا﴾ حيث يذكران أن: (الأَرَّ والهَزَّ والاستفزاز أخوات؛ ومعناها: التهيج وشدة الإزعاج؛ أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسوس والتسويلات)، فهما يتفقان في اختيار الألفاظ والعبارات ولا يختلفان إلا من حيث التقديم والتأخير، وكل ما ذكره الإمامان الجليلان في تفسير هذه الآية نجده لدى كل من: الزمخشري<sup>(٣)</sup>، والرازي<sup>(٤)</sup>، ووافقه أبو حيان<sup>(٥)</sup>، والحنفي<sup>(٦)</sup>، والشوكاني<sup>(٧)</sup>.

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٨١/٥).

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٤٤٤/٢).

٣ . الكشاف، للزمخشري، (٤٢/٣).

٤ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٥٦٥/٢١).

٥ . البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٧٤/٧).

٦ . روح البيان، للحنفي، (٣٥٥/٥).

٧ . فتح القدير، للشوكاني، (٤١٣/٣).

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَارَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلهًا هُزُواً هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ  
ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: " قوله تعالى: ﴿وَإِذَارَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المشركون، ﴿إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلهًا هُزُواً﴾ أي: ما يتخذونك إلا مهزوءاً به على معنى قصر معاملتهم معه - ~~اللعن~~ - على اتخاذهم إياه هُزواً، ﴿هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ على إرادة القول؛ أي: ويقولون أو قائلين ذلك؛ أي: يذكرهم الخ، وقوله تعالى ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: المعنى أنهم يعييون عليه - عليه الصلاة والسلام - أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء، والحال أنهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بإرشاد الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب أو بالقرآن كافرون بذكر الرحمن"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشرييني: " قوله تعالى: ﴿وَإِذَارَءَاكَ﴾ أي: وأنت أشرف الخلق؛ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: حال الرؤية ﴿إِلهًا هُزُواً﴾ أي: مهزوءاً به يقولون إنكاراً واستصغاراً، ﴿هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: بسوء، والذكر يكون بالخير والشر، فإذا دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه، وذكر العدو لا يكون إلا بسوء، ﴿وَهُمْ﴾ أي: والحال أنهم ﴿بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: إذا ذكر لهم الرحمن ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيئمة، وهم الثانية للتأكيد"<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

يلحظ الباحث أن تفسير الآية متقارب من حيث المعاني والألفاظ، وإن كان أحدهما فصل في بعض الألفاظ أكثر من الآخر، فمثلاً نجد أبا السعود يذكر أن المراد

١ . سورة الأنبياء: الآية: ٣٦.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٦/٦-٦٧).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٥٠٤/٢).

بالذين كفروا هم: المشركون، بينما نجد الخطيب الشربيني لا يتعرض لهذا اللفظ وإنما يذكر أن الضمير في رآك هو الرسول ﷺ، وكأنه يشير إلى المشركين بأسلوب غير مباشر فهم الذين كانوا يسخرون من الرسول ﷺ ويستهزئون به.

كما أن الشربيني يوضح أن الذكر يكون بالخير والشر، وقد وافقه في ذلك البقاعي<sup>(١)</sup>، ولكن السياق والقرينة هي التي توضح أي المعنيين هو المقصود، بينما نجد أبا السعود يشير إلى أن المراد به هو الذكر بالسوء؛ دون تفصيل، ووافقه السمعاني<sup>(٢)</sup>، والبغوي<sup>(٣)</sup>.

كذلك فإن الخطيب الشربيني يشير إشارة ضمنية - دون تصريح - إلى أن المشركين كانوا يطلقون على مسيلمة رحمن اليمامة، بخلاف أبي السعود فإنه لم يذكر شيئاً من ذلك.

والمعروف أن اسم الله (الرحمن) من الأسماء المختصة التي لا يجوز أن تطلق على غيره، ولم يسم أحد بهذا الاسم أبداً، ولهذا فإن مسيلمة حين سمى نفسه رحمن اليمامة لحقته صفة الكذب فلا يذكر مسيلمة إلا مقترنا بهذه الصفة حيث يقال: مسيلمة الكذاب.

وذلك أنه (لما تسمى مسيلمة برحمن اليمامة كساه الله جلاباب الكذب وشهر به؛ فلا يقال إلا: مسيلمة الكذاب، فصار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب)<sup>(٤)</sup>.

١ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٤١٩/١٢).

٢ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣٨٠/٣).

٣ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٢٨٨/٣).

٤ . انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ١٢٦).

## المطلب الثاني

### آيات الشرك

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجراً، وإيثاراً وضع المظهر موضع المضمّر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير، وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلاً وتركاً" (٢).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ أي: وليكن ذلك العمل مبنياً على الأساس، وهو أن لا يشرك ولو بالرياء ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فإذا عمل ذلك حاز فخار علوم الدنيا والآخرة" (٣).

#### الدراسة:

نلاحظ هنا أن أبا السعود والخطيب الشرييني يتفقان في تفسير هذه الآية على أن الرياء يدخل في مفهوم الشرك، حيث يقول أبو السعود: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً كما يفعله

١ . سورة الكهف: الآية: ١١٠ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٥١/٥).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٤١١/٢).

أهل الرياء وَمَنْ يَطْلُبُ بِهِ أَجْرًا، أما الخطيب الشربيني فيقول: (أن لا يشرك ولو بالرياء).

وبهذا قال الماتريدي<sup>(١)</sup>، والسمرقندي<sup>(٢)</sup>، والماوردي<sup>(٣)</sup>، والقرطبي<sup>(٤)</sup>، والحنفي<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>.

ويتميز أبو السعود بأنه أشار إلى جانب مهم، وهو وضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾، ولم يقل: ولا يشرك بعبادته، ويوضح الغرض من ذلك فيقول: (وإيثار وضع المظهر موضع المضمّر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير، وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتنال فعلاً وتركاً).

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ مائلين عن كلّ دين زائغ إلى الدين الحقّ، مُخلصين لله تعالى، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ أي: شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولياً، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الإشراك، وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال فُبح الإشراك، ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لآئه مُسْقَط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، ﴿فَتَخَطَفُهُ﴾

١ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٣/٣٦٢).

٢ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٢/٣٦٥).

٣ . النكت والعيون، للماوردي، (٣/٣٥٠).

٤ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/٧٠).

٥ . روح البيان، للحنفي، (٥/٣٠٩).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/٣٧٥).

٧ . سورة الحج: الآية: ٣١.

الطَّيْرُ ﴿ فَإِنَّ الْأَهْوَاءَ الْمُرْدِيَةَ تَوَزَّعُ أَفْكَارُهُ، ﴿أَوْتَهَوَىٰ بِهِ الرِّيحُ﴾ أَي: تُسْقِطُهُ وَتَقْذِفُهُ ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بَعِيدٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ طَوَّحَ بِهِ فِي الضَّلَالَةِ، وَأَوْ لِلتَّخْيِيرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾<sup>(١)</sup>، أَوْ لِلتَّنْوِيعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَلَكَتْ نَفْسُهُ هَلَاكاً شَبِيهاً بِهَلَاكِ أَحَدِ الْهَالِكِينَ هُنَا<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** "وقوله تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ أَي: مُسْلِمِينَ عَادِلِينَ عَنْ كُلِّ دِينٍ سِوَى دِينِهِ، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ﴾ أَي: يُوَقَّعُ شَيْئاً مِنْ الشَّرِكِ ﴿بِاللَّهِ﴾ الَّذِي لَهُ الْعِظْمَةُ كُلُّهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ﴿فَكَانَ آخِرَ﴾ أَي: سَقَطَ ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لَعَلَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَوْجِ التَّوْحِيدِ وَسَفُولِ مَا انْحَطَّ إِلَيْهِ مِنْ حَضِيضِ الْإِشْرَاكِ، ﴿فَتَحَطَّفُهُ الطَّيْرُ﴾ أَي: تَأْخُذُهُ بِسُرْعَةٍ، وَهُوَ نَازِلٌ فِي الْهَوَاءِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْأَرْضِ، ﴿أَوْتَهَوَىٰ بِهِ الرِّيحُ﴾ أَي: حَيْثُ لَمْ يَجِدْ فِي الْهَوَاءِ مَا يَهْلِكُهُ ﴿فِي مَكَانٍ﴾ مِنَ الْأَرْضِ ﴿سَحِيقٍ﴾ بَعِيدٍ، فَهُوَ لَا يَرْجَى خَلَاصَهُ"<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَقَارَبَتِ الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي لَدَى الْإِمَامِينَ الْجَلِيلِينَ؛ كَمَا هُوَ مَعْتَادٌ فِي أَغْلَبِ الْآيَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِنَا، غَيْرَ أَنَّ أَبَا السَّعُودِ يَذْكُرُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾؛ مَعْنَاهُ: مَائِلِينَ عَنْ كُلِّ دِينٍ زَائِعٍ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الزَّيْغَ يَسْتَعْمَلُ فِي الضَّلَالِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ ارْتَبَطَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالضَّلَالِ وَالْمِيلِ عَنِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مَعْنَاهُ اللَّغْوِي، لِأَنَّهُ فِي اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى الْمِيلِ أَيَّاماً كَانَ نَوْعُهُ.

١ . سورة البقرة: الآية: ١٩ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السَّعُودِ، (١٠٥/٦).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٥٥١/٢).

ويتفق أبو السعود والخطيب الشربيني في تفسير هذه الآية في أغلب الألفاظ والمعاني، فمثلاً يقول أبي السعود: ﴿فَكَأَنَّآخَرَ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لأنه مُسْقَطٌ مِنْ أَوْجِ الإيمان إلى حضيض الكفر).

ومثله قول الخطيب الشربيني: ﴿فَكَأَنَّآخَرَ﴾ أي: سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لعلّ ما كان فيه من أوج التوحيد وسفول ما انحط إليه من حضيض الإشراك.

وكلا القولين يبين درجة الانحطاط التي ينحدر معها المشرك، ولا سيما إذا كان الشرك قد سبقه إيمان بالله تعالى، وقد ورد ما ذكره الإمامان الكريمان في تفسيره هذه الآية لدى كل من: الماتريدي<sup>(١)</sup>، والثعلبي<sup>(٢)</sup>، والبيضاوي<sup>(٣)</sup>، وابن كثير<sup>(٤)</sup>، والبقاعي<sup>(٥)</sup>، والسعدي<sup>(٦)</sup>.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ هو دليل آخر على انتفاء الشريك بناءً على توافقه في تفرده تعالى بذلك، ولذلك رُتّب عليه بالفاء قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فإن تفرده تعالى بذلك موجب لتعالیه عن أن يكون له شريك"<sup>(٨)</sup>.

١ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٤١٤/٧).

٢ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٢١/٧).

٣ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٧١/٤).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٢٠/٥).

٥ . نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، للبقاعي، (٤٤/١٣).

٦ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (٥٣٨/١).

٧ . سورة المؤمنون: الآية: ٩٢.

٨ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٤٩/٦).

قال الإمام الشريبي: "ثم أقام دليلاً آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ما غاب وما شوهد، ثم رتب على هذا الدليل قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى﴾ أي: تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه من الآلهة"<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

نلاحظ في هذه الآية أن أبا السعود والشريبي يتفقان في تفسير هذه الآية على أن فيها دليلاً، آخر على كمال الله تعالى، وانتفاء الشريك، وعلى أن الفاء دالة على الترتيب.

يقول أبو السعود: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ هو دليل آخر على انتفاء الشريك، ويقول الخطيب الشريبي: (ثم أقام دليلاً آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ما غاب وما شوهد، ثم رتب على هذا الدليل قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى﴾) الخ الآية، ووافق قولهما قول الحنفي<sup>(٢)</sup>، والهرري الشافعي<sup>(٣)</sup>، والبقاعي<sup>(٤)</sup>.

١ . السراج المنير، للشريبي، (٥٩٠/٢).

٢ . روح البيان، للحنفي، (١٠٣/٦).

٣ . تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، (١٣٨/١٩).

٤ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (١٨١/١٣).

## المطلب الثالث

### آيات السحر

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَمَّا بَرِّبْنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٧٣) (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾: عطف على ﴿خَطِئَنَا﴾؛ أي: ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى - عليه السلام - بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية، خصّوه بالذكر مع اندراجهم في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته، وذكر الإكراه للإيدان بأنه مما يجب أن يُفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه، وفيه نوع اعتذارٍ لاستجلاب المغفرة، وقيل: أرادوا الإكراه على تعلم السحر؛ حيث روي أن رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين: اثنان منهم من القبط، والباقي من بني إسرائيل، وكان فرعون أكرهم على تعلم السحر، وقيل: إنه أكرهم على المعارضة، حيث روي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرّسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر، فإن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه، ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يُعرب عنه قولهم: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٢)، وقولهم: ﴿يَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣) ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: في حد ذاته، وهو ناظرٌ إلى قولهم: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ (٤)، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: جزاءً، ثواباً كان أو عذاباً، أو خيرٌ ثواباً وأبقى عذاباً" (٥).

١ . سورة طه: الآية: ٧٣.

٢ . سورة الشعراء: الآية: ٤١.

٣ . سورة الشعراء: الآية: ٤٤.

٤ . سورة طه: الآية: ٧٢.

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٣٠/٦).

قال الإمام الشرييني: "ثم عللوا تعظيم الله تعالى، واستهانتهم بفرعون بقولهم: ﴿إِنَّا أَمَنَّا بِرَبِّنَا﴾ أي: المحسن إلينا طول أعمارنا مع إساءتنا بالكفر وغيره ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ من غير نفع يلحقه بالفعل، أو ضرر يدركه بالترك، ﴿خَطَيْنَا﴾ التي قابلنا بها إحسانه، ثم خصوا بعد العموم فقالوا: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾، وبينوا ذلك بقولهم: ﴿مِنَ السِّحْرِ﴾ لنعارض المعجزة، فإنه كان الأكمل لنا عصيانك فيه؛ لأن الله تعالى أحق بأن يتقى.

فإن قيل: كيف قالوا ذلك وقد جاؤوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة؟ أجيب: بأنه قد روي أن رؤساء السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط، والباقي من بني إسرائيل أكرههم فرعون على تعلم السحر، وروي أنهم رأوا موسى -عليه السلام- نائماً، وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون: إن الساحر إذا نام بطل سحره، فهذا لا نقدر على معارضته، فأبى عليهم، وأكرههم على المعارضة.

وقيل: إن الملوك في ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيته، ويكلفونه تعلم السحر، فإذا شاخ بعثوا إليه أحداثاً ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه، ولما كان التقدير فرينا أهل التقوى وأهل المغفرة عطفوا عليه مستحضرين لكماله ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: الجامع لصفات الكمال ﴿خَيْرٌ﴾ جزاء منك فيما وعدتنا به ﴿وَأَبْقَى﴾ ثواباً وعقاباً قال أبو حيان: والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الرازي: ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين ما أوعدهم، ولم يثبت في الأخبار، وقال البقاعي: سيأتي في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم<sup>(٢)</sup>.

## الدراسة:

١ . سورة القصص: الآية: ٣٥.

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٤٧٤).

في هذه الآية نجد أن الإمام أبا السعود يتناول الآية مرتبطة بالسياق فيقول: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿خَطَيْنَا﴾، والمعنى ليغفر لنا خطايانا، ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر.

وكلاهما يفصل في مسألة السحر والسحرة وأنهم كانوا اثنين وسبعين: منهم اثنان من الأقباط، وبقيتهم من بني إسرائيل، وبهذا قال البغوي<sup>(١)</sup>، والرازي<sup>(٢)</sup>، والعز بن عبد السلام<sup>(٣)</sup>، وابن عادل<sup>(٤)</sup>، والزحيلي<sup>(٥)</sup>، والخازن<sup>(٦)</sup>.

ويشير الشربيني إلى أمر لم يتعرض له الإمام أبو السعود، وهو أن الساحر إذا نام بطل سحره، كما يذكر أن فرعون لم يمس السحرة بسوء، خلافاً للروايات الواردة في الشأن.

وفي هذه الآية نجد أن أبا السعود لم يشر إلى المصادر التي نقل عنها، وإنما يستعمل صيغة: قيل، وقد أشرنا إلى هذا الأمر في موضع سابق، بخلاف الخطيب الشربيني فإنه يذكر المصادر التي نقل عنها كالرازي وأبي حيان وغيرهما.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾: للإنكار، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: مقررة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد، والمعنى ما هذا إلا بشرٌ مثلكم؛ أي: من جنسكم، وما أتى به سحرٌ، أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه

١ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٢٦٨/٣).

٢ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٨٧/٢٢).

٣ . تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٣٠٤/٢).

٤ . اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، (٣٢٥/١٣).

٥ . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، (٢٤٦/١٦).

٦ . لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (٢٠٨/٣).

٧ . سورة الأنبياء: الآية: ٣.

الإذعان والقبول، وأنتم تعانون أنه سحر، قالوه بناءً على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر، وزل عنهم أن إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد، وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين، والله متم نوره ولو كره الكافرون<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** "قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ﴾ أي: والحال أنكم ﴿تُبْصِرُونَ﴾ بأعينكم أنه بشر مثلكم، فكأنهم استدلوا بكونه بشراً على كذبه في ادعاء النبوة والرسالة لا اعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر، فأنكروا حضوره.

فإن قيل: لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه أجيب: بأن ذلك كان يشبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره، وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم، و يجتهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

هذه الآية تتحدث عما تناقله المشركون والكفار على مر العصور والأزمان من أن الأنبياء يسحرون أتباعهم، وهي مجرد مقولة تناقلها خلف الكفرة عن سلفهم، وهذا ما يشير إليه أبو السعود حيث يذكر أن الكفار (قالوا هذا القول بناءً على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر).

والغرض منها صد الناس عن الأنبياء، ليظل راسخاً في أذهان الناس أن الخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتم إلا على يد ملك من الملائكة أو ساحر من السحرة، (وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد، وترتيب مبادي الشر والفساد، وتمهيد

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥٤/٦).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٤٩٥/٢).

مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة، وإطفاء نور الدين، والله متم نوره ولو كره الكافرون).

ونلاحظ أن الخطيب الشربيني في تفسير هذه الآية يلفت الانتباه إلى جانب مهم، وهو استعمال التعبير القرآني لكلمة أسروا حيث يقول: (فإن قيل: لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه أجيب: بأن ذلك كان يشبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره، وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم، ويجتهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع).

وعلى كل فقد ذهب إلى ذلك يحيى بن سلام<sup>(١)</sup>، والسمرقندي<sup>(٢)</sup>، والكلبي<sup>(٣)</sup>، والواحدي<sup>(٤)</sup>، والرازي<sup>(٥)</sup>، والبيضاوي<sup>(٦)</sup>.

وها نحن نصل إلى نهاية هذا الفصل، ويتضح لنا من خلال ما سبق أن أبا السعود العمادي، والخطيب الشربيني إمامان من أئمة أهل السنة والجماعة، وإن كنا قد وجدنا أن الخطيب الشربيني يسمي أعمال العباد مخلوقة، فهذا لا يعني أنه كان معتزلياً صرفاً، ولا سيما أن العصر الذي عاش فيه كانت أفكار المعتزلة قد تلاشت، وخمدت نار فتنهم، فضلاً على أن بعض أهل السنة والجماعة يقولون بأن أعمال العباد مخلوقة، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

كذلك فإن بيئة كل منهما لا تمت إلى بيئة الاعتزال بصلة، فهي ليست بيئة عراقية، إذ إن الاعتزال نشأ في العراق وما جوارها من أطراف الشام، ولم يكن في البيئات الأخرى بالزخم نفسه الذي كان في البيئة الأم.

١ . تفسير يحيى بن سلام، (٢٩٨/١).

٢ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤١٩/٢).

٣ . النكت والعيون، للماوردي، (٤٣٧/٣).

٤ . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، (٧١٠/١).

٥ . مفاتيح الغيب، للرازي، (١٢٠/٢٢).

٦ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٤٥/٤).

٧ . سورة الصافات: الآية: ٩٦.

## **الفصل الثاني:**

### **الأحكام الفقهية عند الإمامين**

وفيه مبحثان:

#### **المبحث الأول: آيات العبادات**

#### **المبحث الثاني: آيات المعاملات والآداب والأخلاق**

**المبحث الأول**  
**آيات العبادات.**  
وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: آيات الصلاة و الزكاة.**

**المطلب الثاني: آيات الصوم والحج.**

## المطلب الأول

### آيات الصلاة والزكاة

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١).<sup>(١)</sup>

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ﴾ أي: أمرني بها أمراً مؤكداً، ﴿وَالزَّكَاةِ﴾: زكاة المال إن ملكته، أو بتطهير النفس عن الرذائل، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: في الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ﴾؛ له طهارة للنفس، ﴿وَالزَّكَاةِ﴾: طهارة للمال فعلاً في نفسي وأمراً لغيري، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾؛ ليكون ذلك حجة على من ادّعى أنه إله؛ لأنه لا شبهة في أن من يصلي إلى إله ليس بإله. فإن قيل: كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلاً، والقلم مرفوع عن الصغير لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث»<sup>(٣)</sup>؛ أجيب بوجهين: الأول: أن ذلك لا يدل يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ، فيكون المعنى: أوصاني بأدائهما في وقت وجوبهما عليّ، وهو وقت البلوغ، الثاني: أن عيسى لما انفصل صيره الله بالغاً عاقلاً تامّ الخلقة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ﴾<sup>(٤)</sup>، فكما أنه تعالى خلقه آدم تاماً كاملاً دفعة، فكذا القول في عيسى -عليه السلام-، قال الرازي: وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ لقوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه جميع زمان حياته.

١ . سورة مريم: الآية: ٣١.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٤/٥).

٣ . السنن الكبرى، للبيهقي، باب من قال: لا يحكم بإسلام الصبي بنفسه، برقم (١٢١٥٦)، (٣٣٨/٦)، وسنن

النسائي، باب: من لا يقع طلاقه من الأزواج، برقم (٣٤٣٢)، (١٥٦/٦).

٤ . سورة آل عمران: الآية: ٥٩.

فإن قيل: لو كان الأمر كذلك لكان القوم حين رأوه رأوا شخصاً كاملاً الأعضاء تام الخلقة، وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجباً؛ فكان ينبغي أن لا يتعجبوا، أجيب: بأنه تعالى جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة، والآية دالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الأرض وحين رفع إلى السماء، وحين ينزل<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

يتضح في هذه الآية أن أبا السعود يوجز القول في المعاني، وإن كان يذكر أن الزكاة إما أن يكون المراد بها زكاة المال، أو زكاة النفس، ولعل ما دعاه إلى هذا التفسير كونها ذكرت مقرونة بالصلاة، وخصت بالذكر دون سائر العبادات الأخرى، بينما يتميز الخطيب الشربيني بتفصيل القول في تفسير الآية، ويورد الأقوال والآراء، كما يذكر لفظة مهمة وهي أن عيسى - عليه السلام - رسول وليس إلهاً، بدليل أن الله تعالى أمره بالصلاة والزكاة شأنه شأن سائر البشر.

ثم يشير إلى بعض الآراء المتعلقة بتكليف عيسى، وكيف صار مكلفاً، وهو ما يزال في المهد صبيّاً، وغير ذلك من الآراء والمسائل والأقوال، إلا أن قوله عن عيسى - عليه السلام -: (خلقه آدم تاماً كاملاً دفعة)، مردود لقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾<sup>(٢)</sup>، إلا إذا كان المراد أنه كامل الخلقة من حيث العقل؛ الذي هو مناط التكليف، والقدرة على الكلام، وتحمل العبادة، وليس من الناحية الجسدية، كما قال الحنفي<sup>(٣)</sup>، وأبو العباس<sup>(٤)</sup>، والرازي<sup>(٥)</sup>.

وعلى كل فهذه افتراضات وأقوال لا تمس جوهر المعنى الذي نحن بصددده، وهو الحديث عن الصلاة والزكاة، وأنها ركانان من أركان الإسلام، لا يستقيم الدين بدونهما.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٤٢٥/٢).

٢ . سورة مريم: الآية: ٢٩.

٣ . روح البيان، الحنفي، (٣٣١/٥).

٤ . البحر المديد، لأبي العباس، (٣٣٠/٣).

٥ . مفاتيح الغيب، للرازي، (١٥٢/٢٢).

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ اشتغالا بالأهم، وهو أن يُقْبَلَ الرجلُ بالتكميل على نفسه مَنْ هو أقربُ الناس إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقصد إلى تكميل الكل بتكميلهم؛ لأنهم قدوة يؤتسى بهم، وقيل: أهله أمته، فإن الأنبياء -عليهم السلام- آباء الأمم، ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾؛ لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة"<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الشربيني: "قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ أي: التي هي طهارة البدن، وقرّة العين، وخير العون على جميع المآرب، ﴿وَالزَّكَاةِ﴾ أي: التي هي طهارة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، والمراد بالأهل: قومه، وقيل: أهله جميع أمته، كان رسولا إلى جرهم، قاله الأصفهاني، وإلى أهل تلك البراري بدين أبيه إبراهيم، والمراد بالصلاة قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، قال البغوي: وهي الحنيفية التي افترضت علينا، قيل: كان يبدأ بأهله في الأمر بالعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، وبالزكاة قال ابن عباس: إنها طاعة الله والإخلاص؛ فكأنه تأوله على ما يزكو به الفاعل عند ربه تعالى، والظاهر كما قال ابن عادل: إنّ الزكاة إذا قرنت بالصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة.

١ . سورة مريم: الآية: ٥٥.

٢ . سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

٣ . سورة طه: الآية: ١٣٢.

٤ . سورة التحريم: الآية: ٦.

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٧٠/٥).

٦ . سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ بعبادته على حسب ما أمره به ﴿مَرْضِيًّا﴾، وهذا في نهاية المدح؛ لأنّ المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات، فاقتد أنت به، فإنه من أجل آبائك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال؛ فنتال رتبة الرضا<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

يذكر الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية أن إسماعيل -عليه السلام- حين كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة؛ فإنه بذلك يسعى إلى تكميل نفسه، وذلك برعاية أقرب الناس إليه، ويشغل بالأهم قبل المهم.

ويقرر أبو السعود في تفسير هذه الآية أن أقارب الرسل والصالحين أسوة يقتدى بهم، ولهذا يجب الاهتمام بهم، والاتفات إلى شأنهم، وحضهم على الخير والتمسك بالدين، وأداء الفرائض من صلاة وزكاة وغيرها.

وعلى كل فإن تفسير أبي السعود لهذه الآية فيه شيء من الإيجاز، أو لنقل: إنه أقل تفصيلاً مما ذكره الخطيب الشربيني في هذه الآية.

أما الخطيب الشربيني فإنه يذكر أن الصلاة طهارة البدن، كما أن الزكاة طهارة المال، وأن الله تعالى أوصى بالصلاة والزكاة الأنبياء والرسل كافة، كما يذكر أن المراد بالأهل في الآية: الأمة، كون إسماعيل -عليه السلام- كان رسولاً إلى جرهم، وهي القبيلة التي تزوج منها، فهم بمنزلة الأهل، وهذا ما قاله يحيى بن سلام<sup>(٢)</sup>، والماوردي<sup>(٣)</sup>، والسمعاني<sup>(٤)</sup>، والنسفي<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٧)</sup>.

وعلى الرغم من أن أبا السعود لم يفصل تفصيل الخطيب الشربيني إلا أن الشواهد القرآنية التي وردت عنده هي نفسها وردت عند الخطيب الشربيني، وهذا يعني أنهما يستقيان من مصادر واحدة.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٣٢-٤٣٣).

٢ . تفسير يحيى بن سلام، (١/٢٢٩).

٣ . النكت والعيون، لماوردي، (٣/٣٧٧).

٤ . تفسير القرآن، للسمعاني، (٣/٢٩٩).

٥ . مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/٣٤١).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/٣٩٩).

٧ . فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب، (٨/١٧٠).

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أُمِّرْنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم في أمور الدين، إجابة لدعائه - عليه السلام - بقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (٢)، ﴿يَهْدُونَ﴾ أي: الأمة إلى الحق ﴿يَأْمُرُنَا﴾ لهم بذلك، وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ ليحثوهم عليه، فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم، وأصله أن تفعل الخيرات، ثم فعل الخيرات، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وإنافته، ﴿وَكَانُوا لَنَا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عَبِيدِينَ﴾ لا يخطر ببالهم غير عبادتنا (٣).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من عطف الخاص على العام تعظيماً لشأنهما؛ لأن الصلاة تقرب العبد إلى الحق تعالى، والزكاة إحسان إلى الخلق، ﴿وَكَانُوا لَنَا﴾ دائماً جبلة وطبيعة، ﴿عَبِيدِينَ﴾ أي: موحدين مخلصين في العبادة، ولذلك قدم الصلاة (٤).

### الدراسة:

في هذه الآية نلاحظ أن الإمام أبا السعود يتفق مع الخطيب الشرييني على أن الغرض من عطف الخاص على العام هو تعظيم شأنه، وذلك أن الله تعالى ذكر فعل الخيرات، ثم عطف عليها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، أي: أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو فعل الخيرات، وقد ورد ذلك أولاً، وهذا عام يشمل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم جاء ذكرهما بعد ذلك، والغرض التنويه بمكانتهما.

١ . سورة الأنبياء: الآية: ٧٣.

٢ . سورة إبراهيم: الآية: ٤٠.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٧٧/٦).

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٥١٤/٢).

ويشير الشريبي إلى أن عبادتهم كانت فطرة وسجية وطبيعة، ليست متكلفة، وكأنهم خلقوا على هذه الشاكلة شأنهم في ذلك شأن الخصائص الفطرية التي يفطر عليها الإنسان، وهذا ما قاله ابن كثير<sup>(١)</sup>، والإيجي<sup>(٢)</sup>، والحنفي<sup>(٣)</sup>، وأبو العباس<sup>(٤)</sup>، والمظهري<sup>(٥)</sup>، والسعدي<sup>(٦)</sup>، وابن عاشور<sup>(٧)</sup>.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٨)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وصف من الله -ﷻ- للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض، وإعطائه إياهم زمام الأحكام، منبئ عن عِدَّةٍ كريمة على أبلغ وجهٍ وألطفه، وعن عثمان -رضي الله عنه-: هذا والله ثناء قبل بلاءٍ، يُريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا.

قالوا: وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأنه تعالى لم يعطِ التَّمَكِينَ ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين، ولا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء، وعن الحسن رحمه الله: هم أمة محمد ﷺ<sup>(٩)</sup>.

قال الإمام الشريبي: " وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ أي: بما لنا من القدرة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بإعلائهم على ضدهم، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: التي هي عماد

١ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٠/٥).

٢ . جامع البيان، للإيجي، (٢٧/٣).

٣ . روح البيان، للحنفي، (٥٠١/٥).

٤ . البحر المديد، لأبي العباس، (٤٧٩/٣).

٥ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (٢١٠/٦).

٦ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (٥٢٧/١).

٧ . التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٥/١٧).

٨ . سورة الحج: الآية: ٤١.

٩ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٩/٦).

الدين، الدالة على المراقبة، والإعراض عن تحصيل الفاني، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: المؤذنة بالزهد في الحاصل منه، المؤذن بعمل النفس للرحيل، ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: الذي أمر الله تعالى ورسوله به، ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: الذي نهى الله ورسوله عنه، وصف للذين هاجروا، وهو إخبار من الله تعالى بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم-، وعن عثمان -رضي الله عنه-: هذا والله ثناء قبل بلاء، يريد أن الله تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا.

تنبيه: في ذلك دليل على صحة خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على الحق ولا يجوز حمل الآية على أمير المؤمنين عليّ وحده؛ لأن الآية دالة على الجمع، وعن الحسن: هم أمة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

الملاحظ في هذه الآية أن الإمامين الجليلين: أبا السعود، والخطيب الشربيني يتفقان في الأقوال والاستشهاد بالآثار المنقولة عن عثمان -رضي الله عنه-، وعن الحسن البصري، ويتخذ كل منهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دليلاً على صحة أمر الخلفاء الراشدين، ويتميز الشربيني بأنه يشير إلى أن الصلاة عماد الدين، كما أنه يشير إلى ما ذهبت إليه الرافضة من أحقية الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- دون غيره، فصحة أمر الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- وأرضاهم يستوي فيه جميعهم دون تفريق، ولا تمييز، إذ كانوا في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة سواء، وهذا ما ذكره الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وأبو حيان<sup>(٣)</sup>، والنيسابوري<sup>(٤)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٥)</sup>، وابن عاشور<sup>(٦)</sup>.

بيد أن أبا السعود يرى أن الأنصار -رضي الله عنهم- لا يدخلون في هذا الفضل، إذ يقول: (ولا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء)، وله رأيه، ويبدو أنه استتبط هذا الرأي من الآية

١ . السراج المنير، للشربيني، (٥٥٥/٢)، (٥٥٦).

٢ . الكشاف، للزمخشري، (١٦٠/٣).

٣ . البحر المحيط، لأبي حيان، (٥١٨/٧).

٤ . غرائب القرآن، للنيسابوري، (٨٤/٥).

٥ . فتح البيان، لأبي الطيب، (٥٨/٩).

٦ . التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٨٠/١٧).

السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغْيَ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، غير أن التمكين لم يكن للمهاجرين وحدهم دون الأنصار، ومن ثم فهم يدخلون في هذا الفضل، وحسب الأنصار أن أقيم الدين وأقيمت الدولة على أرضهم، وحسبهم أن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه، وذلك بصريح القرآن الكريم، وكلا الفريقين: فريق الأنصار وفريق المهاجرين أقام الصلاة وآتى الزكاة.

**الآية الخامسة:**

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَجَرَّةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام أبو السعود:** "قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أي: إقامتها لمواقبتها من غير تأخير، وقد أسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال وعوض عنها الإضافة كما في قوله:

[إن الخليط أجدا البين فانجدوا] \*\*\* وَأَخْلَفُوكَ عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا<sup>(٣)</sup>

أي: عدة الأمر.

﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أي: المال الذي فرض إخراجه للمستحقين، وإيراده هاهنا وإن لم يكن ممّا يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع، مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ﴾ الخ، ليس خوفهم مقصوراً على كونهم في المساجد، وقوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ أي: تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفرع<sup>(٤)</sup>.

١ . سورة الحج: الآية: ٤٠ .

٢ . سورة النور: الآية: ٣٧ .

٣ . البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد شعراء الدولة الاموية، انظر: شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، حققها، وضبط غريبها، وشرح مبهمها، مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ، (١/ ١٥٨).

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٧٩).

قال الإمام الشريبي: "قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أي: وإقامة الصلاة، وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وإنما ذكر إقام الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس؛ لأنه تعالى أراد بإقامة الصلاة حفظ المواقيت، ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ قال ابن عباس: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها أي: فيخرجون ما يجب إخراجها من المال للمستحقين، وقيل: هي الأعمال الصالحة، ومع ما هم عليه ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ﴾ أي: تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ بين النجاة والهلاك ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ بين ناحيتي اليمين والشمال، وقيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك إلى اليقين وتفتتح الأبصار من الأغطية"<sup>(١)</sup>.

#### الدراسة:

الذي يلفت النظر في هذه الآية وغيرها من الآيات التي تتحدث عن الصلاة أن الله تعالى عبر أداء الصلاة بإقامتها، وفي هذا التعبير دلالة على رعايتها من حيث الوقت وكمال الطهارة وكل ما تعنيه كلمة الإقامة.

ويذكر أبو السعود في هذه الآية أن المراد بـ ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾: إقامتها لمواقيتها من غير تأخير، وأن المراد بـ ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾: المال الذي فرض إخراجها للمستحقين، لكونه قرينة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع، فهو يشير إلى أن ذكر الصلاة يرد ملازماً للزكاة في أغلب المواضع في القرآن الكريم.

أما الخطيب الشريبي فيذكر أن المراد بـ ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾: أدائها في وقتها؛ لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وإنما ذكر إقام الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس؛ لأنه تعالى أراد بإقامة الصلاة حفظ المواقيت، كما أنه ينقل عن ابن عباس وغيره أن المراد بإيتاء الزكاة أنه (إذا حضر وقت أدائها لم يحبسوها؛ أي: فيخرجون ما يجب إخراجها من المال للمستحقين، وقيل: هي الأعمال الصالحة).

١ . السراج المنير، للشريبي، (٢/٦٢٥-٦٢٦).

ومن ثم فهما يتفقان في تفسير الآية، غير أن الشرييني أكثر تفصيلاً من أبي  
السعود، وإن كان أبو السعود يشير إلى أن إقامة الصلاة يرد في القرآن الكريم مقترناً  
بإيتاء الزكاة، وبه قال البغوي<sup>(١)</sup>، والشوكاني<sup>(٢)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٣)</sup>، والقاسمي<sup>(٤)</sup>.

---

١ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٥١/٦).

٢ . فتح القدير، للشوكاني، (٤١/٤).

٣ . فتح البيان، لأبي الطيب، (٢٣٣/٩).

٤ . محاسن التأويل، للقاسمي، (٣٩١/٧).

## المطلب الثاني

### الصوم والحج

أولاً: آيات الصوم:

قال تعالى: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦) ﴿١﴾.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ﴾ أي: ذلك الرطب وماء السري، أو من الرطب وعصيره، ﴿وَقَرِّ عَيْنًا﴾: وطبّي نفساً، وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك، فإنه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدین بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية، ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك، ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي: آدمياً كائناً مَنْ كان، ﴿فَقُولِي﴾ له إن استتطقتك: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتاً، وقد قرئ كذلك، أو صياماً وكان صيامهم بالسكوت، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد أن أخبرتكم بنذري، وإنما أكلم الملائكة، وأناجي ربي، وقيل: أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة، وهو الأظهر، قال الفراء: العرب تسمي كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام، وإنما أمرت بذلك لكرهه لمجادلة السفهاء ومناقلتهم، والاكتفاء بكلام عيسى - عليه السلام -، فإنه نص قاطع في قطع الطعن" (٢).

قال الإمام الشرييني: "وقوله تعالى: ﴿صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره مع الإناسي بدليل، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، فإن كلامي يقبل الرد والمجادلة، ولكن يتكلم عني المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع، وأما أنا فأنزله نفسي عن مجادلة السفهاء، فلا أكلم إلا الملائكة، أو الخالق بالتسبيح والتقديس وسائر أنواع الذكر.

١ . سورة مريم: الآية: ٢٦.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٢/٥-٢٦٣).

وقيل: صياماً لأنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، فعلى هذا كان ذكر الصوم دالاً على الصمت، وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم.

تنبيه: اختلفوا في أنها هل قالت لهم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾؟ فقال قوم: إنها ما تكلمت معهم بذلك لأنها كانت مأمورة بأنها تأتي بهذا النذر، فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة، ولكنها سكنت وأشارت برأسها، وقال آخرون: إنها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم أنها نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا بعد هذا الكلام<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

يتفق الإمام أبو السعود والإمام الشرييني أن المراد بالصوم في هذه الآية هو الصمت، ودليلهما على ذلك هو النص القرآني: ﴿فَلَنْ أَكْمَلَ إِلَوهَ إِنْسِيًا﴾، وواضح أن الإمساك كان عن كلام الإنس فحسب، وقد أشار إلى ذلك كلا الإمامين، غير أن أبا السعود سماه صمتاً، بينما الشرييني إمساكاً عن الكلام.

ويبدو أن الامتناع عن كلام البشر دون غيرهم كان غرضه عدم الخوض في نسب عيسى -عليه السلام-، واتهام مريم -عليها السلام- بما اتهمت به بصريح قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾<sup>(٢٧)</sup> يَأْخُذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوهُ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا<sup>(٢٨)</sup> ﴿٢٨﴾<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أن الإمامين يعرضان الغرض من الأمر بالإمساك عن الكلام، وإن لم يكن ذلك بصريح العبارة حيث يقول أبو السعود: (وإنما أمرت بذلك لكرهية مجادلة السفهاء ومناقلتهم، والاكتفاء بكلام عيسى -عليه السلام-، فإنه نص قاطع في قطع الطعن). ويقول الخطيب الشرييني: (فإن كلامي يقبل الرد والمجادلة، ولكن يتكلم عني المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع، وأما أنا فأنزله نفسي عن مجادلة السفهاء، فلا أكلم إلا الملائكة).

١ . السراج المنير، للشرييني، (٤٢٢/٢).

٢ . سورة مريم: الآية: ٢٧، ٢٨.

وهو ما ذكره ابن عطية<sup>(١)</sup>، والجلالان<sup>(٢)</sup>، والشوكاني<sup>(٣)</sup>، وأبو الطيب<sup>(٤)</sup>،  
والزحيلي<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: آيات الحج

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ  
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: نادِ فيهم،  
﴿بِالْحَجِّ﴾: بدعوة الحج، والأمر به، رُوي أنه - عليه السلام - صعد أبا قُبَيْسٍ<sup>(٧)</sup>؛ فقال: "يا  
أَيُّهَا النَّاسُ حُجُّوا بَيْتَ رَبِّكُمْ، فَأَسْمِعُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ  
فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى أَنْ يَحُجَّ"، وقيل: الخطابُ  
لرسول الله ﷺ، أُمِرَ بِذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَيَأْبَاهُ كَوْنُ السُّورَةِ مَكِّيَّةً، ﴿رِجَالًا﴾ أي:  
مُشَاءً؛ جَمَعَ رَاجِلٍ؛ ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: رُكْبَانًا عَلَى كُلِّ بَعِيرٍ مَهْزُولٍ، أُنْعِبَهُ بَعْدُ  
الشُّقَّةَ فَهْزَلَهُ، أَوْ زَادَ هْزَلُهُ، ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾: طَرِيقٍ وَاسِعٍ، ﴿عَمِيقٍ﴾: بَعِيدٍ"<sup>(٨)</sup>.

١ . المحرر الوجيز، لابن عطية، (٢٤٩/١).

٢ . تفسير الجلالين، (٢٩٩/١).

٣ . فتح القدير، للشوكاني، (٢٠٧/١).

٤ . فتح البيان، لأبي الطيب، (٣٦٢/١).

٥ . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، (٧٥/١٦).

٦ . سورة الحج: الآية: ٢٧.

٧ . أبا قُبَيْسٍ: بالتصغير، هو الجبل المشرف على الصفا، قال الأزرقى: وسمي أبا قُبَيْسٍ؛ لأن أول من بني فيه رجلٌ يقال له: أبو قُبَيْسٍ، هذا هو المشهور، وقيل غير ذلك، وهو أحد الأخشبيين، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين)، ويقال: إنما سمي الأمين؛ لأن الحجر الأسود كان فيه مستودعاً عام الطوفان، انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ٤، ١٤١٦هـ، ص ٢٠٣، والتفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ، (٣١٣/١٣).

٨ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٣/٦-١٠٤).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: أعلمهم وناد فيهم ﴿بِالْحَجِّ﴾، وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة المخصوصة بالمشاعر المنصوصة، وفي المأمور بذلك قولان:

أحدهما وعليه أكثر المفسرين أنه إبراهيم -عليه السلام-، قالوا: لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال: عليك الأذان وعليّ البلاغ فصعد إبراهيم الصفا، وفي رواية أخرى أبا قبيس، وفي أخرى على المقام، قال إبراهيم: كيف أقول؟ قال جبريل: قل: لبيك اللهم لبيك، فهو أول من لبي، وفي رواية أخرى صعد على الصفا، فقال: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق، فسمعه ما بين السماء والأرض، فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يلبي يقول: لبيك اللهم لبيك، وفي رواية أخرى: إن الله يدعوكم إلى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من النار، فأجابه يومئذ من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وكل من وصل إليه صوته من حجر، أو شجر، أو آنية، أو تراب قال مجاهد فما حج إنسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة إلا وقد أسمع ذلك النداء، فمن أجاب مرة حج مرة، ومن أجاب مرتين، أو أكثر فيحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار، وفي رواية فنادى على جبل أبي قبيس يا أيها الناس إن ركم بنى بيتاً، وأوجب الحج عليكم إليه فأجيبوا ركم والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجل وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك، وعن ابن عباس قال لما أمر الله إبراهيم بالأذان تواضعت له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى.

القول الثاني: أن المأمور بذلك هو النبي محمد -عليه السلام-، وهو قول الحسن، واختاره أكثر المعتزلة، واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن وأمكن حمله على أن محمد -عليه السلام- هو المخاطب به فهو أولى؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾<sup>(١)</sup> تقديره: واذكر يا محمد إذ بوائنا، فهو في حكم المذكور، فإذا قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ﴾ فإليه يرجع الخطاب أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، روي عن أبي هريرة قال: «خطبنا رسول الله -عليه السلام- فقال: يا

أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»<sup>(١)</sup>، وجواب الأمر ﴿يَأْتُواكَ﴾ أي: يأتوا بيتك الذي بنيته لذلك مجيبين لصوتك بإذننا سامعين طائعين مجنبيين خاشعين من أقطار الأرض كما يجيبون صوت الداعي من قبلنا إذا دعاهم بعد الموت بمثل ذلك، ﴿رَجَالًا﴾ أي: مشاة على أرجلهم جمع راجل، وركباناً ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: بغير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى، وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فِجٍّ﴾ أي: طريق واسع بين جبلين ﴿عَمِيقٍ﴾ أي: بعيد، وروى سعيد بن جبير<sup>(٢)</sup> بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعمئة من حسنات الحرم قيل: يا رسول الله وما حسنات الحرم، قال كل حسنة بمائة ألف حسنة»<sup>(٣)</sup> وفي هذا دلالة على أن المشي أفضل من الركوب وفي ذلك خلاف بين الأئمة محله كتب الفقه<sup>(٤)</sup>.

### الدراسة:

في تفسير هذه الآية يتفق الإمامان الجليلان على أغلب المعاني، غير أن الخطيب الشربيني يفصل القول أكثر من أبي السعود، فحين يذكر أبو السعود أن المعني بالأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ هو إبراهيم - عليه السلام -، وقيل: محمد ﷺ، نجده يفند هذا القول حيث يذكر أنه مردود وذلك لأن السورة مكية،

١ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت (٢/ ٩٧٥) كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم ١٣٣٧.

٢ . سبقت ترجمته، ص ١٧٤.

٣ . صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (٢/ ١٣١٩)، والمستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م (١/ ٦٣١) كتاب الصوم، برقم (١٦٩٢)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م (١/ ٧٠٩) ضعيف جدا.

٤ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٥٤٨-٥٤٩).

وهذا ما قال به الطبري<sup>(١)</sup>، والزجاج<sup>(٢)</sup>، وابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>، وابن عطية<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، والزحيلي<sup>(٦)</sup>.

أما الخطيب الشربيني فيذكر هذين القولين دون تفنيد، ويشير إلى رأي المعتزلة حول هذه المسألة، وهو أن المعني بهذا الأمر هو الرسول ﷺ، ذكر هذا القول الزمخشري<sup>(٧)</sup>، والرازي<sup>(٨)</sup>.

كذلك نجد الخطيب الشربيني يفصل القول حول أجر الحاج وثوابه، وأن المشي أفضل من الركوب، والراجل أعظم أجراً من الراكب، وقد استتبط الشربيني ذلك من خلال الحديث الشريف الذي أورده، غير أنه لم يذكر تخريج الحديث.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ هَذَا مَنفَعٌ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾<sup>(٩)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ هي أيام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى: عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ؛ فإنَّ المراد بالذكر ما وقع عند الذبح، وقيل: هي عشر ذي الحجة، قد علق الفعل بالمرزوق، وبُيِّنَ بالبهيمة تحريضاً على التقرب، وتنبيهاً على الذكر، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: الفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدّر قد حُذِفَ للإشعار بأنّه أمرٌ محقّق غير محتاجٍ إلى التّصريح به؛ أي: فاذكروا اسمَ الله على ضحاياكم فكلّوا من لحومها، والأمر للإباحة وإزاحة ما كانت عليه أهل الجاهليّة من التّحرّج فيه، أو للنّدب إلى مواساة الفقراء ومساواتهم،

١ . جامع البيان، للطبري، (٧٦/٣).

٢ . معاني القرآن، للزجاج، (٤٢٢/٣).

٣ . تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٢٤٨٧/٨).

٤ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢١٩/٢٣).

٥ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣٨/١٢).

٦ . تفسير الوسيط، للزحيلي، (١٦٤٠/٢).

٧ . الكشف، للزمخشري، (١٥٢/٣).

٨ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٢٠/٢٣).

٩ . سورة الحج: الآية: ٢٨.

﴿وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ﴾ أي: الذي أصابه بُؤْسٌ وشِدَّةٌ، ﴿الْفَقِيرَ﴾: الْمُحْتَاجُ، وهذا الأمرُ للوجوب<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشربيني:** "اختلف في الأيام المعلومات في قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ فالذي عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشافعي وأبي حنيفة: أنه عشر ذي الحجة، واحتجوا بأنها معلومة عند الناس بحرصهم على علمها؛ لأنَّ وقت الحج في آخرها، ثم للمنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة، والمشعر الحرام، ولتلك الذبائح وقت منها، وهو يوم النحر، وعن ابن عباس أنها أيام التشريق، وقيل: يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، وقيل: يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، واستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، وهي الإبل والبقر والغنم من الهدايا والضحايا؛ أي: يذكروا اسم الله تعالى عند نحرها، ونحر الضحايا والهدايا يكون في هذه الأيام، وتقدّم الكلام على الأيام المعدودات في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي: لحومها أمر إباحة، وذلك أنَّ الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، فأمر الله تعالى بمخالفتهم، واتفق العلماء على أنَّ الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه، وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع: «فأتى عليّ ببدن من اليمن، وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة، فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة، ونحر عليّ ما غير؛ أي: ما بقي، وأشركه في بدنه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة؛ أي: بقطعة، فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها»<sup>(٣)</sup>، واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران، والدم الواجب بإفساد الحج وفوته، وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منه؟ قال الشافعي -

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٤/٦).

٢ . سورة البقرة: الآية: ٢٠٣.

٣ . شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ (١٣٥ / ٧)، كتاب الحج، باب السعي بين الصفاء والمروة، رقم ١٩١٩، وقال في البدر المنير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ) تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٩ / ٣٢٢) هذا الحديث صحيح.

❦ لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضي الله عنهما لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر، وعن أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ﴾ أي: الذي أصابه بؤس أي: شدة ﴿الْفَقِيرِ﴾ أي: المحتاج أمر بإيجاب وقد قيل به في الأول<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

تعرض الآية الكريمة ما يتعلق بالحج من النسك والهدي، ونلاحظ في تفسير هذه الآية أن أبا السعود يحصر الأيام المعلومة في أيام النحر حيث يقول: (هي أيام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَآرَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، وهو قول وجيه، وحجته قوية.

ويُعرِّج أبو السعود على أمرين مهمين: هما: الأمر بالأكل من النسك، والأمر بإطعام البائس الفقير، ولكنه يلمح إلى بعض المعاني بإيجاز، على هذا النحو: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: الأمر للإباحة وإزاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التَّحَرُّج فيه، ﴿وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ﴾ أي: الذي أصابه بؤس وشدة، ﴿الْفَقِيرِ﴾: المحتاج، وهذا الأمر للوجوب، ففي هذا القول تلميح سريع لما فصله الشريبي، حيث يقول: (وذلك أن الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، فأمر الله تعالى بمخالفتهم)، وهو ما ذكره الزمخشري<sup>(٢)</sup>، والرازي<sup>(٣)</sup>، البيضاوي<sup>(٤)</sup>، والنسفي<sup>(٥)</sup>، والنيسابوري<sup>(٦)</sup>، القاسمي<sup>(٧)</sup>، والزحيلي<sup>(٨)</sup>.

١ . السراج المنير، للشريبي، (٥٤٩/٢-٥٥٠).

٢ . الكشف، للزمخشري، (١٥٣/٣).

٣ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٢١/٢٣).

٤ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٧٠/٤).

٥ . مدارك التفسير، للنسفي، (٤٣٧/٢).

٦ . غرائب القرآن، للنيسابوري، (٨٧/٥).

٧ . محاسن التأويل، للقاسمي، (٢٤٢/٧).

٨ . تفسير الوسيط، للزحيلي، (١٦٤١/٢).

والحقيقة أن الشرييني في هذه الآيات يورد بعض الأدلة لتوضيح المراد بالأيام المعلومات التي يذكر فيها اسم الله تعالى، ويعرض أيضاً للهدي وغير ذلك من المسائل الخاصة بشعائر الحج، وعلى كل فقد فصل ما أجمله أبو السعود.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: ليؤدوا إزالة وسخهم، أو ليحكموها بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: ما يندرون من البر في حجهم، وقيل: موجب الحج، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾: طواف الركن الذي به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث، وقيل: طواف الوداع. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم فإنه أول بيت وضع للناس، أو المعتق من تسلط الجبابرة، فكأين من جبار سار إليه ليهدمه فقصمه الله - عجل -، وأما الحجاج النقي فإنما قصد إخراج ابن الزبير - رضي الله عنهما - منه لا التسلط عليه"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم كقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة الذي به تمام التحلل، ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم لأنه أول بيت وضع للناس، وقال ابن عباس سمي عتيقاً؛ لأن الله تعالى أعتقه من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى منه، فإن قيل: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع أجيب بأنه ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه، ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل، وقيل: لأن الله تعالى أعتقه من الغرق فإنه رفع في أيام الطوفان، وقال مجاهد لأنه لم يملك قط وقيل: بيت كريم أي: العتيق

١ . سورة الحج: الآية: ٢٩.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٤/٦).

بمعنى الكريم، من قولهم عتاق الخيل والطير، والطواف ينقسم إلى ثلاثة، هذا ويدخل وقته بعد الوقوف، وهذا لا يجبر تركه بدم لأنه ركن، الثاني: طواف الوداع ووقته عند إرادة السفر من مكة، وهو واجب يجبر تركه بدم، الثالث: طواف القدوم وهو مستحب للحاج والحلال إذا قدم مكة، روت عائشة رضي الله تعالى عنها: «أنَّ أول شيء بدأ به حين قدم النبي ﷺ أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج» أبو بكر وعمر مثله<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

يتفق أبو السعود والخطيب الشربيني في تفسير هذه الآية وفي إيراد المعاني، بل إن الألفاظ متقاربة، غير أن أبا السعود يميل إلى الاختصار والإيجاز، بينما نجد الخطيب الشربيني يفصل القول، كما هو واضح في أنواع الطواف وتفصيل القول في ذلك.

ومن الألفاظ التي اتفقا في تفسيرها لفظ: (التفت)؛ حيث يقول الإمام أبو السعود: (قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: ليؤدوا إزالة وسخهم، أو ليحكموها بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال)، وغير ذلك مما يحل للحاج فعله بعد قضاء مناسك الحج وبلوغ تمام التحلل.

ويقول الخطيب الشربيني: (قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم كقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال). وفي عرض معنى الطواف في قوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ يقول أبو السعود: (طواف الركن الذي به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفت، وقيل: طواف الوداع)، بينما يقول الخطيب الشربيني: (طواف الإفاضة الذي به تمام التحلل). وهذا ما قاله الطبري<sup>(٢)</sup>،، والزمخشري<sup>(٣)</sup>، والقرطبي<sup>(٤)</sup>، والشوكاني<sup>(٥)</sup>، الحنفي<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٥٥٠/٢).

٢ . جامع البيان، للطبري، (٦١٥/١٨).

٣ . الكشف، للزمخشري، (١٥٣/٣).

٤ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٥٠/١٣).

٥ . فتح القدير، للشوكاني، (٥٣١/٣).

٦ . روح البيان، للحنفي، (٢٧/٦).

وعلى كل فإن التعبير القرآني بقوله تعالى: (وليطوفوا...) يسع كل أنواع الطواف، سواء أكان طواف القدوم أم طواف الإفاضة أم طواف الوداع.

**الآية الرابعة:**

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، وهذا وأمثاله يُطلق للفصل بين الكلامين، أو بين وجهي كلام واحد، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه وسائر ما لا يحلُّ هتكُه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه. وقيل: الحُرْمُ وما يتعلّق بالحجّ من التكاليف، وقيل: الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: فالتعظيم خير له ثواباً ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾؛ أي: في الآخرة، والتعرّض لعنوان الرُّبُوبِيَّةِ مع الإضافة إلى ضمير مَنْ؛ لتشريفه والإشعار بعلّة الحكم، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: إلا ما يُتلى عليكم آيةً تحريمه، استثناءً متّصلٌ منها على أنّ ما عبارةً عمّا حُرِّمَ منها لعارضٍ كالهيئة، وما أهلّ به لغير الله تعالى، والجملة اعتراضٌ جيء به تقريراً لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام ودفعاً لما عسى يتوهم أنّ الإحرام يحرمه كما يحرم الصيد، وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصّةً لئلاّ يحتاج إلى الاستثناء المذكور، إذ ليس فيها ما حُرِّمَ لعارضٍ قطعاً لمراعاة حسن التخلّص إلى ما بعده من قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾، فإنّه مترتّبٌ على ما يفيدُه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها، ولما كان بيان حلّ الأنعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عُقِبَ بما يُوجب الاجتناب عنه من المحرّمات، ثم أمر بالاجتناب عمّا هو أقصى الحرّمات، كأنّه قيل:

وَمَنْ يَعِظُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَالْأَنْعَامُ لَيْسَتْ مِنَ الْحُرْمَاتِ فَإِنَّهَا مُحَلَّلَةٌ لَكُمْ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ آيَةُ تَحْرِيمِهِ فَإِنَّهُ مِمَّا يَجِبُ اجْتِنَابُ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوا مَا هُوَ مَعْظَمُ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ اجْتِنَابُ عَنْهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ، فَإِنَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ رَأْسُ الزُّورِ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَثَّ عَلَى تَعْظِيمِ الْحُرْمَاتِ أَتْبَعَ ذَلِكَ رَدًّا لَمَّا كَانَتْ الْكُفْرَةُ عَلَيْهِ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَنَحْوِهِمَا، وَالْإِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ حَكَمَ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: شَهَادَةُ الزُّورِ لَمَّا رُوي أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاقَ بِاللَّهِ تَعَالَى ثَلَاثًا»<sup>(١)</sup> وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَالزُّورُ: مِنَ الزُّورِ وَهُوَ الْإِنْحِرَافُ كَالْإِفْكَ الْمَأْخُوذِ مِنَ الْأَفْكَ الَّذِي هُوَ الْقَلْبُ وَالصَّرْفُ فَإِنَّ الْكَذِبَ مَنْحَرَفٌ مَصْرُوفٌ عَنِ الْوَاقِعِ، وَقِيلَ: هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَلْبِيَّتِهِمْ لِنَبِيِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمْلُكُهُ وَمَا مَلَكَ<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشربيني:** "وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر أو الشأن ذلك المذكور كما تقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا فقد كان كذا، ﴿وَمَنْ يَعِظُ﴾ أي: بغاية جهده ﴿حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ ذي الجلال والإكرام كلها، وهي ما لا يحلّ انتهاكه من مناسك الحج وغيرها، وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها وإقامتها وإتمامها، وعن زيد بن أسلم<sup>(٣)</sup>: الحرمات خمس: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى

١ . مسند أحمد ، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٢٩ / ٥٨٠) حديث أبي خزيم، رقم ١٨٠٤٤، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرئؤوط و بشير عيون، مكتبة الحلواني، ط١، (١٠ / ١٩٤) وإسناده ضعيف.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٠٤-١٠٥).

٣ . هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري، الإمام، الحجة، القدوة، أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه، من الوسطى من التابعين، حدث عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وهشام بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد العزيز الدراوردي، وأولاده؛ أسامة، وعبد الله، وعبد الرحمن بنو زيد، وخلق كثير، قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها، أدنى خصلة فينا التواصي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متمارين، ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا، روى له: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، (ت: ١٣٦هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٥/ ٣١٦-٣١٧).

يحلّ، ﴿فَهُوَ﴾ أي: التعظيم الحامل له على امتثال الأمر فيها على وجه واجتتاب المنهي عنه كالذبح بذكر اسم غير الله، والطواف عرياناً، ﴿خَيْرٌ﴾ كائن ﴿لَهُ وَعِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: الذي أسدى إليه كل ما هو فيه من النعم في الآخرة، ومن انتهكها فهو شر عليه عند ربه، ثم إنه تعالى بين أحكام الحج بقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ أي: أكلها بعد الذبح، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى﴾ أي: على سبيل التحذير مستمراً ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾<sup>(١)</sup> الآية، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه، فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرّموا مما أحلّ شيئاً كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله شيئاً كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك.

ولما فهم من ذلك حلّ السوائب وما معها وتحريم المذبوح للأنصاب وكان سبب ذلك كله الأوثان تسبب عنه قوله تعالى ﴿فَاجْتَنِبُوا﴾ أي: بغاية الجهد اقتداء بأبيكم إبراهيم عليه السلام الذي تقدّم الإيصاء له بمثل ذلك عند جعل البيت له مباءة ﴿الرَّجَسِ﴾ أي: القذر الذي من حقه أن يجتنب من غير أمر ثم بينه وميزه بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس فهو بيان للرجس وتمييز له، كقولك عندي عشرون من الدراهم وسمى الأوثان رجساً وكذا الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تتفرون بطباعكم من الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تتفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة، ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى ﴿رَجَسُ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا﴾<sup>(٢)</sup>، جعل العلة في اجتنبه أنه رجس؛ والرجس مجتنب، وقوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: تعميم بعد تخصيص فإنّ عبادة الأوثان رأس الزور؛ لأنّ المشرك زاعم أنّ الوثن تحقق له العبادة؛ كأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله، لا تقربوا منه شيئاً لتماديه في القبح والسماجة، وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان، والزور من الزور

١ . سورة المائدة: الآية: ٣.

٢ . سورة المائدة: الآية: ٩٠.

والازورار، وهو الانحراف كما أنّ الإفك من أفكه: إذا صرفه فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل: قول الزور قولهم: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه ذلك من افتراءهم وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك له إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، وقيل: هو شهادة الزور لما روى أبو داود والترمذي "أنّه ﷺ صلى الصبح فلما سلم قام قائماً مستقبلاً الناس بوجهه الكريم وقال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله قالها ثلاثاً وتلا هذه الآية<sup>(١)</sup>"<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

موضوع هذه الآية هو تعظيم حرمة الله تعالى، وقد وردت في سياق الحديث عن الحج، ولهذا نجد الإمامين الجليلين يتحدثان عن هذا الشأن بتفصيل، سواء من حيث الأنعام وما أحل منها، وما حرم، أو من حيث تحريم المشركين لبعض الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك مما حرمه المشركون على أنفسهم.

واللفتة الجميلة التي تلفت انبأنا في تفسير هذين الإمامين الجليلين لقوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، حيث يشيران هنا إلى أن المراد بقول الزور: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك له إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، وقد ذهب إلى هذا القول ابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>، الثعلبي<sup>(٤)</sup>، البغوي<sup>(٥)</sup>، و أبو الطيب<sup>(٦)</sup>، والخازن<sup>(٧)</sup>.

والحقيقة أنها لفظة رائعة، وذلك لأن الأمر باجتناب قول الزور قد يفهم على إطلاقه، أي: قول الزور أيّاً كان نوعه أو شكله أو صفته، ولعل الذي جعل المفسرين يلتفتون إلى أن المراد بقول الزور هو ما كان يقوله المشركون في تلبيتهم في الحج هو أن الآية وردت في سياق الحج، وهذا فهم رائع لكتاب الله تعالى، وفيه دليل على أن

---

١ . سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، أبواب الشهادات، ما جاء في شهادة الزور، برقم (٢٢٩٩)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م (٤/ ٥٤٧).

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٥٥٠).

٣ . تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٨/ ٢٤١٩).

٤ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٧/ ٢١).

٥ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (٣/ ٣٨٣).

٦ . فتح البيان، لأبي الطيب، (٩/ ٤٥).

٧ . لباب التأويل، للخازن، (٣/ ٢٥٦).

هذين الإمامين على اطلاع واسع وفهم عميق لكتاب الله تعالى، ومع ذلك لا يمنع أن يكون المراد هو اجتناب قول الزور أيا كان شكله، وأيا كان نوعه، سواء أكان داخلاً في الشرك بالله تعالى أم غير داخل.

#### الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢).

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، أو امتثلوا ذلك، ﴿وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أي: الهدايا، فإنها من معالم الحجّ وشعائره تعالى كما ينبئ عنه، ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (١)، وهو الأوفق لما بعده، وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجلّ القربات، وأن يختارها حسناً سماناً غالية الأثمان، روي أنه عليه الصلاة والسلام أهدى مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب، وأن عمر -رضي الله عنه- أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار، ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾؛ أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب، أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب، وتخصيصها بالإضافة لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء" (٣).

قال الإمام الشرييني: "ثم عظم ما تقدّم من التوحيد وما هو مسبب عنه بالإشارة بأداة البعد فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر العظيم الكبير، فمن راعاه فاز، ومن حاد عنه خاب، ثم عطف عليه ما هو أعمّ من هذا القدر فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: جمع شعيرة، وهي البدن التي تهدي للحرم لأنها من معالي الحج بأن يختار عظام الأجرام حسناً سماناً غالية الأثمان، ويترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث، ويكرهون المكاس فيهنّ الهدى والأضحية والرقبة، وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: «أنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله -ﷺ-

١ . سورة الحج: الآية: ٣٢.

٢ . سورة الحج: الآية: ٣٦.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٦/٦).

مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب»، وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وجلالها، ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه، ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: تعظيمها ناشئ ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، فمن للابتداء فإن جعلت تبعيضية، فلا بد من حذف تقديره: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء، وسميت تلك البدن شعائر لإشعارها بما يعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها، قال البقاعي: ولعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت قطع شيء من شعرها، أو أزيل عن محل الجرح<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

تناول الإمامان الجليلان في هذه الآية إهداء الهدى إلى البيت الحرام، وأنها من شعائر الله تعالى، وأنها من أجل القرب إلى الله تعالى، وأتيا في حديثهما بشيء من السيرة النبوية، وهدي رسول الله ﷺ، وهدي الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -.

والملاحظ هنا أن الإمامين الجليلين يتفقان في عرض الآية وتفسيرها سواء من حيث المعاني أو الألفاظ، إذ نجد أن كليهما يؤكد أن البدن لا بد أن تكون من السمان، وأن تكون غالية الثمن، وبه قال الرازي<sup>(٢)</sup>، والبيضاوي<sup>(٣)</sup>، والنيسابوري<sup>(٤)</sup>، والحنفي<sup>(٥)</sup>، وأبو العباس<sup>(٦)</sup>، والمراغي<sup>(٧)</sup>، والزحيلي<sup>(٨)</sup>.

ومن ثم يقول أبو السعود: (إِنَّ التَّقَرُّبَ بِهَا مِنْ أَجْلِ الْقُرْبَاتِ، وَلِذَلِكَ لَا بَدَ أَنْ يَخْتَارَهَا حِسَانًا سِمَانًا غَالِيَةً الْأَثْمَانِ، رُوي أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَهْدَى مِائَةَ

١ . السراج المنير، للشربيني، (٥٥٢/٢).

٢ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٣١٩/٣٢).

٣ . أنوار التنزيل، البيضاوي، (٧١/٤).

٤ . غرائب القرآن، للنيسابوري، (٥٧٩/٦).

٥ . روح البيان، للحنفي، (٣٢/٦).

٦ . البحر المديد، لأبي العباس، (٥٣٢/٣).

٧ . تفسير المراغي، (١١١/١٧).

٨ . التفسير المنير، للزحيلي، (٢٠٨/١٧).

بَدَنَةٍ، فيها جملٌ لأبي جهلٍ في أنفه بُرَّةٌ من ذهبٍ، وأنَّ عمرَ -ؓ- أهدى نَجِيبةً طُلِبَتْ منه بثلاثمائة دينارٍ).

أما الشرييني فيشترط أن يكون الهدى (عظام الأجرام حسناً سماناً غالية الأثمان، ويترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث، ويكرهون المكاس فيهنَّ الهدى والأضحية والرقبة، وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: «أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله ﷺ مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب»، وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وجلالها، ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه).

#### الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى تَرْجِعُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الهدايا، ﴿مَنَافِعُ﴾: هي درُّها ونسلُّها وصوفُها وظهرُها، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو وقت نحرها، والتَّصَدُّقُ بلحمها والأكلُ منه، ﴿تَرْجِعُهَا﴾ أي: وجوبُ نحرها، أو وقت نحرها منتهيةً ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: إلى ما يليه من الحرم، وثمَّ للتَّراخي الزَّمانِ أو الرُّتْبِي؛ أي: لكم فيها منافعُ دنيويَّةٍ إلى وقتِ نحرها، ثمَّ منافعُ دينيَّةٍ أعظمها في النَّفْعِ محلُّها؛ أي: وجوبُ نحرها، أو وقت وجوبِ نحرها إلى البيتِ العتيق؛ أي: منتهيةً إليه، هذا وقد قيل: المرادُ بالشَّعَائِرِ: مناسكُ الحجِّ ومعالِمُه؛ والمعنى: لكم فيها منافعُ بالأجر والثَّوابِ في قضاءِ المناسكِ، وإقامةِ شعائرِ الحجِّ إلى أجلٍ مُّسَمًّى؛ هو انقضاءُ أيَّامِ الحجِّ، ثمَّ محلُّها أي: محلُّ النَّاسِ من إحرامهم إلى البيتِ العتيق؛ أي: منتهٍ إليه بأن يطوفُوا به طوافَ الزَّيَّارَةِ يومَ النَّحْرِ بعد قضاءِ المناسكِ، فإضافةُ المحلِّ إليها لأدنى ملابسةٍ"<sup>(٢)</sup>.

١ . سورة الحج: الآية: ٣٣.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٠٦/٦).

قال الإمام الشريبي: " وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: البدن ﴿مَنْفَعٌ﴾ كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها، وعن إبراهيم<sup>(١)</sup>: من احتاج إلى ظهرها ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب، وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلا إذا اضطر إليها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت نحرها، ﴿ثُمَّ حَمَلُهَا﴾ أي: مكان حل نحرها، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: عنده، والمراد الحرم جميعه، وقيل: المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج، وبالمنافع الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء آجالها وبحملها إلى محل الناس من إحرامهم إلى البيت يطوفون به طواف الزيارة<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يتضح في تفسير هذه الآية أن الشريبي أشار إلى أمر مهم، وهو قوله: (وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلا إذا اضطر إليها)، غير أن المفهوم من النص أنه لا يمنع من الاستفادة منها، فقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دليل على أن الاستفادة منها ليست ممنوعة، فالنص مطلق غير مقيد.

ونجد في تفسير هذه الآية أن أبا السعود والخطيب الشريبي يشيران إلى أن المراد بالبيت العتيق في الآية الحرم جميعه، لأن الهدى لا تتحر داخل البيت الحرام، وذكر هذا القول الطبري<sup>(٣)</sup>، والماتريدي<sup>(٤)</sup>، والسمرقندي<sup>(٥)</sup>، والثعلبي<sup>(٦)</sup>، والشافعي<sup>(٧)</sup>، والجلالين<sup>(٨)</sup>، ووافقهم المظهري<sup>(٩)</sup>.

١ . هو الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام، من صغار التابعين، وهو ابن مليكة؛ أخت الأسود بن يزيد، روى له: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، (المتوفى: ١٩٦هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٥٢٠/٤-٥٢١).

٢ . السراج المنير، للشريبي، (٥٥٢/٢).

٣ . جامع البيان، للطبري، (٦٢٦/١٨).

٤ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٤١٧/٧).

٥ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٥٩/٢).

٦ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٢/٧).

٧ . النكت والعيون، للماوردي، (٢٤/٤).

٨ . تفسير الجلالين، (٤٣٨/١).

٩ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (٣٢١/٦).

**المبحث الثاني**  
**آيات المعاملات والآداب والأخلاق.**  
وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: آيات المعاملات الاجتماعية.**

**المطلب الثاني: آيات الآداب.**

**المطلب الثالث: آيات الأخلاق.**

## توطئة

من خلال تتبع الباحث للآيات القرآنية من بداية الجزء السادس عشر إلى نهائية الجزء الثامن عشر، توصل الباحث إلى أنه لا يوجد آيات تنص على المعاملات كالبيع والشراء والربا والسلم والرهن وغير ذلك، ولكن هناك آيات تتحدث عن بعض المعاملات الاجتماعية كقضايا الزوج وما يتعلق بالإماء، وكذلك تتحدث عن الأداب والأخلاق - والقرآن كله خلق - وسيكون بيانها في الآتي:

## المطلب الأول

### آيات المعاملات الاجتماعية

التعامل مع العبيد والإماء:

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيِّمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيِّمَىٰ مِنكُمُ﴾ بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباده القربة والبعيدة أمر بالنكاح، فإنه مع كونه مقصوداً بالذات من حيث كونه مناطاً لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك، وأيامي: جمع أيم، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرة كان أو ثيباً كما يفصح عنه قول من قال: فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي \*\*\* وإن كنت أفتى منكم أتأيم (٢)

أي: زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر، ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، على أن الخطاب للأولياء والسادات، واعتبار الصلاح في الأرقاء؛ لأن من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه، ويشفق عليه، ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع، بل حقه

١ . سورة النور: الآية: ٣٢.

٢ . هذا الشاهد أورده الزمخشري في كتابه أساس البلاغة، ولم ينسبه لقائل معين، كما أورده النهرواني في كتابه: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، غير أن الزمخشري أورده على هذا النحو: فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... يد الدهر ما لم تنكحي أتأيم، أما النهرواني فقد أورده على ما هو هنا عند أبي السعود، انظر: أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، (١/ ٤٢)، وانظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجبري النهرواني (المتوفى: ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ص٦٣٩.

أَنْ لَا يَسْتَبْقِيَهُ عِنْدَهُ، وَأَمَّا عَدَمُ اعْتِبَارِ الصَّلَاحِ فِي الْأَحْرَارِ وَالْحَرَائِرِ فَلَأَنَّ الْغَالِبَ فِيهِمُ الصَّلَاحُ عَلَى أَنَّهُمْ مُسْتَبْدُونَ فِي التَّصَرُّفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَإِذَا عَزَمُوا النِّكَاحَ فَلَا بَدَّ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْأَوْلِيَاءِ لَهُمْ؛ إِذْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ غَرَامَةٌ حَتَّى يُعْتَبَرَ فِي مُقَابِلَتِهَا غَنِيمَةً عَائِدَةً إِلَيْهِمْ عَاجِلَةً أَوْ آجِلَةً، وَقِيلَ: الْمُرَادُ هُوَ الصَّلَاحُ لِلنِّكَاحِ وَالْقِيَامِ بِحَقَّقِهِ، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِزَاحَةٌ لِمَا عَسَى يَكُونُ وَازِعاً مِنَ النِّكَاحِ مَنْ فَقِرَ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، أَيْ: لَا يَمْنَعَنَّ فَقْرُ الْخَاطِبِ أَوْ الْمَخْطُوبَةِ مِنَ الْمُتَاكِحَةِ، فَإِنَّ فِي فَضْلِ اللَّهِ -ﷻ- غُنِيَّةً عَنِ الْمَالِ، فَإِنَّهُ غَادٍ وَرَائِحٌ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، أَوْ وَعْدٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِغْنَاءِ لِقَوْلِهِ -ﷻ-: «اطْلُبُوا الْغِنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ»<sup>(١)</sup> لَكِنَّهُ مُشْرُوطٌ بِالْمَشِيئَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غِنًى ذُو سَعَةٍ لَا يَرْزُقُهُ إِغْنَاءُ الْخَلَائِقِ؛ إِذْ لَا نِفَادَ لِنِعْمَتِهِ؛ وَلَا غَايَةَ لِقُدْرَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ ﴿عَلِيمٌ﴾ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَقْدِرُ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ<sup>(٣)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** "قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيِّمَ مِنْكُمْ﴾ جمع أيم، والأيم هي من ليس لها زوج بكرةً كانت أو ثيباً، ومن ليس له امرأة فيشمل ذلك الذكر والأنثى، قال الشاعر:

فإن تتكحي أنكح وإن تتأيمي \* \* \* وإن كنت أفتى منكم أتأيم<sup>(٤)</sup>

أي: أقرب إلى الشباب منك، والمعنى أوافقك في حالتي التزوج والتأيم، وإن كنت أقرب إلى الشباب منك، وعنه -ﷻ-: «اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة، والأيمة والقزم والقرم»<sup>(٥)</sup>، العيمة: شهوة اللبن، والغيمة: العطش، والأيمة: شهوة النكاح مع الخلو من الزوجية، والقزم: البخل، والقرم: شهوة اللحم، وهذا في الأحرار والحرائر، وأما

١ . الفتح السماوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ) تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض (٨٧١ / ٢) قال عنه، لم أفق عليه.

٢ . سورة التوبة: الآية: ٢٨.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٧١/٦).

٤ . سبق الحديث عنه، ص ٢٥٠.

٥ . الحديث ذكره الأزهرى في "تهذيب اللغة" (١٥ / ٦٢١)، والجوهري في "الصحاح" (٥ / ١٨٦٨)، وذكره الزمخشري في "الكشاف" (٣ / ٦٣)، وذكره الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف (٤٣٥/٢).

غيرهم فهو قوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾، وهو من جموع عبد، ﴿وَمَائِكُمْ﴾ والخطاب للأولياء والسادة، وهذا الأمر أمر ندب، فيستحب لمن تاقته نفسه للنكاح ووجد أهفته أن يتزوج، ومن لم يجد أهفته استحبه له أن يكسر شهوته بالصوم، لما ورد أنه -عليه السلام- قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>، أي: قاطع لشهوته لأن الوجاء بكسر الواو نوع من الخضاء، وهو أن ترض عروق الأنثيين وتترك الخصيتان كما هما، فشبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل، والباءة بالمد مؤن النكاح، وهي المهر وكسوة فصل التمكين ونفقة يومه.

فإن لم تتكسر شهوته بالصوم فلا يكسرها بالكافور ونحوه بل يتزوج، ويكره لغير التائق إن فقد الأهبة أو وجدها، وكان به علة كهزم فإن وجدها ولا علة به وهو غير تائق فالتخلي للعبادة أفضل من النكاح إن كان متعبداً، فإن لم يتعبد فالنكاح أفضل من تركه لقوله -عليه السلام-: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي»<sup>(٢)</sup>، وهي النكاح، وعنه -عليه السلام-: «من كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا»<sup>(٣)</sup>، وعنه -عليه السلام-: «إذا تزوج أحدكم عجب شيطانه يا ويلاه عصم ابن آدم مني ثلثي دينه»<sup>(٤)</sup>، والأحاديث في ذلك كثيرة، وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة، وعنه -عليه السلام-: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال»<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: «يأتي على الناس زمان لا تتال المعيشة فيه إلا بالمعصية، فإذا كان ذلك

١ . صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقته نفسه إليه، برقم (١٤٠٠)، (٢/ ١٠١٨).

٢ . السنن الكبرى للبيهقي، باب الترغيب في النكاح، برقم (١٣٤٥٠)، (٧/ ١٢٤). قال البيهقي في، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٢٥٢) رجاله ثقات، إن كان عبيد بن سعد صحابي وإلا فهو مرسل.

٣ . تخريج أحاديث الكشاف، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ، (٢/ ٥٣٦) قال عنه، قلت رواه أبو داود في المراسيل والنسائي في الكنى.

٤ . مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (٤/ ٣٧).

٥ . الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، لشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ، (١/ ٦٩) قال: وفيه سليمان بن عيسى وهو متروك.

الزمان حلت العزوبة»<sup>(١)</sup>، ويندب النكاح للمرأة التائقة، وفي معناها المحتاجة إلى النفقة، والخائفة من اقتحام الفجرة، ويستحب أن تكون المنكوحة بكرةً إلا لعذر لقوله ﷺ: «هلا بكرةً تلاعبها وتلاعبك»<sup>(٢)</sup>، ولوداً لقوله ﷺ: «تزوجوا الولود الودود فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>، روى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾؛ أي: بالتزويج ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ ردّ لما عساه أن يمنع من النكاح، والمعنى لا يمنعهم فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة، فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غادٍ ورائح، أو وعد من الله تعالى بالغنى. لكن ينبغي أن تكون شريعة الله تعالى غير منسية في هذا الوعد ونظائره، وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد جاءت الشريعة منصوصة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>، ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضاً بعزب كان غنياً فأفقره النكاح، وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني وأصبح مسكيناً، وورد: «التمسوا الرزق بالنكاح»، وشكى إلى النبي ﷺ - رجل الحاجة فقال: «عليك

١ . تخريج أحاديث الكشف، لزيلعي، باب سورة النور، برقم (٨٧٨)، (٢ / ٤٤٢)، قال عنه، وهو مرسل.

٢ . . صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين، برقم (٧١٥)، (٢ / ١٠٨٧).

٣ . سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ، كتاب النكاح، باب كراهية زواج العقيم، برقم (٣٢٢٧)، (٦ / ٦٥)، قال الألباني، حسن صحيح.

٤ . . صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، برقم (١٤٦٧)، (٢ / ١٠٩٠).

٥ . سورة الطلاق: الآية: ٢، ٣.

٦ . سورة التوبة: الآية: ٢٨.

بالبَاء»<sup>(١)</sup> أي: النكاح، وعن عمر -رضي الله عنه-: عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح، والله تعالى يقول: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفَقْرَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وحكي عنه أنه قال: عجبت لمن لم يطلب الغنى بالبَاء، وقال طلحة بن مطرف<sup>(٢)</sup>: تزوجوا فإنه أوسع لكم في رزقكم وأوسع في أخلاقكم، ويزيد الله في ثروتكم؛ قال الزمخشري: ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيت بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت، فسألته فقال: كنت في أول أمري على ما علمت، وذلك قبل أن أرزق ولدًا، فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني ازددت خيرًا فلما تتاموا ثلاثة صبَّ الله علي الخير، فأصبحت إلى ما ترى، انتهى. ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: الذي له الملك كله ﴿وَأَسْعُ﴾ أي: ذو سعة لخلقه لا تنفد نعمه إذ لا تنتهي قدرته ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة:

الملاحظ في تفسير هذه الآية أن أبا السعود والخطيب الشربيني يتفقان في أغلب المعاني والألفاظ، غير أن الخطيب الشربيني يكثر من الاستشهاد على أقواله وعلى الأحكام الفقهية بالحديث النبوي، وهذه ميزة في حد ذاتها، إلا أنه يذكر الأحاديث دون تخريج.

وكما هو واضح فإن أبا السعود قد أورد البيت الشعري شاهداً على تفسير: (الأيامي)، ولكنه لم يلتفت إلى توضيحه، بخلاف الخطيب الشربيني فإنه يفسر البيت، حيث يقول: (أي: أقرب إلى الشباب منك، والمعنى أوافقك في حالتي الزوج والتأيم، وإن كنت أقرب إلى الشباب منك)، وذلك لأن الشربيني قد أطل في تفسير هذه الآية، واستقصى كل الأقوال.

١ . فيض القدير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث برقم (١١٤٩)، (٢/ ١٥٧).

٢ . طلحة بن مطرف: هو طلحة بن عبيد الله بن كريز بن جابر بن ربيعة بن هلال، الخزاعي الكعبي، أبو المطرف الكوفي، و يقال البصري، من الوسطى من التابعين، روى له: مسلم وأبو داود وغيرهم، انظر: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكري المصري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ، (٧/ ٦٨).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٦١٨-٦٢٠).

ومما اتفق فيه هذان العلمان الجليلان في تفسير هذه الآية: قولهما: الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا﴾ للأولياء والسادة، وكذلك الاستشهاد بالبيت الشعري، وبحديث الرسول ﷺ: «اطلبوا الغنى في هذه الآية».

ثم يتفرد بعد ذلك الخطيب الشربيني باستقصاء الأحاديث، والإشارة إلى أن الصوم سبب من أسباب العفة، يمكن للشاب الذي لا يجد مؤنة النكاح أن يكبح شهوته، ويضيق مجرى الشيطان في دمه بالصوم.

كما يذكر أن على المسلم أن يعتمد على ربه ويخشاه ويتقوه، وسوف يرزقه من حيث لا يحتسب، فالفقر ليس عيباً، والغنى ليس ميزة، وإنما تقوى الله تعالى هي الأساس، والله وحده هو الرازق.

ولا يفوت الباحث أن يشير إلى رحمة الإسلام في التعامل مع العبيد والإماء، من حيث إشباع رغبتهم الفطرية في الزواج، وألا يحول الفقر والعوز دون إشباع هذه الرغبة، فأمر السادة بأن يؤدوا واجبهم تجاه مواليتهم، وقد استعمل القرآن الكريم فعل الأمر (أنكحوا) للدلالة على أنه واجب وليس تطوعاً أو منة، وقد أشار أبو السعود والخطيب الشربيني إلى ذلك في تفسيرهما لهذه الآية، وبهذا قال الطبري<sup>(١)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٢)</sup>، والعز ابن عبد السلام<sup>(٣)</sup>، والقرطبي<sup>(٤)</sup>، والحنفي<sup>(٥)</sup>، وأبو العباس<sup>(٦)</sup>، والمظهري<sup>(٧)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا

١ . جامع البيان، للطبري، (١٦٥/١٩).

٢ . زاد المسير، لابن الجوزي، (٢٩٤/٣).

٣ . تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) للعز بن عبد السلام، (٣٩٩/٢).

٤ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٥٥/١٢).

٥ . روح البيان، للحنفي، (١١٧/٦).

٦ . البحر المديد، لأبي العباس، (٣٤/٤).

٧ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (٥٠٣/٦).

تُكْرَهُوا فَيَتَكْرَهُ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴿١﴾.

**قال الإمام أبو السعود:** " قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِفُ﴾: إرشادٌ للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابها إلى ما هو أولى لهم، وأخرى بهم، بعد بيان جواز مناكحة الفقراء؛ أي: ليجتهد في العفة وقمع الشهوة، ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: أسباب نكاح، أو لا يتمكنون ممّا يُنكح به من المال، ﴿حَتَّى يُعْزِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى، ولطف لهم في استغفارهم، وتقوية لقلوبهم، وإيدان بأن فضله تعالى أولى بالإعفاء، وأدنى من الصلحاء، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: الذين يطلبون المكاتبَةَ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمةً، وهي أن يقول المولى لمملوكه: كاتبُك على كذا درهماً تؤدّيه إليّ وتعتق، ويقول المملوك: قبلته أو نحو ذلك، فإن أداه إليه عتق، قالوا معناه: كتبتُ لك على نفسي أن تعتق منّي إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك، أو كتبت عليك الوفاء بالمال، وكتبت عليّ العتق عنده، والتحقق أن المكاتبَةَ اسمٌ للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول، ولا ريب في أن ذلك لا يصدر حقيقةً إلا من المتعاقدين، وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة إلا الإتيان بأحد شطريه مُعرباً عما يتم من قبله، ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرضٍ لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به إلا أن كلاً من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه إلا منوطاً بتحقيق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد، كما أن عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وقت الإنشاء فكما أن قول البائع بعث إنشاءً لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من قبله أصالةً ولما يتم من قبل المشتري ضمناً إيقاعاً متوقفاً على رأيه توقفاً شبيهاً بتوقف عقد الفضولي، كذلك قول المولى كاتبُك على كذا إنشاءً لعقد الكتابة؛ أي: إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة

البدل أصالةً، ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمناً إيقاعاً متوقفاً على قبوله، فإذا قبل تم العقد، ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾، والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا، والأمر فيه للنّدب لأنّ الكتابة عقد يتضمّن الإرفاق فلا تجب كغيرها، ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغير منجم، وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلاً منجماً، وقد فصل في موضعه، ﴿إِنْ عَمِلْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة ورشداً، وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال، وصالحاً لا يؤدي الناس بعد العتق وإطلاق العنان، ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم، وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة، ويكفي في ذلك أقل ما يتموّل، وعن علي -عليه السلام-: حطّ الربع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الثلث، وهو للنّدب عندنا، وعند الشافعي للوجوب، ويردّه قوله -عليه السلام-: «المُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دَرَاهِمٌ»<sup>(١)</sup>، إذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتماً، وأيضاً لو وجب الحط لكان وجوبه معلقاً بالعقد، فيكون العقد موجباً ومُسقطاً معاً، وأيضاً فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع، وقيل: معنى آتوهم أقرضوهم، وقيل: هو أمر لهم بأن يُنفقوا عليهم بعد أن يؤدّوا ويعتقوا، وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه إيّاهم للحثّ على الامتثال بالأمر بتحقيق الأمور به، فإنّ ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقيّ له من أقوى الدّواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها، وقيل: هو أمر بإعطاء سهمهم من الصّدقات، فالأمر للوجوب حتماً والإضافة والوصف لتعيين المأخذ، وقيل: هو أمر ندب لعامة المسلمين بإعانة المُكَاتِبِينَ بالتّصدق عليهم، ويحلّ ذلك للمولى وإن كان غنياً لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله -عليه السلام- في حديث بريرة: «هو لها صدقة ولنا هديّة»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ أي: إماءكم، فإنّ كلّاً من الفتيّ والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة، وعلى ذلك مبنيّ قوله -عليه السلام-: «ليقلّ أحدكم فتاتي وفتاتي ولا يقلّ عبدي

١ . سنن الترمذي، أبواب البيوع، باب ما جاء في المكاتب، برقم (١٢٥٩)، (٣/ ٥٥٣)، وقال في جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (المتوفى : ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١، (٨/ ٩١) وهو حديث حسن.

٢ . صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب اباحة الهدية للنبي -عليه السلام-، برقم (١٠٧٤)، (٢/ ٧٥٥).

وأمتي»<sup>(١)</sup>، ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع، ومزيد مناسبة؛ لقوله تعالى: ﴿عَلَى الْإِغَاءِ﴾، وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر. وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التّعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه؛ كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء، وهن يردن التّعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور، وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح، فإن عبد الله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمة من إمائِه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن عليه لاسيما عند إرادتهن التّعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لهن، كما ينبى عنه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ أي: كونهن مكرهات<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشريبي:** "قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفُّفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: وليجهد في طلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التمكين وكسوة فصله، وقيل: لا يجدون ما ينكحون، ﴿حَتَّى يُعْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون، ولما ذكر تعالى نكاح الصالحين من العبيد والإماء حث على كتابتهم بالحكم التاسع، وهو الأمر بالكتابة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: يطلبون المكاتبه ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من العبيد والإماء، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال

١ . صحيح مسلم، كتاب الالفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة، برقم ٢٢٤٩، (٤/ ١٧٦٤).

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٧٢-١٧٤).

الكتابة، وروى أنه -عليه السلام- قال: «ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>، فإن فقدت هذه الشروط أو بعضها فهي مباحة إذ لا يقوى رجاء العتق بها ولا تكره بحال لأنها عند فقد ما ذكر فقد تفضي إلى العتق، نعم إن كان الرقيق فاسقاً بسرقة أو نحوها، وعلم سيده أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب اكتسب بطريق الفسق لم يبعد تحريمها حينئذٍ لتضمنها التمكين من الفساد، وتصح على عوض قليل وكثير، ويجب أن يحط عنه قبل عتقه شيئاً متمولاً من النجوم، أو يدفعه إليه من جنسها أو من غيرها، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم أيها السادة، وفي معنى الإيتاء حط شيء متمول مما التزموه بل الحط أولى من الدفع؛ لأن القصد بالخط الإعانة على العتق وهي محققة فيه موهومة في الدفع إذ قد يصرف المدفوع في جهة أخرى، وكون ذلك في النجم الأخير أولى منه فيما قبله لأنه أقرب إلى العتق.

يروى أن عمر -عليه السلام- كاتب عبداً له يكنى أبا أمية، وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر، وقال: استعن به على كتابتك، فقال: لو أخرته إلى آخر نجم، فقال: أخاف أن لا أدرك ذلك وكونه ربعاً من النجوم أولى، فإن لم تسمح به نفسه فكونه سبعاً أولى، روى حط الربع النسائي وغيره، وحط السبع مالك عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين على جهة الوجوب بإعانتهم للمكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، ولما بين الله تعالى ما يصح من تزويج العبيد والإماء أتبع ذلك بالحكم العاشر، وهو الإكراه على الزنا المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: إماءكم ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ أي: الزنا، ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة، وفي الحديث عن رسول الله -عليه السلام- «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي»<sup>(٣)</sup>، ﴿إِنْ أَرَدَنَ

١ . مصنف عبد الرزاق الصنعاني، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى:

٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، كتاب الجهاد، باب فضل

الجهاد، برقم (٩٥٤٢)، (٥/ ٢٥٩).

٢ . سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

٣ . سبق تخريج الحديث، ص ٢٦٧.

تَحَصَّنًا﴿﴾ أي: تعففاً عنه وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط؛ لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فأما إذا لم ترد المرأة التحصن فإنها بغى الطبع طوعاً، وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن الباغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر ولأن الكلام ورد على سبب، وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية، فخرج النهي على صورة صفة السبب وإن لم تكن شرطاً فيه، وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لهن ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية، قال لهن: والله لهن؛ أي: لا للمكره إلا إذا تاب؛ فإن قيل: إن المكره غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة؟ أجيب: بأن الزنا لا يباح بالإكراه فهي آثمة لكن لا حد عليها للإكراه" (١).

**الدراسة:**

أول ما نلاحظ في تفسير أبي السعود لهذه الآية أنه يلفت انتباهنا إلى أن هناك وعداً من الله تعالى لأهل العفة بالغنى والفضل حيث يذكر قول الله تعالى: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: هو (عدة كريمة بالفضل عليهم بالغنى، ولطف لهم في استغفارهم، وتقوية لقلوبهم، وإيذان بأن فضله تعالى أولى بالإعفاء، وأدنى من الصلحاء).

وإذا الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِفٌ﴾ أمر للوجوب فإن الأمر في قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُهُمْ﴾ أمر للندب، كما ينص أبو السعود على ذلك حيث يقول: (والأمر فيه للندب؛ لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها).

وبفصل القول في المال الذي يدفعه المملوك، هل يكون عاجلاً، أو آجلاً، ويذكر أن مذهب الشافعي ينص على أنه لا يكون إلا آجلاً، كما يفصل القول في الأمر بإيتاء المملوك الذي يريد المكاتب، هل الأمر للوجوب أو للندب.

والحقيقة أن أبا السعود يحسن استخراج المعاني من مكانها، كما هو في قوله: (ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع، ومزيد مناسبة؛

لقوله تعالى: ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾، وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر، حيث استعمل التعبير القرآني لفظ الفتيات.

وثمة لفظة أخرى يلفت أبو السعود نظر القارئ إليها، في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا﴾، حيث يقول: (ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التّعفف عن الزنا، وإخراج ما عداها من حكمه)، وكأن المراد: هن يردن التحصن والعفة، فلا تكرهوهن على البغاء، وفي الإشارة إلى إرادتهن التحصن تعريض بمن يكرههن أنه على خلاف ما هن عليه من العفة والطهارة.

والذي يؤكد هذا المعنى قول أبي السعود: (وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمة من إمائِه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن عليه لاسيما عند إرادتهن التّعفف).

والملاحظ في هذه الآية أن الخطيب الشربيني يتميز بذكر الأحكام الفقهية للمكاتبة بالتفصيل، بخلاف أبي السعود فإنه يشير إليها إشارة مجملة بإيجاز دون تفصيل.

وغني عن الإيضاح أن الإمامين الجليلين يتفقان في تفسير هذه الآية في الاستدلال ببعض الأحاديث النبوية، كما في قوله: (ليقل أحدكم فتاي... الخ). وعلى كل فإن جل هذه الأحكام والمعاني وردت لدى كل من: الزمخشري<sup>(١)</sup>، وابن عادل<sup>(٢)</sup>، والنيسابوري<sup>(٣)</sup>، والحنفي<sup>(٤)</sup>، والقاسمي<sup>(٥)</sup>، والمراغي<sup>(٦)</sup>.

١ . الكشف، للزمخشري، (٢٣٩/٣).

٢ . الباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، (٣٧٦/١٤).

٣ . غرائب القرآن، للنيسابوري، (٤٤٤/٤).

٤ . روح البيان، للحنفي، (٢٦٣/٥).

٥ . محاسن التأويل، للقاسمي، (٣٨٣/٧).

٦ . تفسير المراغي، (١٧٢/١٥).

## المطلب الثاني:

### آيات الآداب

#### آداب الاستئذان والزيارة:

##### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ إثر ما فصل الزَّوْاجِرُ عن الزَّنا، وعن رمي العفاف شرع في تفصيل الزَّوْاجِرِ عمَّا عسى يُؤدِّي إلى أحدهما من مُخالطة الرِّجالِ بالنِّساءِ ودخولهم عليهنَّ في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتعبة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سُكنى كلِّ أحدٍ في ملكه وإلا فالماجر والمُعير أيضاً منهيان عن الدُّخول بغير إذنٍ، ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذِنوا مَنْ يملكُ الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ عند الاستئذان، روي عن النبي ﷺ أن التسليم أن يقول: السلام عليكم، أَدْخَلَ؟ ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع" (٢) ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الاستئذان مع التسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث

١ . سورة النور: الآية: ٢٧.

٢ . سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط بدون، ت بدون، كتاب الادب، باب كيف الاستئذان، برقم (٥١٧٧)، (٤/ ٣٤٥)، وقال ابن الأثير في جامع الأصول، وهو حديث صحيح، (٦/ ٥٧٧).

كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول: حييتم صباحاً حييتم مساءً فيدخل وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف، وروي أن رجلاً قال للنبي - ﷺ - أستأذن على أمي؟ قال: «نعم قال: ليس لها خادم غيري أستأذن عليها كلما دخلت؟ قال - ﷺ -: «أتحب أن تراها عريانة؟» قال: لا. قال - ﷺ -: «فأستأذن»<sup>(١)</sup> ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعضوا وتعملوا بموجبه<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشربيني:** "قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: التي تسكنونها، فإن المؤجر والمعير لا يدخلان إلا بإذن، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ وجهان: أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له فقد استأنس، والمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا من باب الكناية والإرداف؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن، فوضع موضع الإذن، والثاني: أن يكون من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، والمعنى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا، ومنه قولهم: استأنس هل ترى أحداً، واستأنست فلم أرَ أحداً أي: تعرفت واستعلمت، وقال الخليل بن أحمد: الاستئناس: الاستبصار، من قولهم: أنست نارا؛ أي: أبصرت، وقيل: هو أن يتكلم بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتحنح يؤذن أهل البيت، وعن أبي أيوب الأنصاري قال: يا رسول الله: ما الاستئناس؟ قال: «أن يتكلم الرجل»<sup>(٤)</sup> ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ كأن يقول الواحد: السلام عليكم أدخل ثلاث مرات، فإن أذن له دخل،

١ . موطأ مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط بدون، ١٤٠٦هـ، باب الاستئذان، برقم (١)، (٢/ ٩٦٣)، وقال ابن الأثير في جامع الأصول، وإسناده منقطع، (٦/ ٥٨٦).

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٦٨).

٣ . سورة الأحزاب: الآية: ٥٣.

٤ . سنن ابن ماجه، لأبن ماجه، وقال عنه، إسناده ضعيف لضعف أبي سورة، وهو ابن أخي أبي أيوب، (٤/

والإذن رجع قال قتادة: المرة الأولى للتسميع، والثانية: ليتها، والثالثة: إن شاء أذن، وإن شاء رد، وهذا من محاسن الآداب، فإن أول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الإذن، وفي الثانية ربما كان هناك مانع يقتضي المنع، فإن لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الإذن على مانع، ولهذا كان الأولى في الاستئذان ثلاثاً أن لا تكون متصلة، بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت ما.

ولا بد من إذن صريح إذا كان الداخل أجنبياً أو قريباً غير محرم سواء كان الباب مغلقاً أم لا، وإن كان محرماً فإن كان ساكناً مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستئذان، ولكن عليه أن يشعره بدخوله بتحنج أو شدة وطء أو نحو ذلك ليستتر العريان فإن لم يكن ساكناً فإن كان الباب مغلقاً لم يدخل إلا بإذن، وإن كان مفتوحاً فوجهان، والأوجه الاستئذان، وعن أبي موسى الأشعري أنه أتى باب عمر، فقال: السلام عليكم أدخل؟ قالها ثلاثاً، ثم رجع وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاثاً»<sup>(١)</sup>، و"استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ألعج، فقال رسول الله ﷺ لامرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن، قل له يقول: السلام عليكم أدخل، فسمع الرجل فقال: أدخل"<sup>(٢)</sup>.

وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته: حييت صباحاً وحييت مساءً، ثم يدخل، وربما أصاب صاحب البيت مع امرأته في لحاف واحد، فصدّ الله ﷻ - عن ذلك، وعلم ما هو الأحسن والأجمل، وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك.

قال الزمخشري: بينا أنت في بيتك إذ رجع عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية، وهو ممن يسمع ما أنزل الله فيه، وما قال رسول الله ﷺ - ولكن أين الأذن الواعية، وقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: من تحية

١ . انظر: معجم ابن المقري، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٣٩١، وفي مسند الموطأ للجوهري، «الاستئذان ثلاثاً، فإن أذنوا لك فادخل، وإلا فارجع»، و مسند الموطأ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العافقي، الجوهري المالكي (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي أبو سريح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٦٢٧.

٢ . انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للزيلعي، (٢/٤٢٧-٤٢٨).

الجاهلية، ومن أن تدخلوا من غير استئذان، «روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أأستأذن على أمي؟ قال: نعم، قال: إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ متعلق بمحذوف أي: أنزل عليكم، وقيل: بين لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعضوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يتفق الإمام أبو السعود والخطيب الشربيني في تفسير هذه الآية بذكر بعض الآداب، منها أن المؤجر للدار لا يحق له أن يدخل داره إلا بعد الاستئذان من المستأجر، وبه قال الشافعي<sup>(٣)</sup>، والحنفي<sup>(٤)</sup>، والمظهري<sup>(٥)</sup>.

كما يتفقان أيضاً في أن الابن لا يدخل على أمه دون استئذان حتى وإن لم يكن لها خادم غيره، وتكاد عبارتهما أن تتفق حتى في الألفاظ وليس في المعاني فحسب، وأغلب ما ذكره الإمامان الجليلان هنا ورد لدى الزمخشري<sup>(٦)</sup>، والبيضاوي<sup>(٧)</sup>، وأبو حيان<sup>(٨)</sup>، وأبو العباس<sup>(٩)</sup>.

ونلاحظ أن الخطيب الشربيني يفصل القول في الأحكام الفقهية الخاصة بالاستئذان، وأن يكون الاستئذان ثلاثاً غير متصلة، بل لا بد أن يفصل كل واحدة والأخرى وقت ما.

كما يشير الخطيب الشربيني أيضاً إلى ما كان عليه أهل الجاهلية وطريقة استئذانهم، وكيف نظم الإسلام حياة الناس عامة.

١ . سبق تخريج الحديث، ص ٢٧٣.

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٦١٣/٢).

٣ . تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري الشافعي، (٢٧٦/١٩).

٤ . روح البيان، للحنفي، (١٣٧/٦).

٥ . تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله، (٤٨٧/٦).

٦ . الكشف، للزمخشري، (٢٢٧/٣).

٧ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (١٠٣/٤).

٨ . البحر المحيط، لأبي حيان، (٣٠/٨).

٩ . البحر المديد، لأبي العباس، (٢٨/٤).

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨) (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي: ممن يملك الإذن على أن لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقده أو أحداً أصلاً على أن مدلول النصّ الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً، وأمّا حرمة دخول ما فيه للنساء والولدان فتأبته بدلالة النصّ لأنّ الدخول حيث حرّم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منه إليه أعني الاطلاع على العورات أولى، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ واصبروا ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من جهة من يملك الإذن عند إتيانه، ومن فسره بقوله: حتّى يأتي من يأذن لكم أو حتّى تجدوا من يأذن لكم فقد أبرز القطعيّ في معرض الاحتمال، ولما كان جعل النهي بالإذن ممّا يؤهم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقاً بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الردّ دفع ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممّن يملك الإذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول لا تلحوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الأذن كما في الثاني، فإنّ ذلك ممّا يجلب الكراهة في قلوب الناس، ويقدح في المروءة أي قدح، ﴿هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي: أظهر ممّا لا يخلو عنه اللجّ والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والردّالة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فيعلم ما تأتون وما تدرون ممّا كلفتموه فيجازيكم عليه" (٢).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي: البيوت ﴿أَحَدًا﴾ يأذن لكم في دخولها ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: حتّى يأتي من يأذن لكم فإن المانع من الدخول فيها ليس الاطلاع على العورات فقط، وإنما شرع لنّلا يوقف

١ . سورة النور: الآية: ٢٨.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٦٨/٦).

على الأحوال التي تطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك، فلا بد أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾ أي: بعد الاستئذان ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إذا كان في البيت أحد، وقال لكم: ارجعوا فارجعوا ﴿هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَرْجَى﴾ أي: أظهر وأصلح ﴿لَكُمْ﴾ من الوقوف على الأبواب منتظرين؛ لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدر في قلوب الناس خصوصاً إذا كانوا ذوي مروءة مرتاضين للآداب الحسنة، وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس، وعن أبي عبيد رحمه الله تعالى: ما قرعت باباً على عالم قط، وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وعن قتادة رحمه الله تعالى: إذا لم يؤذن له لا يقعد وراء الباب فإن للناس حاجات، وإن حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتي باب الأنصاري لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج، ولا يستأذن فيخرج الرجل فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ لو أخبرتني فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم، فإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردوداً لما روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اطلع في بيت قوم فقد حل لهم يفتقروا عينه»<sup>(٢)</sup>، ولو عرض أمر في دار من حريق أو هدم أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره جاز الدخول بغير إذن، ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: الذي لا يخفى عليه شيء ﴿بِمَاتَعَمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وبغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه"<sup>(٣)</sup>.

١ . سورة الحجرات: الآية: ٤ .

٢ . جاء في سنن الدارقطني: «مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَفَقَّؤُوا عَيْنَهُ ، فَلَا دِيَّةَ وَلَا قِصَاصَ» ، انظر: سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، (٤/ ٢٧٣).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٦١٤).

## الدراسة:

يتضح للمطلع على تفسير هذه الآية أن أبا السعود والخطيب الشربيني يعرضان الآداب الخاصة بالاستئذان، وقد أشار أبو السعود في هذا الشأن إلى أمر لم يشر إليه الخطيب الشربيني وهو أن الإذن لا يكون إلا ممن يملك الإذن، أما الأمر بالرجوع، وعدم الدخول فيكون ممن يملك الإذن بالدخول وممن لا يملكه.

كما يتفقان أيضاً في بعض المسائل كمسألة انتظار الإذن والوقوف على الأبواب، حيث يقول: (ولما كان جعلُ التَّهي بالِإِذْنِ مِمَّا يُوْهِمُ الرُّخْصَةَ فِي الْإِنْتِظَارِ عَلَى الْأَبْوَابِ مُطْلَقاً بَلْ فِي تَكْرِيرِ الْإِسْتِئْذَانِ، وَلَوْ بَعْدَ الرَّدِّ دُفِعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾؛ أَي: إِنَّ أَمْرَتَهُ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالرُّجُوعِ سَوَاءٌ كَانَ الْأَمْرُ مِمَّنْ يَمْلِكُ الْإِذْنَ أَوْ لَا فَارْجِعُوا وَلَا تَلْحُوا بِتَكْرِيرِ الْإِسْتِئْذَانِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْإِنْتِظَارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ الْكَرَاهَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ)، وبهذا قال الطبري<sup>(١)</sup>، والماتريدي<sup>(٢)</sup>، والبيضاوي<sup>(٣)</sup>، وابن كثير<sup>(٤)</sup>، والشوكاني<sup>(٥)</sup>، والسعدي<sup>(٦)</sup>.

وبقول الخطيب الشربيني: (إذا كان في البيت أحد، وقال لكم: ارجعوا فارجعوا ﴿هُوَ﴾ أَي: الرجوع ﴿أَزَكَّى﴾ أَي: أظهر وأصلح ﴿لَكُمْ﴾ من الوقوف على الأبواب منتظرين؛ لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس). ثم يتفرد الخطيب الشربيني بذكر أحكام النظر من خلال الباب وأن من فعل ذلك يمكن أن تفقأ عينه ولا دية له.

## الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

١ . جامع البيان، للطبري، (١٤٩/١٩).

٢ . تأويلات أهل السنة، للماتريدي، (٨٨/٤).

٣ . أنوار التنزيل، للبيضاوي، (١٠٤/٤).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١/٦).

٥ . فتح القدير، للشوكاني، (٢٤/٤).

٦ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (٥٦٥/١).

٧ . سورة النور: الآية: ٢٩.

**قال الإمام أبو السعود:** "قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا﴾ أي: بغير استئذان ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والحوانيت والحمّامات ونحوها فإنّها معدّة لمصالح الناس كافّة كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾، فإنّه صفة للبيوت أو استئناف جارٍ مجرى التعليل لعدم الجُنَاح، أي: فيها حقّ تمتعٍ لكم كالاستئذان من الحرّ والبرد وإيواء الأمتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك ممّا يليق بحال البيوت وداخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخلها من قبل، ولا ممّن يتولّى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرّباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرّفي الحمّامات ونحوهم، "ويروى أنّ أبا بكر -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله، إنّ الله تعالى قد أنزل عليك آيةً في الاستئذان وإنّا نختلف في تجارتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلّا بإذن؟ فنزلت" (١)، وقيل: هي الخربات يُتبرّر فيها والمتاع التّبرّر، والظاهر أنّها من جملة ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيدٌ لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات (٢).

**قال الإمام الشربيني:** "لما نزلت آية الاستئذان قالوا: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها إنسان فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: بغير استئذان منكم، وذلك كبيوت الخانات والربط المسبلة ﴿فِيهَا مَتَعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَّكُمْ﴾ والمنفعة فيها بالنزول وأنواع المتاع والالتقاء من الحر والبرد ونحو ذلك، وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنفعة، وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت الأسواق إذن، وكان ابن سيرين (٣) رحمه الله تعالى إذا جاء

١ . انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لزيلعي، (٢/٤٢٩-٤٣١).

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/١٦٩).

٣ . هو محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تابعي، من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة، توفي (سنة: ١١٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٤/٦٠٦)، والأعلام للزركلي، (٦/١٥٤-١٥٥).

إلى حانوت السوقى يقول: السلام عليكم أدخل ثم يلج، وقال عطاء<sup>(١)</sup>: هي البيوت الخربة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط، وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وفي ذلك وعيد من الله تعالى لمن دخل لفساد أو تطلع على عورات وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم سلموا على أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يذكر أبو السعود أن المراد بالبيوت غير المسكونة: (أي: غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً؛ كالزبيط والخانات والحوانيت والحمّامات ونحوها فإنّها معدّة لمصالح الناس كافة).

والواضح من هذا التفسير أن المحلات التجارية وأماكن البيع والشراء والأسواق تدخل ضمن هذه المواضع، لأنها حتى وإن كانت مسكونة لكن لا يمكن أن يجلس أحد فيها غير مستور العورة كما يحدث في البيوت التي هي معدة للراحة والسكن. ومن هنا تتضح الحكمة من الاستئذان وهي عدم الاطلاع على عورات الناس، وما يحبون أن يخفوه عن أعين الآخرين، ولا يريدون أن يطلع عليه أحد، وهذا كله لا يمكن أن يكون في الأسواق والمحلات التجارية وغيرها مما يرتاده الناس كافة، وهذا ما

---

١ . هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح، تابعي، ولد في أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه، توفي (سنة: ١١٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٥/٧٨).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٦١٤).

قاله مقاتل<sup>(١)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(٢)</sup>، والطبري<sup>(٣)</sup>، والزجاج<sup>(٤)</sup>، والثعلبي<sup>(٥)</sup>، الحنفي<sup>(٦)</sup>، وأبو العباس<sup>(٧)</sup>.

وثمة أمر آخر يمكن أن ندركه في هذه الآية وهي دخول البيوت غير المسكونة يجب أن يكون لغرض وليس عبثاً بدليل قوله تعالى: ﴿فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾، ولقد لفت انتباهنا الإمام أبو السعود إلى هذا المعنى حيث يقول: (وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ مَوَظِعُونَ﴾: وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفسادٍ أو اطلاعٍ على عورات).

وواضح أن الخطيب الشربيني يتفرد بذكر أغلب الأحكام الشرعية، وتفصيل القول فيها، بينما يتفرد الإمام أبو السعود بالإشارة إلى بعض اللفظات اللطيفة والمعاني الخفية التي تدرك من خلال التمعن في السياق، والنظر في إحياء الألفاظ ودلالاتها.

١ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (١٩٥/٣).

٢ . تفسير يحيى بن سلام، (٤٣٩/١).

٣ . جامع البيان، للطبري، (١٥١/١٩).

٤ . معاني القرآن، للزجاج، (٣٩/٤).

٥ . الكشف والبيان، للثعلبي، (٨٦/٧).

٦ . روح البيان، للحنفي، (١٣٩/٦).

٧ . البحر المديد، لأبي العباس، (٢٩/٤).

## المطلب الثالث:

### آيات الأخلاق

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾: هو الصَّفْحُ عنها والإحسانُ في مقابلتها لكن لا بحيثُ يؤدي إلى وَهْنٍ في الدين. وقيل: هي كلمة التَّوْحِيدِ، والسَّيِّئَةُ: الشُّرْكُ. وقيل: هو الأمرُ بالمعروفِ، والسَّيِّئَةُ: المنكرُ، وهو أبلغُ من: ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التَّصْيِصِ على التَّفْضِيلِ. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلافِ ما أنتَ عليه، وفيه وعيدٌ لهم بالجزاء والعقوبة، وتسليَةٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وإرشادٌ له عليه السَّلامُ إلى تفويضِ أمره إليه تعالى" (٢).

قال الإمام الشرييني: "قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من الأقوال والأفعال بالصفح والمدارة؛ ﴿السَّيِّئَةِ﴾ أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة، وقيل: محكمة لأن المدارة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ في حقك وحقنا، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب، وليس أحدٌ بغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل" (٣).

#### الدراسة:

يعرض الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية المراد بالتي هي أحسن، والمراد بالسيئة، فيقول: (هو الصَّفْحُ عنها والإحسانُ في مقابلتها لكن لا بحيثُ يؤدي إلى وَهْنٍ

١ . سورة المؤمنون: الآية: ٩٦.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٤٩/٦).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٥٩٠/٢).

في الدين. وقيل: هي كلمة التوحيد، والسيئة: الشرك، وقيل: هو الأمر بالمعروف، والسيئة: المنكر).

ويذكر الخطيب الشربيني أن المراد مقابلة السيء (من الأقوال والأفعال بالصفح والمدارة؛ (السيئة) أذاهم إياك)، أي: إيذاؤهم للرسول ﷺ، ثم يشير إلى أن الآية منسوخة وأن هذا الأمر كان قبل القتال، وهذا ما قاله السمرقندي<sup>(١)</sup>، وابن عطية<sup>(٢)</sup>، والقرطبي<sup>(٣)</sup>، ووافقهم البقاعي<sup>(٤)</sup>، والمراغي<sup>(٥)</sup>.

والذي يرجحه الباحث أن المراد بها مقابلة الأذى ولا سيما في الأقوال بالقول الحسن، والتلطف في المعاملة والذي يرجح هذا الرأي قوله تعالى في ختام الآية: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

كذلك فقد ورد في آية أخرى ما يؤكد هذا القول، وذلك هو قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

#### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ﴾ أي: لا يحلف، افتعال من الألية، وقيل: لا يقصر من الألو، والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق - عليه السلام -

١ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٤٨٩/٢).

٢ . المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٥٥/٤).

٣ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٤٧/١٢).

٤ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (١٨٣/١٣).

٥ . تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى، (٥٣/١٣).

٦ . سورة فصلت: الآية: ٣٤.

٧ . سورة النور: الآية: ٢٢.

حينَ حلفَ أن لا ينفقَ على مسطحٍ بعدُ، وكانَ ينفقُ عليه لكونه ابنَ خالته، وكانَ من فُقراءِ المهاجرينَ، ويَعُضده قراءةُ مَنْ قرأ: ولا يألُ ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ في الدين وكفى به دليلاً على فضلِ الصديقِ -ﷺ-، ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في المالِ ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ أي: على أن لا يُؤْتوا، ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفاتٌ لموصوفٍ واحدٍ جيء بها بطريقِ العطفِ تنبيهاً على أن كلاً منها علّةٌ مستقلةٌ لاستحقاقه الأبناء، وقيل: لموصوفاتٍ أقيمت هي مقامها وحُذف المفعولُ الثاني لغايةِ ظهوره، أي: على أن لا يُؤْتوهم شيئاً، ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ ما فرطَ منهم، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ بالإغضاء عنه، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: بمقابلةِ عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى مَنْ أساءَ إليكم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مبالغٌ في المغفرة والرحمة مع كمالِ قدرته على المؤاخذه، وكثرةِ ذنوبِ العبادِ الدّاعيةِ إليها، وفيه ترغيبٌ عظيمٌ في العفو، ووعدٌ كريمٌ بمقابلته كأنه قيل: ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ فهذا من موجباته. روي أنّه عليه الصّلاة والسلامُ قرأه على أبي بكرٍ رضي الله عنه فقال: بل أحبُّ أن يغفرَ الله لي فرجع إلى مسطحٍ نفقته، وقال: والله لا أنزعها أبداً<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشريبي:** "قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: يحلف افتعال من الآلية، وهو القسم، ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ أي: أصحاب الغنى، ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أي: أن لا يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى مَنْ أساءَ إليكم، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر -ﷺ-؛ حيث حلف أن لا ينفق على مسطح، وهو ابن خالة أبي بكر -ﷺ-، وكان يتيماً في حجره، وكان ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط قال لهم أبو بكر: قوموا لستم مني، ولست منكم وكفى بذلك داعياً في المنع، فإن الإنسان إذا أحسن إلى قريبه وكافأه بالإساءة كان أشد عليه مما إذا صدرت الإساءة من أجنبي؛ قال الشاعر:

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٦٥/٦).

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة \*\*\* على المرء من وضع الحسام المهند<sup>(١)</sup>  
فقال له مسطح: نشدتك الله والإسلام والقربة لا تحوجنا إلى أحد فما كان لنا أول  
الأمر من ذنب فقال: ألم تتكلم؟ فقال: قد كان بعض ذلك عجباً من قول حسان فلم  
يقبل عذره، وقال: انطلقوا أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً، فخرجوا لا  
يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الأرض، وناس من الصحابة أقسموا أن لا  
يتصدّقوا على من تكلم بشيء من الإفك، فبعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وقرأ عليه  
الآية، فلما وصل إلى قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: مع  
كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه قال: بلى يا رب إني أحب أن تغفر لي، فذهب أبو بكر -  
ﷺ إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه، وقال: قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس  
والعين وإنما فعلت بكم ما فعلت إذ سخط الله عليكم أما إذ عفا عنكم فمرحباً بكم،  
وجعل له مثلي ما كان له، وقال: والله لا أنزعها أبداً، وذلك من أعظم أنواع  
المجاهدات، ولا شك أن هذا أعظم من مقاتلة الكفار؛ لأن هذا مجاهدة مع النفس وذلك  
مجاهدة مع الكفار ومجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار، ولهذا روي أنه -ﷺ-  
قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"<sup>(٢)</sup> (٣).

### الدراسة:

الأمر الذي يحمد لأبي السعود في تفسير هذه الآية هو حسن الاستنباط؛ حيث  
يذكر أن في قوله تعالى: ﴿أُولَ الْأَفْضَلِ مِنْكُمْ﴾ (دليلاً على فضل الصديق -ﷺ-)، وهذا  
استنباط حسن، وإن لم يذكر أنه نقل ذلك من المفسرين السابقين، أو أنه استنباطه هو  
من خلال تأمل الآية، وتدبرها.

والآية تأمر بالإحسان إلى أولي القربى والمساكين والمهاجرين بصرف النظر عن  
إساءتهم إلى من أحسن إليهم، مما يعني هذا الدين هو دين التسامح والرحمة، وأن من  
يزعم أنه غير ذلك فقد كذب، ممن يتهم هذا الدين بالإرهاب، والجفوة، والغلظة في

١ . القائل هو طرفة بن العبد، وقد ورد هذا البيت في معلقته المشهورة، انظر: شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله

الحسين بن أحمد الزوزني، لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، ط بدون، ١٩٩٣م، ص ٦٣.

٢ . تخريج أحاديث الكشاف، لزيلعي، باب سورة الحج، برقم (٨٢٥)، وقال عنه، قلت غريب جداً وذكره الثعلبي  
هكذا من غير سند، (٢/ ٣٩٥).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٦١٠٠).

التعامل، ويذكر الخطيب الشربيني نفس المعاني التي ذكرها أبو السعود حيث يذكر أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- حلف على أن ينفق على مسطح، وذلك حين تكلم مع تكلم في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد أعاد أبو بكر -رضي الله عنه- إلى مسطح وأصحابه النفقة بعد أن أنزل الله تعالى في شأنهم ما أنزل، وقال: بلى أحب أن يغفر الله لي، وهذا ما قاله مقاتل<sup>(١)</sup>، والطبري<sup>(٢)</sup>، والجلالين<sup>(٣)</sup>.

وبعد الخطيب الشربيني هذا العمل، أي: الإنفاق على من أساء إليك من قرابتك، يعده من أفضل أنواع المجاهدة، كيف لا وأبو بكر الصديق -رضي الله عنه- من أعظم المجاهدين.

وبهذا نصل إلى خاتمة الفصل الثاني والذي تناولنا فيه الأحكام الفقهية من صلاة وصوم وحج ونحوها، كما تناولها فيه الآداب والأخلاق، وقد أشرنا في المباحث المتقدمة إلى أن أبا السعود حنفي المذهب، وأنه كان يلقب بأبي حنيفة الثاني، وأن كتب الخطيب الشربيني معتمدة في المذهب الشافعي، ولم نجد في هذا ما يعارض ذلك أو يناقضه.

١ . تفسير مقاتل بن سلمان، لمقاتل، (٧٢١/٤).

٢ . جامع البيان، للطبري، (٤٧٩/٢٤).

٣ . تفسير الجلالين، (٤٦٠/١).

## **الفصل الثالث:**

### **الآيات الكونية والقصص والأمثال**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: الآيات الكونية.**

**المبحث الثاني: آيات القصص.**

**المبحث الثالث: آيات الأمثال.**

# **المبحث الأول: الآيات الكونية.**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: آيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.**

**المطلب الثاني: آيات خلق الإنسان والكائنات.**

**المطلب الثالث: آيات نزول المطر وتصريف الرياح.**

## المطلب الأول:

### آيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (٥٣).<sup>(١)</sup>

قال الإمام أبو السعود: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾؛ أي: جعلها لكم كالمهد تتمهدونها أو ذات مهد وهو اسم لما يمهد كالفرش ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي حصل لكم طرقاً ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتتفعوا بمنافعها ومراقفها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي بذلك الماء وما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيدان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة. ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتتران بعضها ببعض ﴿مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي متفرقة يعني أنها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للباس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشربيني: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ مهذاً وهو ما يمهد للصبي، وهو اسم ما يمهد كالفرش أو جمع مهد ﴿وَسَلَكَ﴾ أي: سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً وعدل بقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على

١ . سورة طه: الآية: ٥٣ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/٢١-٢٢).

كمال قدرته والحكمة وإيداناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء لمشيئته ﴿أَزَوَجًا﴾ أي: أصنافاً سميت بذلك لأنها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض وقوله تعالى ﴿مِّنْ نَّبَاتٍ﴾ بيان وصفة لا زواجاً وكذلك ﴿شَتَّى﴾ وهو جمع شتيت من شت الأمر تفرق أي: أنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم<sup>(١)</sup>.

**الدراسة:**

تعرض هذه الآية المقروءة آيات الله تعالى المنظورة من جعل الأرض مهداً، ذات طرق ومعالم واضحة، وإنزال المطر، وإنبات النبات من كل صنف، ومن كل نوع. ومن الواضح أن أبا السعود والخطيب الشربيني يتفقان في تفسيرها ليس على مستوى المعاني فحسب، بل على مستوى الألفاظ أيضاً، ومثال ذلك تفسيرهما لكلمة: ﴿شَتَّى﴾، يقول أبو السعود: (أي: متفرقة جمع شتيت، يعني أنها شتّى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع).

ويقول الخطيب الشربيني: ﴿شَتَّى﴾ وهو جمع شتيت؛ من شت الأمر: تفرق؛ نحو: مرضى: جمع مريض، وجرحى: جمع جريح، فألفه للتأنيث؛ أي: أزواجاً متفرقة، أي: أنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل).

وبهذا القول قال الألوسي<sup>(٢)</sup>، والبغوي<sup>(٣)</sup>، وفي تفسير كلمة: (مهد) خالفهما ابن كثير<sup>(٤)</sup>، والسمرقندي<sup>(٥)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَتَفْتَقَنَهُمَا<sup>ط</sup> وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٦٧-٤٦٨).

٢ . روح المعاني، للألوسي، (٨/٥١٨).

٣ . معالم التنزيل، للبغوي، (٥/٢٧٧).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/٢١٩).

٥ . بحر العلوم، للسمرقندي، (٢/٤٠٢).

٦ . سورة الأنبياء: الآية: ٣٠.

قال الإمام أبو السعود: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تجهيل لهم لتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقاله تعالى بالألوهية وكون جميع ما سواه مقهوراً تحت ملكوته والهمزة للإنكار ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ الرتق الضم والالتحام، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة<sup>(١)</sup> والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئاً واحداً ملتزمين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقين ثم خلق ريحاً فتوسطتها ففتقتها، وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبعة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتفعة طبعة واحدة ففتقتها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق أو السموات جميعاً على أن لها مدخلا في الأمطار.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؛ أي: خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به، أو صيرنا كل شيء حي من الماء؛ أي: بسبب منه لا بد له من ذلك ﴿أَفَلَا يَوْمِنُونَ﴾ إنكار لعدم إيمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه حتماً من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرد عز وجل بالألوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته أيعلمون ذلك فلا يؤمنون<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشربيني: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ علماً هو كالمشاهدة، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال ابن عباس والضحاك: كانتا

١ . هو عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي ، أبو عبد الله المدني ( أخو أبي بكر بن عبد الرحمن و إخوته )، من الوسطى من التابعين، (توفي سنة: ١٠٣هـ)، روى له : ( البخاري - مسلم - النسائي - ابن ماجه )، رتبته عند ابن حجر : ثقة، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٣٧٠/٤-٣٧١).

٢ . سورة النور: الآية: ٤٥.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٤/٦-٦٥).

شيئاً واحداً ملتزقتين زبدة واحدة ﴿فَفَتَّقْنَهُمَا<sup>ط</sup>﴾ أي: فصلنا بينهما بالهواء، والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً توسطتهما، ففتحهما بها، وقال مجاهد والسدي: كانت السموات رتقاً طبقة، ففتقها، فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرض كانت رتقاً طبقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين، وقال عكرمة وعطية: كانت السموات رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تثبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، والكفرة وإن لم يعلموا ذلك، فهم متمكنون من العلم بالنظر، أو باستفسار من العلماء، أو مطالعة الكتب، ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي: خلقنا بما اقتضته عظمتنا ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ الماء هو الدافق وغيره ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ مجازاً في النبات وحقيقة في الحيوان، وقيل: المراد بالماء ما نزل من السماء أو نبع من الأرض ﴿أَفَلَا يَوْمِنُونَ﴾ مع ظهور هذه الآيات الواضحات توحيدي<sup>(١)</sup>.

#### الدراسة:

اتفق الإمامان على بيان الآيات الكونية التي ذكرتها الآية في الرتق والفتق في خلق السموات والأرض، وذكر الأقوال في ذلك أن الأرض كانت ملتصقة بالسماء ففصلت، أو أن السموات فتقت بالمطر، والأرض فتقت بالنبات، ونسب الأقوال في ذلك إلى أهلها، وبهذا القول قال الألوسي<sup>(٢)</sup> وجمع ابن كثير الأقوال في قول واحد في الفتق والرتق<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن الجوزي قولاً ثالثاً في فتق السماء إلى سبع، وفتق الأرض إلى سبع<sup>(٤)</sup>، ورجح القاسمي أن السموات فتقت بالمطر والأرض بالنبات لارتباط نهاية الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾<sup>(٥)</sup>.

والذي يظهر للباحث في خلاف المفسرين أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً، ففتقهما الله تعالى وجعلها سبع سموات، وسبع أرضين، وهو الراجح من هذه الأقوال

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٥٠٢-٥٠٣).

٢ . روح المعاني، للألوسي، (٩/٣٧).

٣ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/٣٣٩).

٤ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣/١٨٩).

٥ . محاسن التأويل، للقاسمي، (٧/١٩١).

لظاهر الآية في الرتق والفتق، ولو كان لكل منهما رتق وفتق مستقل لما جمعهما الله في الآية، وهو ظاهر كذلك من كلام العرب.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ الذين هما آيتاهما بيانٌ لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام، أي: هو الذي خلقهن وحده، ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد منهما؛ على أن التثنية عوض عن المضاف إليه، ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء، والمراد بالفلك الجنس؛ كقولك: كساهم الخليفة حلة، والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرداهما بها لعدم اللبس، والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع (٢).

قال الإمام الشرييني: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾ أي: لا غيره ﴿الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَهُمَا أَعْظَمَ آيَتَهُمَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ﴾ التي هي أعظم آية النهار ﴿وَالْقَمَرُ﴾ الذي هو أعظم آية الليل ﴿كُلٌّ﴾ أي: من الشمس والقمر، وتابعه، وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي: مستدير كالطاحونة في السماء، ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي: يسرون بسرعة كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل والمراد بالفلك الجنس كقولك: كساهم الأمير حلة، وقلدهم سيفاً، أي: كل واحد منهم، أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين، فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً، ولأن الغرض الدلالة على الجنس (٣).

### الدراسة:

تتناول الآية الكريمة بعض الآيات الكونية، التي منها الشمس والقمر، وقد اتفق الإمامان أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى، وأن الشمس أعظم آية في

١ . سورة الأنبياء: الآية: ٣٣.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦٠/٦-٦٦).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٥٠٤/٢).

النهار، والقمر أعظم آية في الليل، كما اتفقا في المعاني وبعض الألفاظ، ومن الألفاظ التي اتفقا فيها قولهما: كساهم الإمام حلة، وزاد الإمام الشربيني أن قال: وقلدهم سيفاً، وذلك في معرض استدلالهم على توحيد لفظ فلك، وأنه لفظ جنس، وهذا يعني أن كل جرم من الأجرام السماوية له فلك خاص به، وإنما جاء لفظ فلك مفرداً، شأنه شأن الحلة، إذ ليس من المعقول أن يكسي الأمير جماعة من الناس حلة واحد، ولكن كسا كل فرد منه حلة خاصة به.

وبهذا قال الطبري<sup>(١)</sup>، والثعلبي<sup>(٢)</sup>، والزمخشري<sup>(٣)</sup>، والبيضاوي<sup>(٤)</sup>، والشوكاني<sup>(٥)</sup>.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَلْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر أو الأنهار النازلة من الجنة قيل: هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في فنون معاشهم<sup>(٧)</sup>، ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم: ﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلناه ثابتاً قاراً فيها:

١ . جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٤٣٨-٤٣٥/١٨).

٢ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لثعلبي، (٢٧٥-٢٧٤/٦).

٣ . الكشف، للزمخشري، (١١٥/٣).

٤ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٥١-٥٠/٤).

٥ . فتح القدير، للشوكاني، (٤٧٩/٣).

٦ . سورة المؤمنون: الآية: ١٨-١٩.

٧ . مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، برقم ٨١٩٩، (١٩/١٥).

﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾ أي: إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التغير: ﴿لَقَدَرُونَ﴾ كما كنا قادرين على إزالة وفي تكرير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإبعاد به: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء: ﴿جَنَّتِ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات: ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها: ﴿وَمِنْهَا﴾ من الجنات: ﴿تَأْكُلُونَ﴾ تغذيا أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير واللبس وغير ذلك وطعام يأكلونه<sup>(١)</sup>.

**وقال الخطيب الشربيني:** ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من جرمها وهو ظاهر اللفظ وعليه أكثر المفسرين أو من السحاب وسماه سماء لعلوه: ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة، ويسلمون معه من المضرة إذ لو كان فوق ذلك لأغرقت البحار الأقطار، ولو كان دون ذلك لأدّى إلى جفاف النبات والأشجار: ﴿فَأَسْكَنَهُ﴾ أي: فجعلناه ثابتاً مستقراً: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يُنَبِّعُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، و«عن ابن عباس عن النبي: ﷺ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ سِيحُونَ نَهْرُ الْهِنْدِ، وَجِيحُونَ نَهْرُ بَلْخِ، وَدَجَلَةُ وَالفَرَاتُ نَهْرُ الْعِرَاقِ، وَالنَّيْلُ نَهْرُ مِصْرَ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عَيُونِ الْجَنَّةِ مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا عَلَى جَنَاحِي جِبْرِيلَ فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ وَأَجْرَاهَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ مِنْ أَصْنَافٍ مَعَايشِهِمْ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ، وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَتَابَوْتَ مُوسَى بِمَا فِيهِ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ فَيَرْفَعُ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ<sup>(٣)</sup>» وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدَرُونَ﴾ قدرة هي في نهاية العظمة، فإنّا كما قدرنا على إيجاده واختراعه نقدر على رفعه وإزالته وزواله، فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا. ﴿فَأَنشَأْنَا﴾ أي: فأخرجنا

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٢٧).

٢ . سورة الزمر: الآية: ٢١.

٣ . سبق تخريج الحديث، ص ٢٨٤.

وأحيينا ﴿لَكُمْ﴾ خاصة لا لنا ﴿بِهِ﴾ أي: بذلك الماء الذي جعلنا منه كل شيء حي ﴿جَنَّتِ﴾ أي: بساتين ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولأنهما أكثر ما عند العرب من الثمار، وأشار إلى غيرهما بقوله تعالى: ﴿لَّكُمْ﴾ أي: خاصة ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن الجنات من ثمارها وزروعها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ رطباً ويابساً وتمرّاً وزبيباً<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان الآيات الكونية التي أشارت إليها الآية الكريمة وهي المطر حينما ينزل من السماء، ويسكنه الله في الأرض، وذكر أنهار الأرض الخمسة، وأنها من أنهار الجنة، واستدلا بحديث ضعيف<sup>(٢)</sup> وزاد الشرييني في بيانها بذكر الحديث مع أن أبا السعود ذكره دون إسناده، وذكر الثمار والفواكه التي أشارت إليها الآية في معرض بيان نعم الله تعالى.

وذكر السمرقندي<sup>(٣)</sup> هذا المعنى، وذكر الأنهار كذلك دون إسناده إلى رسول الله

ﷺ.

وقد ذكر هذا المعنى الطبري<sup>(٤)</sup> دون ذكر الحديث، والثعلبي<sup>(٥)</sup>، والشوكاني<sup>(٦)</sup>.  
والراجح: أن الله لما أنزل المطر أسكنه في الأرض ثم أخرجه ينابيع للزراعة من كل الثمرات للإنسان والحيوان، وتخصيص الينابيع بالأنهار الخمسة التي ذكرها الإمامان غير صحيح؛ لأن الحديث موضوع؛ ولأن الأنهار والينابيع في الأرض كثيرة، والله أعلم.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٥٧٤).

٢ . قال المحدث الألباني: إنه موضوع، انظر: السلسلة الضعيفة للألباني، (٦/ ١٨٧).

٣ . بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٤٧٧).

٤ . جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (١٩/ ٢١).

٥ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (٧/ ٤٣).

٦ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٥٦٥).

## المطلب الثاني: آيات خلق الإنسان والكائنات

### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ المراد بالإنسان الجنس؛ أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم - عليه السلام - خلقا إجماليا ﴿مِّن سُلَالَةٍ﴾ السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه ﴿مِّن طِينٍ﴾ أي خلقناه من سلالة كائنة من طين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم - عليه السلام - أو جعلنا نسله على حذف المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم - عليه السلام - أو جعلنا نسله على حذف المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه السلام ﴿نُطْفَةً﴾ بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة، والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿فِي قَرَارٍ﴾ أي: مستقر، وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة ﴿مَّكِينٍ﴾: وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها في نفسها فإنها مكنت بحيث هي وأحرزت، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي: دما جامدا بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ﴾ أي: غالبها ومعظمها أو كلها، ﴿عِظْمًا﴾ بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ أي كسونا كل عظم

١ . سورة المؤمنون: الآية: ١٢-١٤.

من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ هي صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: هو أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشريبي: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء أي: استخرجته منه، وهو خلاصته وقال ابن عباس: السلالة صفة الماء ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بسلالة وقيل المراد بالإنسان هذا النوع؛ والسلالة قال مجاهد: من بني آدم، وقال عكرمة: هو الماء يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالة، والولد سليلاً وسلالة؛ لأنهما مسلولان منه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: نسله ﴿نُطْفَةً﴾ أي: منياً من الصلب والترائب بأن خلقناه منها ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: مستقر حصين هو الرحم ﴿ثُمَّ﴾ أي: بعد تراخ في الزمان، وعلو في المرتبة والعظمة ﴿خَلَقْنَا﴾ أي: بما لنا من العظمة ﴿عَلَقَةً﴾ حمراء دماً غليظاً شديد الحمرة جامداً غليظاً ﴿فَخَلَقْنَا﴾ أي: بما لنا من القوة والقدرة العظيمة ﴿الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم قدر ما يمضغ لا شكل فيها ولا تخطيط ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ﴾ أي: بتقليبها بما شئنا لها من الحرارة والأمور اللطيفة الغامضة ﴿عَظْمًا﴾ من رأس ورجلين وما بينهما ﴿فَكَسَوْنَا﴾ بما لنا من قوة الاختراع تلك ﴿الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ بما ولدنا منها ترجيعاً لحالها قبل كونها عظماً فسترنا تلك العظام، وقويناها وشددناها بالروابط والأعصاب ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ﴾ أي: هذا المحدث عنه بعظمتنا أي: خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعداها حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميماً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع ظاهره وباطنه، بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه

لا تدرك بوصف الواصف، ولا تبلغ بشرح الشارح ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: تنزه عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

اتفق الإمامان على معنى هذه الآية التي تتكلم عن مراحل تكوين الجنين، وكان الإمام الشرييني أوضح من أبي السعود في بيان هذه المراحل، وعلى كل فإن الإمام أبا السعود يذكر أن المراد بالإنسان الجنس، أي: كل إنسان، وليس آدم فقط، ولكنه يقيد ذلك بقوله: (جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا إجماليا).

كما يذكر أن المراد بالسلالة ما سل من الشيء، وبهذا القول قال الإمام الشوكاني<sup>(٢)</sup> والقاسمي<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الشرييني هذه المعاني وزاد عليها أن السلالة: صفة الماء نقلاً عن ابن عباس، وقيل ماء يسيل من الظهر نقلاً عن عكرمة، وبهذا القول قال الألوسي<sup>(٤)</sup> وابن كثير<sup>(٥)</sup>.

والذي يلفت الانتباه في هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ حيث جاء لفظ الخالق جمعاً ولم يأت مفرداً، وذلك لأن «الخلق... على وجهين؛ أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير»<sup>(٦)</sup>، ولهذا «يسمون صانع الأديم ونحوه: الخالق؛ لأنه يقدر أولاً، ثم يفري»<sup>(٧)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِيَّتِ﴾<sup>(٨)</sup>.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٥٧٢-٢٧٣).

٢ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/٥٦٤).

٣ . محاسن التأويل، للقاسمي، (٧/٢٨٤).

٤ . روح المعاني، للألوسي، (٩/٢١٦).

٥ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/٤٦٥).

٦ . انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٤/١٩٢-١٩٣).

٧ . تاج العروس، للزبيدي، (٢٥/٢٥١).

٨ . سورة المؤمنون: الآية: ٢٠.

**قال الإمام أبو السعود: ﴿وَشَجَرَةً﴾** تخصيصها بالذكر من بين الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان، ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وهو جبل موسى - عليه السلام - بين مصر وأيلة، وقيل: بفلسطين، ويقال: له طور سنين فإما أن يكون الطور اسم الجبل، وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس، ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾: صفة أخرى لشجرة فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن، وقرئ تنبت من الإفعال، وهو إما من الإنبات بمعنى النبات، أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن، ﴿وَصَبِغٌ لِّلْأَكَلِيتِ﴾ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به، ويسرج منه، وكونه إداما يصبغ فيه الخبز، أي: يغمس فيه للالتئام<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام الشرييني: ﴿وَشَجَرَةً﴾** عطف على جنات أي: وأنشأنا لكم شجرة أي: زيتونة، ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله تعالى . عليه موسى بن عمران - عليه السلام - بين مصر وإيلة، وقيل: بفلسطين، وفي رواية أخرى: طور سينين، ولا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء أو سينين، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس، وبعلبك قال مجاهد: معناه البركة أي: من جبل مبارك، وقال قتادة: معناه الحسن أي: الجبل الحسن، وقال الضحاك: هو بالقبطية ومعناه الحسن، وقال عكرمة: بالحبشية، وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة، فهو سيناء وسينين بلغة القبط ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ تكون الباء على الأول زائدة، وعلى الثاني معدية قال المفسرون: وإنما أضافها الله تعالى إلى هذا الجبل؛ لأنّ منه تشعبت في البلاد وانتشرت؛ ولأنّ معظمها هناك قال بعض المفسرين: وإنما عرف الدهن؛ لأنه أجل الأدهان وأكملها، وهو في الأصل مائع لزج خفيف يتقطع ولا يختلط بالماء الذي هو أصله فيسرج ويدهن به، ﴿وَصَبِغٌ لِّلْأَكَلِيتِ﴾ عطف على الدهن أي: إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه، وهو الزيت؛ قيل: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله تعالى: ﴿يُوفِّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٢٨/٦-١٢٩).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٥٧٥/٢).

## الدراسة:

ذكر الإمامان مكان هذه الشجرة على أنه إما أن يكون المكان المخصص بسيناء على اختلاف تحديده، أو أن الاسم مركب من لفظين ولا مخصص له، وذكرنا كذلك فائدتين لتلك الشجرة؛ الأولى: وهي الدهن، والثانية: وهي الإدام، وبهذا القول قال البيضاوي<sup>(١)</sup>، وذكر الشوكاني أن القول الأول قول الجمهور<sup>(٢)</sup>، وذكر القاسمي القولين والفائدتين<sup>(٣)</sup> معاً، وكذلك ابن عطية<sup>(٤)</sup>.

## الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ أي كل حيوان يدب على الأرض وقرىء خالق كل دابة بالإضافة ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ وهو جزء مادة أو ماء مخصوص وهو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بداية وليس صلة الخلق ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحية وتسمية حركتها مشياً مع كونها زحفاً بطريق الاستعارة أو المشاكلة ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالنعم والوحش، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد العنصر وإظهار

١ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٤ / ٨٤).

٢ . فتح القدير، للشوكاني (٣ / ٥٦٧).

٣ . محاسن التأويل، للقاسمي (٧ / ٢٨٦).

٤ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤ / ١٣٩).

٥ . سورة النور: الآية: ٤٥.

الاسم الجليل في موضع الإضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والإيذان بأنه من أحكام الألوهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء وإظهار الجلالة كما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشرييني: ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ أي: حيوان ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى، ثانيها: إن أصل جميع المخلوقات من الماء، والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة، فكان أصل الخلقة الماء، فلهذا ذكره الله تعالى، ثالثها: المراد من الدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنها هنالك، فتخرج الملائكة والجن، رابعها: لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء أطلق عليها لفظ كل تنزيلاً للغالب منزلة الكل ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الدواب ﴿مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾. كالحية والحيتان والديدان واستعير المشي للزحف على البطن ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ أي: فقط كالآدمي والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ أي: من الأيدي والأرجل كالنعم والوحش ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ كالتنبية على سائر الأقسام ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الذي له الكمال المطلق ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾ لأنه القادر على الكل والعالم بالكل، فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات، فأى عقل يقف عليها، وأي خاطر يصل إلى ذرة من أسرارها؛ بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء، ولا يمنعه منه مانع<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان معنى الآية التي تكلمت عن خلق الكائنات وأن أصلها من ماء، وإنما وقفوا عند الكائنات التي ليست من ماء كيف تفهم مع أن الله قد أخبر بلفظ

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/١٨٥-١٨٦).

٢ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٦٣٢).

﴿كُلِّ﴾ حيث قال أبو السعود: إن لفظ (كل) هنا للتغليب، وبه قال ابن عطية<sup>(١)</sup>، والشوكاني<sup>(٢)</sup>، بينما ذكر الشربيني تعليلاً آخر في بيان ذلك؛ وهو أن كل دابة متولدة من الماء، أو أن أصل جميع المخلوقات من الماء، والمراد بالدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنها هنالك، فتخرج الملائكة والجن، ولما كان الغالب في هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء إما لأنها متولدة من النطفة، وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء أطلق عليها لفظ (كل) تنزيلاً للغالب منزلة الكل ونحوه، وبهذا قال الرازي<sup>(٣)</sup>. بينما مرّ عليها الإمام ابن كثير دون ذكر معنى<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال ما ذكر المفسرون في تعليل لفظ ﴿كُلِّ﴾، وهو أن هناك كائنات ليست من ماء فجميع ما قاله المفسرون من تعليل صحيح حيث لا تعارض بين هذه الأقوال.

---

١ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤ / ١٩١).

٢ . فتح القدير، للشوكاني، (٤ / ٥٠).

٣ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٤ / ٤٠٦).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ١٣١).

## المطلب الثالث:

### آيات نزول المطر وتصريف الرياح

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَاءَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَاءَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالعطف على أنزل، وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بتجدد أثر الإنزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل لطفه أو علمه إلى كل ما جل ودق، ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً (٢).

وقال الإمام الشرييني: "قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَاءَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: أيها المخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي: المحيط قدرة وعلماء، ﴿أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾؛ أي: مطراً بأن يرسل رياحاً فتثير سحباً، فيمطر على الأرض الماء، ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ﴾ أي: بعد أن كانت مسودة يابسة ميتة جامدة ﴿مُخْضَرَّةً﴾ حية يانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الذي له تمام النعم وكمال العلم ﴿لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ﴾ أي: بمصالح الخلق ومنافعهم، فإنه مطلع على السرائر، وإن دقت فلا يستبعد عليه إحياء من أراد بعد موته، وقال ابن عباس: لطيف بأرزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط (٣).

١ . سورة الحج: الآية: ٦٣ .

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦ / ١١٧).

٣ . السراج المنير، للشرييني، (٢ / ٥٦٤).

## الدراسة:

اتفق الإمامان على بيان معنى الآية بأن الله أنزل من السماء ماء؛ وهو المطر، فاحضرت الأرض رزقاً للعباد وعمارة للأرض، وهذا من تدبير الله للخلق، وبه قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٢)</sup>، والسمرقندي<sup>(٣)</sup>، وابن عطية<sup>(٤)</sup>.

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَتُرْمَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٥).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ الإجزاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ أي: متراكما بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: المطر إثر تراكمه وتكاثفه ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الغمام فإن كل ما علاك سماء ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ أي: من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة ﴿فِيهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وإن لم يشد البرد تقاطر مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا وإلا نزل

١ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٣٩٣).

٢ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣ / ٢٤٨).

٣. بحر العلوم، للسمرقندي، (٢ / ٤٦٨).

٤ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤/ ١٣١).

٥ . سورة النور : الآية : ٤٣ .

بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إدارة الله تعالى ومشيتته المبنية على الحكم والمصالح ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي: ما ينزله من البرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر نفسه وماله ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يصرفه عنه فينجو من غائلته ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ﴾ أي: ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ أي: يخطفها من فرط الأضواء وسرعق ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث أنه توليد للضد من الضد<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام الشربيني: ﴿الْمُتَرِّ﴾ نظرية ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ذا الجلال والجمال ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يسوقه برفق بعد أن أنشأه من العدم تارة من السفلى وتارة من العلو ضعيفا رقيقا متفرقا؛ قال أبو حيان: وهو اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة إلى سحابة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أجزائه بعد أن كان قطعاً في جهات مختلفة، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ في غاية العظمة متراكماً بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة ﴿فَتَرَى﴾ أي: في تلك الحالة المستمرة ﴿الْوَدْقَ﴾ أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من فتوقه التي حدثت بالتراكم وإرهاص بعضه في بعض، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من الغمام وكل ما علا فهو سماء ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ أي: في السماء وهي السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَرْدٍ﴾ بيان للجبال، ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بكل من البرد والمطر على وجه النعمة أو الرحمة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من الناس وغيرهم ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ صرفه عنه ثم نبه تعالى على ما هو غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فأحرقت ما لا تحرق النار بقوله تعالى ﴿يَكَادُ﴾ أي: يقرب**

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٨٥).

﴿سَنَا﴾ أي: ضوء ﴿بَرْقِهِ﴾ وهو اضطراب النور في خلاله ﴿يَذْهَبُ﴾ أي: هو ملتبسا ﴿بِالْأَبْصَرِ﴾ أي: الناظرة له أي يخطفها لشدة لمعانه وتلألؤه فتكون قوة البرق دليلا على تكاثف السحاب وبشيرا بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق<sup>(١)</sup>.

#### الدراسة:

تحدث الإمامان عن النعمة التي أشارت إليها الآية وهي تكوين المطر ونزوله، واتفقا على كثير من معاني الآية، وجاءت أقوالهما موافقة لأقوال الرازي<sup>(٢)</sup>، أما الطبري فإنه يذكر أن يزجي معناه: يسوق، ولم يذكر الرفق<sup>(٣)</sup>، وكذلك ابن الجوزي<sup>(٤)</sup>، بينما ذكر ابن كثير أن يزجي معناه: يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة<sup>(٥)</sup>، وذكر أبو السعود كيفية تكوين البرد؛ بينما الشربيني لم يذكر ذلك، وإنما ذكره الرازي<sup>(٦)</sup>.

إن ما ذكر المفسرون في الإجزاء يدخل في تكوين المطر وسوقه، وما بينوه داخل في هذه المرحلة من سوق السحب؛ بحيث يكون برفق أو قليلاً قليلاً كما قال الرازي وابن كثير لأنها ضعيفة، وما ذكره أبو السعود والرازي من تكوين البرد هو ما قرره العلم الحديث.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٦٣١).

٢ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٤/ ٤٠٣).

٣ . جامع البيان، للطبري، (١٩/ ٢٠١).

٤ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣/ ٣٠١).

٥ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٧٢).

٦ . مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٤/ ٤٠٤).

## **المبحث الثاني: آيات القصص.**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: آيات قصص الأنبياء.**

**المطلب الثاني: آيات قصص القرآن.**

## المطلب الأول:

### آيات قصص الأنبياء

أولاً: قصة زكريا عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۚ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۚ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾؛ أي: المسمى به ذكر رحمة ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا﴾ لقد راعى - عليه الصلاة والسلام - حسن الأدب في إخفاء دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه عز وجل كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ إسناد الوهن إلى العظم لأنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه - عليه الصلاة والسلام - الشيب في البياض فأسند الاشتعال إلى الرأس كما ذكر لإفادة شموله لكلها ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي ولم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما

دعوتك استجبت لي ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾ ومواليه بنو عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم أو خفت الموالى القادرون على إقامة مراسم الملة ومصالح الأمة ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولدا من صليبي فإن ما ذكره - عليه السلام - من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه - عليه السلام - عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك أن يكون هناك داع آخر إلى الإقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته - عليه السلام - للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه ﴿يَرْثُنِي﴾ أي: يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة وكان - عليه السلام - حبرا ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي: ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن سحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان - عليه السلام - ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: شريكا له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله بيحيى مزيد تشريف وتقخير له - عليه السلام - فإن التسمية بالأسامي البديعة الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبها في الفضل والكمال ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ بلغت أنا من أجل كبر السن أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام الشريفي:** هذه قصة زكريا يحتمل أن المراد من قوله تعالى:

﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ أنه عني عبده زكريا في كونه رحمة وجهان: أحدهما: أنه يكون رحمة على أمته لأنه هداهم إلى الإيمان والطاعة، والثاني: أن يكون رحمة على نبينا محمد - عليه السلام - لأن الله تعالى لما شرع له - عليه السلام - طريقته في الإخلاص والابتغال في جميع الأمور إلى الله تعالى صار ذلك لطفاً داعياً له ولأمته إلى تلك الطريقة، فكان زكريا رحمة ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي يرحم بها عبده زكريا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً﴾ مشتتلاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ أي: سراً جوف الليل؛ لأنه أسرع إلى الإجابة وإن كان الجهر والإخفاء عند الله سيان، وقيل: أخفاه لئلا يلام على

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥ / ٢٥٦).

طلب الولد في زمن الشيخوخة، وقيل: أسره من مواليه الذين خافهم، وقيل: خفت صوته لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات، وكون الإجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء فيها فيكون النداء فيها خفياً.

﴿إِنِّي وَهَنَ﴾ أي: ضعف جداً ﴿أَلْعَظُمُ مِنِّي﴾ أي: هذا الجنس الذي هو أقوى ما في بدني ولو جمع لأوهم أنه وهن مجموع عظامه لا جميعها وقوله: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ أي: مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل أي: انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائباً فيما مضى فلا تخيبي فيما يأتي وإن كان ما أدعو به في غاية البعد في العادة لكنك فعلت مع أبي إبراهيم مثله فهو دعاء وشكر واستعطاف، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب كبني العم أن يسيئوا الخلافة ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي: في بعض الزمان الذي بعدي ﴿وَكَاَنَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد أصلاً بما دل عليه فعل الكون ﴿فَهَبْ لِي﴾ أي: فتسبب عن شيخوختي وضعفي وتعويذك لي بالإجابة وخوفي من سوء خلافة أقاربي ويأسي عن الولد عادة بعقم امرأتي وبلوغي من الكبر حدّاً لا حراك بي معه أني أقول لك: يا قادر على كل شيء هب لي ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من الأمور المستبطنة المستغربة التي عندك لم تجربها على مناهج العادات والأسباب المطردات ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ابناً من صليبي ﴿يَرِثُنِي﴾ في جميع ما أنا فيه من العلم والنبوة والعمل ﴿وَيَرِثُ﴾ زيادة على ذلك ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ جزءاً مما خصصتهم به من المنح وفضلتهم به من النعم ومحاسن الأخلاق ومعالي الشيم فإن الأنبياء لا يورثون المال، وقيل: يرثي العلم ويرث من آل يعقوب النبوة ولفظ الإرث يستعمل في المال وفي العلم والنبوة، أما في المال فلقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>،

وأما في النبوة فلقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال -ﷺ- «العلماء ورثة الأنبياء، ولأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافٍ»<sup>(٢)</sup>، وخص اسم يعقوب اقتداءً به نفسه إذ قال ليوسف - عليه السلام - : ﴿وَيْتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٣)</sup>، ولأن إسرائيل قد صار علماً على الأسباط كلهم وكانت قد غلبت عليهم الأحداث، ولما كان من قضاء الله تعالى وقدره أن يوجد يحيى نبياً صالحاً ثم يقتل استجيب دعاء زكريا في إيجاده دون إرثه. ولما ختم دعاءه بقوله: ﴿وَجَعَلَهُ رَبِّ أَي: أيها المحسن إليَّ ﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك<sup>(٤)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان في هذه القصة ما جرى لنبي الله زكريا عليه السلام، ودعائه ربه أن يرزقه الولد ليرثه العلم والنبوة، وقد ذكر أبو السعود أن نبي الله زكريا خاف من بني عمومته أن يرثوه؛ لأنهم أشرار ليسوا أهلاً لذلك، بينما ذكر الشرييني أنه خاف من بني عمه أن يسيئوا الخلافة من بعده، وقد ذكر الطبري الموالى بالعصبية والعشيرة، ولم يذكر شرهم<sup>(٥)</sup>، وكذلك ذكر ابن الجوزي<sup>(٦)</sup> خوفه من تضييعهم للدين أو من وراثة ماله، وهو لا يجوز لهم، بينما ذكر أبو السعود أن الأنبياء لا يُورثون المال، وذكر الشرييني الوراثة شاملة للدين والمال، بينما أنكر ابن كثير من قال بوراثة المال؛ لأنه أعظم منزلة

١ . سورة غافر: الآية: ٥٣.

٢ . سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم (٢٦٨٢)، (٤٨/٥)، وسنن ابن ماجه، لابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٣)، (٨١/١)، وسنن أبي داود، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، (٣١٧/٣).

٣ . سورة يوسف: الآية: ٦.

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٤١٤).

٥ . جامع البيان، للطبري، (١٨/ ١٤٤).

٦ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣/ ١١٨).

وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله، وأنه كان نجارًا يأكل من كسب يده، والنبي لا يجمع مالاً؛ لأنه أزهّد الناس بالدنيا، وذكر أن الأنبياء لا يُورثون<sup>(١)</sup>.

والراجح في نظر الباحث: ما ذكره أبو السعود في تخصيص من يرث من بعده، لأن تحديد الشر في من يخلفه أمر غير مقبول من نبي من حيث توقعه، وأما تخصيص ما يرث فالراجح فيه أنه النبوة والعلم لا المال؛ لأن المال لا يكون همًّا عند الأنبياء، فهم أعبد الناس لله، وأزهدهم في أمور الدنيا، وكذلك ما يتركه الأنبياء يكون صدقة ولا يورث، وفي الحديث: «لا نورث ما تركناه صدقة»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: قصة إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾<sup>(٥١)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والافتقار على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إيتائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام، وقيل من قبل استنبائه أو قبل بلوغه ويأباه المقام ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: بأنه أهل لما آتيناه وفيه من الدليل على أنه تعالى عالم بالجزئيات

١ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٢١٢).

٢ . صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، برقم (٤٦٧٦)، (٥/ ١٥١).

٣ . سورة الأنبياء: الآية: ٥١-٥٦.

مختار في أفعاله ما لا يخفى، ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ لتقف على كمال رشدته وغاية فضله والتماثل اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلّاق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سأله عن أصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف مع إحاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصدا إلى تحقيرها وإذلالها وتوبيخها لهم على إجلالها ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه - عليه السلام - إياهم بالعكوف لها، كأنه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا إلى التقليد فأبطله - عليه السلام - على طريقة التوكيد القسمي حيث ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ عجيب لا يقادر قدره ﴿ مُبِينٍ ﴾ أي: ظاهر بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك، ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم، أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده إلى دليل ما، والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة، ﴿ قَالُوا ﴾ لما سمعوا مقالته - عليه السلام - استبعاداً لكون ما هم عليه ضلالاً وتعجباً من تضليله - عليه السلام - إياهم بطريق التوكيد القسمي، وتردداً في كون ذلك منه - عليه السلام - على وجه الجد ﴿ أَجِئْنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالجد ﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴾ فنقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح، وفي إيراد الشق الأخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيداناً برُجحانه عندهم ﴿ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أي: العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وإثباته بها كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشرييني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ بما لنا من العظمة ﴿إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: صلاحه وهدهاء ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون ومحمد -ﷺ- عليهم وقيل: من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال: إني وجهت وجهي ﴿وَكُنَّا بِهٖ﴾ ظاهراً وباطناً ﴿عَلَمِينَ﴾ بأنه أهل لما آتيناؤه لأنه جبلة خير جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق والخصال يدوم على الرشد ويترقى فيه إلى أعلى درجاته لما طبعناه عليه، وفي ذلك إشارة إلى أنه فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات.

وتعليق ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ بعالمين إشارة إلى أن قوله لما كان باذن منا ورضا لنا نصرناه وهو وحده على قومه كلهم، ولو لم يكن يرضينا لمنعناه منه بنصر قومه عليه وتمكين النار منه، ثم ذكر مقول القول في قوله: منكرًا عليهم محقرًا لأصنامهم ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ أي: الصور التي صنعتوها مماثلين بها ما فيه روح الله جاعلين لها ما لا يكون إلا لمن لا مثل له وهي الأصنام ﴿أَلَيْسَ أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: لأجلها وحدها مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها ﴿عَاكِفُونَ﴾ أي: مقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك فانظر ما أقبح التقليد وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حتى استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرته مذهبهم ومجادلون أهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد مسبة أن عبدة الأصنام منهم والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق.

ولذا ﴿قَالَ﴾ إبراهيم -ﷺ- ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ﴾، وأكده بقوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ لأجل صحة العطف لأن الضمير المرفوع المتصل حكمه حكم جزء الفعل والعطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه كقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أي: من قبلكم ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فبين أن المقلدين والمقلدين جميعاً

منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستتاد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالاً بقوا متعجبين من تضليله إياهم، فلذا ﴿قَالُوا﴾ ظناً منهم أنه لم يقل لهم ذلك على ظاهره ﴿أَجِئْتَنَا﴾ في هذا الكلام ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي يطابقه الواقع ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ أي: تقوله على وجه المزاح والملاعبة لا على وجه الجد.

﴿قَالَ﴾ -عليه السلام- بانياً على ما تقديره ليس كلامي لعباً بل هو جد وهذه التماثيل ليست أرباباً ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي يستحق منكم اختصاصه بالعبادة ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مدبرهن القائم بمصالحهن ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن على غير مثال سبق وأنتم وتماثيلكم بما فيهما من مصنوعاته أنتم تشهدون بذلك إذا رجعتم إلى عقولكم مجرّدة عن الهوى وقيل: الضمير في فطرهنّ للتماثيل قال الزمخشري: وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الأمر البين من أنه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: الذين يقدرّون على إقامة الدليل على ما يشهدون به لم يشهدوا إلا على ما هو عندهم مثل الشمس<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان معالم هذا المشهد من قصة إبراهيم -عليه السلام-، وبينّا اختيار الله لنبيه إبراهيم، وعلمه سبحانه الأزلي المسبق في الاختيار من قبل، وهنا ذكر الإمامان أن ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ معناها: من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة، حيث رجحه أبو السعود

على قول من قال: من قبل استنبأه، أو قبل بلوغه، وكذلك رجحه ابن عطية<sup>(١)</sup>، بينما ذكره الشرييني دون ترجيح، وكذلك البغوي<sup>(٢)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٣)</sup>.

والذي يراه الباحث في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أن المراد به: من قبل الرسل، أي: موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو القائل سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر الإمامان تمام الآيات بمعنى متقارب مع اختلاف اللفظ.

---

١ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤ / ٨٦).

٢ . معالم التنزيل، للبغوي، (٥ / ٣٢٢).

٣ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٤ / ٣٤٣).

٤ . الأنعام: الآية: ١٢٤.

## المطلب الثاني:

### آيات قصص القرآن

#### أولاً: قصة ذي القرنين:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّقْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ ۖ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْيَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ۞ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَذَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ ۝٩٤﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّقْنَيْنِ﴾ هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سألوه قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين ﴿قُلْ﴾ لهم في الجواب ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: سأذكر لكم ﴿مِنْهُ﴾ أي: من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا﴾ أي نبأ مذكور أو حيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله - عز وجل - سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرا أي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقيق المناسب لمقام تأييده - عليه الصلاة والسلام - وتصديقه بإنجاز وعده أي لا أترك التلاوة البتة، ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ إنا

جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومدّ له في الأسباب وبسط له النور ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أرادته من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه ﴿سَبَبًا﴾ أي: طريقا يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة ﴿فَاتَّبَعَ﴾ بالقطع أي فأراد بلوغ المغرب فأتبع ﴿سَبَبًا﴾ يوصله إليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي: منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر ﴿وَجَدَهَا﴾ أي: الشمس ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: ذات حمأة<sup>(١)</sup> ﴿وَوَجَدَعِنْدَهَا﴾ عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيرهم الله جل ذكره بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان ﴿فَلَنَأْيِذَ الْقَرْنَيْنِ إِمَّاءً أَنْ تُعَذِّبَ﴾ بالقتل من أول الأمر ﴿وَأَمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: أمرا ذا حسن ﴿قَالَ﴾ أي: ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ فيها ﴿عَذَابًا نَّكَرًا﴾ أي: منكرا فظيعا وهو عذاب النار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ بموجب دعوتي ﴿وَعَمِلَ﴾ عملا ﴿صَالِحًا﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ﴾ في الدارين ﴿جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى أو الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ أي: مما نأمر به ﴿يُسْرًا﴾ أي: سهلا متيسرا غير شاق ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا إلى مشرقها ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولا من معمورة الأرض ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ من اللباس والبناء قيل هم الزنج قيل أن

١ . الحمأة: هي الطين الأسود من حمئت البئر إذا كثرت حماتها، انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود،

أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الأسباب والعدد والعدد ﴿خُبْرًا﴾ يعني أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقا ثلثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب إلى الشمال ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: من ورائهما مجاوزا عنهما ﴿قَوْمًا﴾ أي: أمة من الناس ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم واختلفوا في أنهم من أي الأقسام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ من أولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب وأضراس كالسباع ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يباسا إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس أيضا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جعلنا من أموالنا... القصة<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشريفي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود وقيل: مشركو مكة ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ وذكروا في سبب تسميته أنه انقضى في وقته قرنان من الناس ﴿قُلْ﴾ أي: لهؤلاء المتعنتين ﴿سَأَتْلُو﴾ أي: أقص قصا متتابعًا في مستقبل الزمان أعلمني الله

تعالى به ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: أيها البعداء، والضمير في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ لذي القرنين وقيل لله تعالى ﴿ذِكْرًا﴾ أي: خبرا كافيا لكم في تعرف أمره جامعا لمجامع ذكره، ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مكنا له أمره من التصرف فيها مكنة يصل بها إلى جميع مسالكها ويظهر بها على سائر ملوكها ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ بعظمتنا ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في ذلك ﴿سَبَبًا﴾ أي: وصله توصله إليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طريقا نحو المغرب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾ في ذلك السير ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي: موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: ذات حمأة وهي الطين الأسود أي: بلغ موضعا في الغرب لم يبق بعده شيء من العمران وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة وغروبها في رأي العين كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر وإلا فهي أكبر من الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض، ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على كفرهم ﴿وَأِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ﴾ أي: بغاية جهدك ﴿فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالإرشاد وتعليم الشرائع، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترفق، وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدر وهو العذاب المنكر ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ أي: شديدا جدا في النار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ تصديقا لما أخبر به من تصديقه ﴿فَلَهُ﴾ في الدارين ﴿جَزَاءٌ أَحْسَنُ﴾ أي: الجنة ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾ في مسيره ذلك ﴿مَطْعَ الشَّمْسِ﴾ أي: الموضع الذي تطلع عليه أولا من المعمور من الأرض ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ قال الجلال المحلي<sup>(١)</sup>: هم الزنج وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِتْرًا﴾ فيه قولان، الأول: أنه لا شيء لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم لأن أرضهم لا تحمل بنيانا، قال الرازي: ولهم سرور يغيبون فيها عند طلوع الشمس

ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق والثاني: أن معناه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبدا ﴿كَذَلِكَ﴾ فيه وجوه؛ الأول: أن معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، الثاني: أن أمره كما وصفناه من رفعة المكان وبسطة الملك ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾ أي: علما تعلق بظواهره وخفائيه والمعنى أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير ﴿أَتَبَعَ سَبَبًا﴾ آخر من جهة الشمال في إرادة ناحية السد مخرج يأجوج ومأجوج واستمر آخذا فيه ﴿بَيْنَ السَّيِّئِينَ﴾ أي: بين الجبلين وهما جبلا أرمينية وأذربيجان وقيل غيره<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان قصة ذي القرنين ولم يذكر سبب النزول، وهو أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين كما ذكرها الآلوسي<sup>(٢)</sup>، والطبري<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: واختلفوا في ذي القرنين اختلافا كثيرا فقليل: هو الإسكندر بن فيلقوس الذي ملك الدنيا بأسرها اليوناني باني الإسكندرية، وقال ابن إسحاق: هو رجل من أهل مصر، اسمه مرزيان بن مردبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح، وقيل: هو ملك اسمه هرمس، وقيل: ملك اسمه هرديس، وقيل: شاب من الروم، وقيل:

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٤٠٥).

٢ . روح المعاني، للآلوسي، (٨/ ١٨٩).

٣ . جامع البيان، للطبري، (١٧/ ٥٤٣).

كان نبياً، وقيل: كان عبداً صالحاً، وقيل: اسمه عبد الله بن الضحاك، وقيل: مصعب بن عبد الله، من أولاد كهلان بن سبأ<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: وكان عبداً ناصح الله فناصره، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنيه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنيه فمات، فسمي ذا القرنين وقال بعضهم: ملك الروم وفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين، وقال آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس<sup>(٢)</sup>.

وذكر الخطيب الشربيني أنه سمي بذلك في أقوال منها: الأول: أن قومه ضربوه على قرنيه حتى مات، الثاني: أنه انقرض في وقته قرنان من الناس، الثالث: أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، الرابع: كان على رأسه ما يشبه القرنين، الخامس: كان لتاجه قرنان، السادس: أنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها، السابع: كان له قرنان أي: ضفيري<sup>(٣)</sup>، ولم يذكر أبو السعود ذلك، وإنما ذكر ذلك ابن كثير<sup>(٤)</sup>، والشوكاني<sup>(٥)</sup>، وسئل علي - عليه السلام - عن ذي القرنين: أكان نبياً أم ملكاً؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً<sup>(٦)</sup>.

### ثانياً: حديث الإفك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أي: بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل: البُهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الإفك، وهو القلب

١ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٣٦٢).

٢ . جامع البيان، للطبري، (١٨/ ٩٣).

٣ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٤٠١).

٤ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ١٨٩).

٥ . فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٣٦٢).

٦ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٤٠١).

٧ . سورة النور: الآية: ١١.

لأنه مأفوكٌ عن وجهه وسننه، والمرادُ به ما أفكَ به الصَّدِيقَةُ أمُّ المؤمنين - رضي الله عنها -، وفي لفظ المجيء إشارةٌ إلى أنَّهم أظهرُوه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصلٌ، وذلك أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أرادَ سفرًا أقرعَ بين نساءه فأَيَّتُهُنَّ خرجتُ قرعَتُها استصحَبَها، قالت عائشةُ - رضي الله عنها - : فأقرعَ بيننا في غزوةِ غزاهَا، قيلَ: غزوةُ بني المُصطلق، فخرجَ سهمي فخرجتُ معه - عليه السَّلامُ - بعد نزولِ آيةِ الحجابِ، فحُمِلت في هودجٍ فسرنا حتَّى إذا قفلنا ودنونا من المدينةِ نزلنا منزلًا، ثم نُودي بالرحيل فقمْتُ، ومشيتُ حتَّى جاوزتُ الجيشَ، فلمَّا قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رَحلي فلمستُ صدري فإذا عِقدِي من جَزَعِ ظَفَارٍ قد انقطعَ، فرجعتُ فالتمسْتُه فحبسني ابتغاهُ، وأقبلَ الرَّهطُ الذين كانوا يُرحلون بي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أنَّي فيه لُحقتي، فلم يستكروا خفةَ الهودجِ، وذهبوا بالبعيرِ، ووجدتُ عِقدِي بعدما استمرت الجيشُ فجئتُ منازلهم، وليس فيها داعٍ ولا مجيبٌ، فتيمنتُ منزلي، وظننتُ أنَّي سيفقدونني، ويعودون في طَلبي، فبينما أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني عيني فمِتُ، وكان صفوانُ بنُ المُعطلِ السُّلَميُّ<sup>(١)</sup> من وراءِ الجيشِ، فلمَّا رآني عرفني فاستيقظتُ باسترجاعه، فخمَرْتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمةٍ، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، وهوى حتَّى أناخَ راحلتهُ فوطئَ على يديها فقمْتُ إليها فركبْتُها، وانطلقَ يَعودُ بي الرَّاحلةُ حتَّى أتينا الجيشَ مُوغرينَ في نحرِ الظَّهيرةِ، وهُم نزلُ وافتقدني النَّاسُ حينَ نزلُوا، وماجَ القومُ في ذكرِي فبينما النَّاسُ كذلك، إذ هجمتُ عليهم فخاضَ النَّاسُ في حديثي، فهلِكَ مَنْ هَلِكَ<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿عَصَبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي: جماعةٌ، وهي من العشرةِ إلى الأربعينَ، وكذا العِصابةُ، وهُم عبدُ الله بنُ أبي، وزيدُ بنُ رفاعَةَ، وحسانُ بنُ ثابتٍ، ومسطحُ بنُ أثانة، وجمنةُ بنتُ جحشٍ ومن ساعدهم، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾: استئنافٌ خُوطب به رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ وعائشةُ

١ . هو صفوان بن المعطل بن رحيضة السلمي الذكواني كنيته أبو عمرو وهو الذي رميت عائشة به حتى برأها الله من فوق سبع سماوات وأنزل الله في براءتها آيات قتل صفوان غازيا سنة تسع عشرة، (توفي سنة: ٦٠هـ)، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، (٣/٣٥٦-٣٥٨).

٢ . صحيح البخاري، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، برقم (٢٦٦١)، (٦/٥٣٩).

وصفوان - تسليّة لهم من أول الأمر، والضّمير للإفك ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثّواب العظيم، وظهور كرامتكم على الله - ﷻ - بإنزال ثمانى عشرة آية في نزاهة ساحتكم، وتعظيم شأنكم، وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم، والثّناء على من ظنّ بكم خيراً، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من أولئك العُصبة، ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ بقدر ما خاض فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ أي: معظّمه، ﴿مِّنْهُمْ﴾ من العُصبة، وهو ابنُ أبي، فإنّه بدأ به، وأذاعه بين النّاسِ عداوةً لرسول الله - ﷺ - وقيل: هو وحسّانُ ومسطحُ، فإنّهما شايعاه بالتّصريح به، فإفراد الموصول حينئذٍ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما، ﴿لَهُ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة أو في الدّنيا أيضاً، فإنّهم جلدوا، وردّت شهادتهم، وصار ابنُ أبي مطروداً مشهوداً عليه بالنّفاق، وحسّانُ أعمى، وأشلّ اليدين، ومسطحُ مكفوف البصر، وفي التّعبير عنه بالذي وتكرير الإسناد وتتكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشّربيني: "قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أي: أسوأ الكذب سمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق من قولهم: أفك الشيء إذا صرفه عن جهته، وذلك أن عائشة - رضي الله تعالى عنها - وعن أبيها كانت تستحق الثّناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف والعفة والكرم، فمن رماها بسوء فقد قلب الأمر عن أحسن وجوهه إلى أقبح إفضائه.

فإن قيل: لم ترك تسميتها؟ أجيب: بأنه تركه تنزيهاً لها عن هذا القول، وإبعاداً لصون جانبها العلي عن هذا المراد، وقوله تعالى: ﴿عُصْبَةُ﴾ أي: جماعة أقلهم عشرة وأكثرهم أربعون، وكذا العصابة، وقوله تعالى: ﴿مِّنْكُمْ﴾ خطاب للنبي - ﷺ - وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن يعد عندكم في عداد المسلمين، يريد عبد الله بن أبيّ وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثّانة وحمّنة بنت جحش ومن ساعدهم، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ أي: لا تتشأ عنه فتنة، ولا يصدقه أحد، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١٦٠-١٦١).

لَكُمْ ﷻ لاكتسابكم به الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة، وظهور كرامتكم على الله تعالى بإنزال ثمان عشرة آية في براءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسليية له، وتبرئة لأم المؤمنين رضوان الله تعالى عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها، ولما كان لا شفاء لغيظ الإنسان أعظم من انتصار الملك الديان له؛ علل ذلك بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: الآفكين ﴿مَا أَكْتَسَبَ﴾ أي: بخوضه فيه ﴿مِنَ الْإِثْمِ﴾ الموجب لشقائه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ أي: معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الخائضين، وهو ابن أبي، فإنه بدأ به، وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ أو هو وحسان ومسطح، فإنهما تابعا بالتصريح به، والذي بمعنى: الذين على هذا، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا، وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى أشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر <sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

نلاحظ في تفسير هذه الآية أن الإمامين الجليلين يتفقان في كثير من المعاني سواء من حيث سبب النزول، أو من حيث أسماء الذين رموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها، أو من حيث تفسير كلمة الإفك، أو من حيث تفسير كلمة عصابة، وغير ذلك من المعاني التي اتفقا عليها عند تفسير الآية، ومع ذلك نجد أن أبا السعود تميز بأن ذكر أن كلمة ﴿جَاءُوا﴾ تعني أنهم اختلقوا هذا الحديث كذباً وإفكاً، من غير أن يكون له أي أساس في الواقع، وهو استخلاص ينم عن عقلية أبي السعود القادرة على الاستنباط من سياق الألفاظ ودلالاتها.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٦٠٤).

أما الخطيب الشربيني فقد استتبط أن الغرض من ترك تسمية السيدة عائشة - رضي الله عنها - هو التتزيه، كما تميز أيضاً بأن أورد حديث الإفك كاملاً وإفياً، وذكر أن القصة شهيرة في الصحيح وفي السنن، ولكن لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في نقل القصة، ومما تميز به أيضاً أنه شرح الغريب من الألفاظ الواردة في الرواية.

وعلى كل فقد ذكر هذه الرواية كل من الطبري<sup>(١)</sup>، وابن كثير<sup>(٢)</sup>، وإليها أشار ابن الجوزي<sup>(٣)</sup>، والقاسمي<sup>(٤)</sup>.

ومع هذا كله فهناك من ينتسب إلى الإسلام ويدعي أنه من المسلمين، ويزعم أنه من أولى الناس برسول الله - ﷺ - ومع ذلك يخوض مع الخائضين، ويرمي أم المؤمنين عائشة بما برأها الله تعالى منه، ولا ندري ماذا يقول في هذا النص الصريح الذي لا يحتمل التأول، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

١ . جامع البيان، للطبري، (١٩ / ١١٩).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٢٦).

٣ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣ / ٢٨٢).

٤ . محاسن التأويل، للقاسمي، (١ / ٤٤٧).

## **المبحث الثالث: آيات الأمثال.**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: التعريف بالأمثال القرآنية.**

**المطلب الثاني: آيات الأمثال.**

## المطلب الأول:

### التعريف بالأمثال القرآنية

مثل: كلمة تسوية، يقال: هذا (مثله)، و(مثله)، كما يقال: شبهه، وشبهه.  
و(المثل): ما يضرب به من (الأمثال)<sup>(١)</sup>.

وهو قول محكي سائر، يقصد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله<sup>(٢)</sup>.

قال الزركشي<sup>(٣)</sup>: وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقدير وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم

---

١ . مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)

تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ، ص ٢٩٠.

٢ . مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٩١.

٣ . هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد، توفي (سنة: ٧٩٤هـ)، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) ثلاث مجلدات في أصول الفقه، و (إعلام الساجد بأحكام المساجد) و (الديباج في توضيح المنهاج - خ) فقه، و (مجموعة) فقه، و (المنثور) يعرف بقواعد الزركشي في أصول الفقه، و (التنقيح لالفاظ الجامع الصحيح) و (ربيع الغزلان) أدب و (عقود الجمان، ذيل وفيات الأعيان)، انظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهابي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهابية (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، (١٦٧/٣)، والأعلام، للزركلي، (٦١-٦٠/٦).

الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ  
الْأَمْثَالَ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وقال السيوطي: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً فما اشتمل منها  
على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على  
الأحكام<sup>(٣)</sup>.

وقال: وأمثال القرآن، قسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه، فمن  
أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾<sup>(٤)</sup> ضرب الله فيها للمنافقين  
مثلين، مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر، وأما الكامنة مثل قوله تعالى: ﴿لَا فَاْرِضُ وَلَا يَكْرَهُ  
عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ  
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(٦)</sup> (٧).

وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس  
له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي  
إعجازه<sup>(٨)</sup>.

وأغراض ضرب الأمثال في القرآن لا تنحصر، لكنها تُردُّ في جملة إلى مقصد واحد،  
وهو بيان الحق الذي جاءت به الرسل لهداية الخلق، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده،

١ . سورة إبراهيم: الآية: ٤٥ .

٢ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١ / ٤٨٦).

٣ . الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٤ / ٤٤).

٤ . سورة البقرة: الآية: ١٧ .

٥ . سورة البقرة: الآية: ٦٨ .

٦ . سورة الفرقان: الآية: ٦٧ .

٧ . معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار  
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، (١ / ٣٥٥).

٨ . مباحث في علوم القرآن، لمناح القطان، ص ٢٩٠.

والانقياد لطاعته -ﷺ-، وذلك بوضع منهج متكامل روعيت فيه مصالح العباد في العاجل والآجل<sup>(١)</sup>، « وقد أكثر الله تعالى من الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، كما استعملها الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة، واستعان بها الداعون إلى الله تعالى في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة وكذلك ليستعين بها المربون ويعتبرونها من وسائل جذب الانتباه والإيضاح والتشويق، ليتمكنوا من إيصال ما يريدون إيصاله إلى المستمع، وذروة هذا كله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) ﴿٢﴾ (٣).

---

١ . دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، ص ٣١٠.

٢ . سورة الزمر: الآية: ٢٧.

٣ . نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد معبد، ص: ١١٣.

## المطلب الثاني:

### آيات الأمثال

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۗ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾ أي بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير في الأمصار والأعصار أو جعل الله مثل أي مثل في استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للأصنام ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى ﴿لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الخ بيان للمثل وتفسير له على الأول وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثل الله سبحانه في استحقاق العبادة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ أي: لن يقدروا على خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كأنه قيل لن يخلقوا ذباباً على كل حال ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أي إن يأخذ الذباب منهم شيئاً ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في إشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المنفرد

بإيجاد كافة الموجودات تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الأحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ أي: عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام الشرييني:** ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾ حاصله أن من عبدتموه من الأصنام أحقر منكم ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ أي: أنصتوا ﴿لَهُ﴾ وتدبروه، ثم فسر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون وتدعونهم في حوائجكم وتجعلونهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الملك الأعلى من هذه الأصنام التي أنتم بها مغترون ﴿لَنْ يَخْلُقُوا دُبَابًا﴾ أي: لا قدرة لهم على ذلك في زمن من الأزمان على حال من الأحوال مع صغره فكيف بما هو أكبر منه ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا﴾ أي: الذين زعمتموهم شركاء ﴿لَهُ﴾ أي: الخلق فهم في هذا أمثالكم. فيستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بخداعه حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذلّه وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الدُّبَابُ﴾ أي: الذي تقدّم أنهم لا قدرة لهم على خلقه، وهو غاية في الحقارة ﴿

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٢٠).

شَيْئًا ﴿ أَي: من الأشياء جل أو قل ﴾ ﴿ لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ لعجزهم، فكيف يجعلونهم شركاء لله؟ هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب مثل. وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل، ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. وعن ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآلئ، وأنواع الجواهر ويطيبونها بألوان الطيب فرما يسقط شيء منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده منه ﴿ ضَعَفَ الطَّالِبُ ﴾ قال الضحاك: هو العابد ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ المعبود، وقال ابن عباس -~~رحمه الله~~: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم، والمطلوب هو الصنم، وقيل: على العكس الطالب الصنم، والمطلوب الذباب، أي: لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان الكريمان في هذه الآية المثل الذي ضربه الله للمشركين واعتقادهم في ما يعبدون من غير الله، وأن فيه الضر والنفع، على الرغم من أن هذه المعبودات لا تملك ضرراً ولا نفعاً، وأن من عبدها من دون الله، وعلق عليها الآمال، واعتقد أنها تضر أو تنفع، فقد خاب وخسر لأن هذه المعبودات لا تملك شيئاً، ولا تستطيع أن تخلق ولو ذبابة؛ بل وأبعد من ذلك أن هذه المعبودات لا تستطيع استرجاع ما أخذه الذباب منها، ولو اجتمعت كل المعبودات فلن تستطيع ذلك.

بهذا المثل تحدى الله المشركين، وهو تعبير عن ضيق تفكيرهم، وضعف معبودهم، وهذا المعنى ذكره الطبري<sup>(٢)</sup> وابن كثير<sup>(٣)</sup>، وابن جزي<sup>(٤)</sup>، بينما نقل ابن الجوزي عن الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس ها هنا مثل، وإنما

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٥٦٥).

٢ . جامع البيان، للطبري، (١٨/ ٦٨٥).

٣ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٤٥٣).

٤ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٢/ ٤٦).

المعنى: يا أيها الناس ضرب مثل، أي: شبهت بي الأوثان فاستمعوا لهذا المثل.  
وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها<sup>(١)</sup>.

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ  
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا  
شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ  
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾؛ أي: نوره الفاضل منه تعالى  
على الأشياء المستتيرة به، وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته  
بالإنزال والتبيين، وقد صرح بكونه نورا أيضا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا  
مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، وبه قال ابن عباس، وجعله عبارة عن الحق، وإن شاع استعارته له  
كاستعارة الظلمة للباطل، والمراد بالمثل الصفة العجيبة، أي: صفة نوره العجيبة،  
﴿كَمِشْكَوْفٍ﴾ أي: كصفة كوة نافذة في الجدار في الإنارة والتتوير، ﴿فِيهَا  
مِصْبَاحٌ﴾: سراج ضخم ثاقب، وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح:  
الفتيلة المشتعلة، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي: قنديل من الزجاج الصافي الأزهر،  
﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته، ودراري  
الكواكب عظامها المشهورة، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾ أي: يبتدأ بإقاد المصباح من  
شجرة، ﴿مُبْرَكَةٍ﴾ أي: كثيرة المنافع بأن رويت ذبالبته بزيتها، وقيل: إنما وصفت  
بالبركة لأنها تتبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين، ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ في

١ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣ / ٢٥٠).

٢ . سورة النور: الآية: ٣٥.

٣ . سورة النساء: الآية: ١٧٤.

إيهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال منها تفخيم لشأنها، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة أو صحراء واسعة، فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب، وهذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وسعيد بن جبير<sup>(١)</sup> وقتادة<sup>(٢)</sup>، وقال الفراء<sup>(٣)</sup> والزجاج<sup>(٤)</sup>: لا شرقية وحدها، ولا غربية وحدها، لكنها شرقية وغربية؛ أي: تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضواً، وقيل: لا ثابتة في شرق المعمورة، ولا في غربها، بل في وسطها، وهو الشام، فإن زيوتها أجود ما يكون، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي: هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلاً، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: ذلك النور الذي عبر به عن القرآن، ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله، ولا عن مجموع نورين اثنين فقط؛ بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين، وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة، فإن المصباح إذا كان في مكان متضائق كالمشكاة كان أضواً له وأجمع لنوره؛ بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع؛ بخلاف المكان المتسع، فإن الضوء ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على الزيادة في الإنارة، وكذلك الزي وصفاءه، وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها إشراقاً ويمده بإضاءة مرتبة أخرى عادة، هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن، وإظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره، وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره - ع -، ﴿مَنْ يَشَأْ﴾ هدايته من عبادته بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل

١ . سبقت ترجمته، ص ١٦٩.

٢ . سبقت ترجمته، ص ١٢٣.

٣ . سبقت ترجمته، ص ١٢٤.

٤ . سبقت ترجمته، ص ١٢٦.

حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الإعجاز والإخبار عن الغيب، وغير ذلك من موجبات الإيمان به، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ في تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم، فإن له دخلا عظيما في باب الإرشاد لأنه إبرار للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لأوابد المعاني بصورة المأنوس، ولذلك مثل نوره المعبد به عن القرآن المبين بنور المشكاة وإظهاره الاسم الجليل في مقام الإضمار للإيدان<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الشرييني:** اختلف في معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ فقال ابن عباس-رضي الله عنه: مثل نوره الذي أعطى المؤمن؛ أي: مثل نور الله في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال الحسن: أراد بالنور القرآن، وقال سعيد بن جبیر: هو محمد ﷺ، وقيل: أراد بالنور: الطاعة سمي طاعة الله نوراً، وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضلاً أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوَةٍ﴾ أي: كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج ضخيم ثاقب ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي: قنديل من زجاج شامي أزهر وإنما ذكر الزجاج؛ لأن النور وضوء النهار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج.

ثم وصف الزجاج بقوله تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ أي: النور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مضيء شبهها في الضوء بإحدى الدراري من الكواكب الخمسة العظام وهي المشاهير المشتري والزهرة والمريخ وزحل وعطارد، وإن كان الكوكب أكثر ضوء من الدر لكن يفضل الكواكب بصفائه كما يفضل الدر سائر الحب، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي: ابتداء توقده من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت فتيلة المصباح بزيت الشجرة، وهي شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة؛ لأن الزيت يسرج به

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٧٨).

٢ . سورة الزمر: الآية: ٢٢.

ويدهن به وهو أدام وهو أصفى الأدهان وأضوؤها، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ أي: ليست بشرقية وحدها لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هي مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضواً، هذا قول ابن عباس والأكثرين، وقال السدي وجماعة: معناه أنها ليست مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل، والمقناة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان الجليلان في هذه الآية المثل الذي ضربه الله تعالى لبيان الحق، وتمييزه من الباطل ليكون واضحاً، يهتدي به الحيران؛ مثل نور مشكاة فيها مصباح، فيه فتيلة مشتعلة بالضوء عليها زجاج، ويسقى هذا الفتيل بزيت الزيتون المضيء؛ فيكون ضوء من المصباح وضاء، وهذه المشكاة في مكان مرتفع فتُرسل شعاع الضوء في كل اتجاه؛ فيهتدي الساري، ويستأنس المستوحش.

وهذا مثال للحق الذي أنزله الله على رسوله - ﷺ - في ظهوره وبيانه للناس، ونور الله في هذه الآية سواء أكان رسوله الكريم - ﷺ - أم كتابه، فهو إضافة تشريف كناية الله، وبيت الله؛ كما ذكر ابن عطية<sup>(٢)</sup> وإنما ضرب الله المثل لنوره بنور المصباح - وإن كان نور الله أعظم - لأنهم يصلون إلى إدراكه كما قال ابن جزي<sup>(٣)</sup>.

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٦٢٣).

٢ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤/ ١٨٣).

٣ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٢/ ٧٠).

ويجوز إطلاق النور على الله سبحانه على طريقة المدح، ولكونه أوجد الأشياء النيرة، وأوجد أنوارها ونورها كما ذكر الشوكاني<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير: والمشكاة: كوة في البيت، وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نوراً، ثم سماها أنواعاً شتى<sup>(٢)</sup>.

وها نحن نصل إلى خاتمة هذا الفصل والذي تناول الآيات الكونية والقصص والأمثال، فأما الآيات الكونية فقد تمثلت في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وخلق الإنسان والكائنات الأخرى، ونزول المطر، وتصريف الرياح، وخلق البحار وتكوينها، ثم جاءت بعد ذلك آيات القصص والأمثال، وفي كل ذلك نجد الإمامين الجليلين قد جمعا من المفسرين السابقين كثيراً من المعاني، فلهما حظ وافر في الاطلاع، ودراية واسعة، وثقافة جمة، وقد اختارا من كل هذا ما يناسب عصرهما وزمانهما، فجزاهما الله خير الجزاء عن كتاب الله تعالى، وعن الإسلام والمسلمين.

---

١ . فتح القدير، للشوكاني، (٤/ ٣٨).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٥٨).

**الفصل الرابع**  
**علوم القرآن عند الإمامين**  
وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: القراءات القرآنية عند الإمامين.**
- المبحث الثاني: أسباب النزول عند الإمامين.**
- المبحث الثالث: النسخ والمنسوخ عند الإمامين.**

**المبحث الأول:**  
**القراءات القرآنية عند الإمامين.**  
وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالقراءات القرآنية.**  
**المطلب الثاني: القراءات القرآنية عند الإمامين.**

## المطلب الأول:

### التعريف بالقراءات القرآنية

#### تعريف القراءات:

القراءات لغة: عرفها بن فارس<sup>(١)</sup> قائلاً: "القراءات: جمع مفردها قراءة، ومادة (ق.ر.أ) تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع"<sup>(٢)</sup>، بينما ذكر الزبيدي<sup>(٣)</sup> أن القراءات من قرأ يقرأ فهو قارئ، وهم قراء وقارئون، وقرأ الآية من القرآن: أي: تلاها<sup>(٤)</sup>.

أما اصطلاحاً: فقد اختلف جمهور العلماء في ضبطهم لمصطلح القراءات وسأقتصر على ثلاثة أقول هي:

عرفها ابن الجزري<sup>(٥)</sup> بقوله: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزراً لنقله"<sup>(٦)</sup>.

---

١ . هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، (سنة: ٣٩٥هـ)، وإليها نسبته، من تصانيفه (مقاييس اللغة)، وغيرها، انظر: سير اعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (١٠٣/١٧)، والأعلام، للزركلي، (١/١٩٣).

٢ . مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط، بدون، ١٩٧٩م، (٥/٩٧).

٣ . هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق)، ومولده بالهند، (سنة: ١١٤٥هـ) (في بلجرام) ومنشأه في زييد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، توفي بالطاعون في مصر، (سنة: ١٢٠٥هـ)، من كتبه: من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/٧٠).

٤ . تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (١/٣٦٤).

٥ . هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، ولد ونشأ في دمشق، (المتوفى: ٨٣٣هـ)، من كتبه: (النشر في القراءات العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/٤٥).

٦ . النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، (١/١٤٩).

وعرفها الزركشي<sup>(١)</sup>: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، وكيفيةها من تحقيق، أو بشديد وغيرها"<sup>(٢)</sup>.

أما التهانوي<sup>(٣)</sup> فقال: "فالقراءة عند القراء أن يقرأ، سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعاً، أو أداءً بأن يؤخذ عن المشائخ ويقرأ"<sup>(٤)</sup>.

### اقسام القراءات

أقسام القراءات تناولتها كتب متخصصة في القراءات، وإن أغلب هذه التقسيمات بدور حول قسمين كبيرين من حيث القبول و الرد وهما:

١. القراءات المتواترة: وهي ما رواه جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى أن يصل إلى النبي ﷺ، فالقراءة التي يفقد أهم الأركان وهو التواتر لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن<sup>(٥)</sup>.

٢. القراءات الشاذة: وهي التي تعرف بالقراءات المردودة، وهي ما لم يصح سندها عن النبي ﷺ. فقدما صفات القبول، كاتصال السند والعدالة، ويندرج تحت هذا النوع القراءات الضعيفة الأخرى<sup>(٦)</sup>.

أما معايير قبول القراءة فإن علماء القراءات حرصوا على وضع ضوابط للقراءة المقبولة، وقد نحصر كلامهم في ثلاثة ضوابط وهي:

أولها: صحة السند بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه.

---

١ . هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقهاء الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، (المتوفى سنة: ٧٩٤هـ)، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، و(لقطة العجلان)، وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦١/٦).

٢ . انظر: البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧م، (٣١٨/١).

٣ . هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، باحث هندي، له (كشاف اصطلاحات الفنون)، و(سبق الغايات في نسق الآيات)، (توفي سنة: ١١٥٨هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٢٩٥/٦).

٤ . كشاف اصطلاحات الفنون، لتهانوي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط١، بدون، ١٩٦٦م، (١١٥٨/٥).

٥ . انظر: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، بدون، ١٩٧٤، ص١٩٣، ١٩٢، ومناهل الرافان في علوم القرآن، لزرقاني، (٣٧٩/١).

٦ . انظر: مناهل العرفان، لزرقاني، (٣٧٩/١).

ثانيها: موافقة العربية ولو بوجه و هذا الشرط متفق عليه بين الأئمة، ومعنى (و لو بوجه) بوجه من الوجوه الشائعة و لو كان مختلفاً فيه<sup>(١)</sup>.

ثالثها: موافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالاً.

قال أبو عمرو الداني<sup>(٢)</sup>: "أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"<sup>(٣)</sup>.

### صلة القراءات القرآنية بعلم التفسير:

إن الباعث على ضرورة توظيف القراءات القرآنية في التفسير هو تصحيح القراءة لأن أي تحريف للقراءة هو تحريف للفظ القرآني ومن ثم هو تحريف للمعنى، ولقد اعتنى المفسرون قديماً وحديثاً بالقراءات القرآنية لما لها من أهمية في توضيح المعنى. وتبرز أهمية القراءات في علم التفسير كون أن كثيراً ما تضاف معاني جديدة لا تتضمنها القراءة الأخرى الواردة في نفس الآية؛ الأمر الذي يجعل بعض المفسرين يتبنى معنى للآية على وفق قراءة معينة، ويذهب مفسر آخر إلى معنى آخر في الآية لتبينه قراءة أخرى؛ مما يؤدي إلى تنوع المعاني في تفسير الآية الواحدة، وتعدد آراء المفسرين حولها<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال ما سبق يخلص الباحث أن للقراءات بمختلف أنواعها قيمة كبيرة عند المفسرين فكان كلما خفي مدلول آية أو تعذر عليهم الوصول إلى المعنى المراد منها، رجعوا إلى القراءات يلتمسون فيها الكشف عن المعنى.

---

١ . النشر في القراءات العشر، لشمس الدين الجزري، (١/١٥).

٢ . هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، نسبة إلى دانية إحدى مدن الأندلس، القرطبي الأموي بالولاء، المعروف في زمانه بالصيرفي، الإمام العلامة الحافظ شيخ مشايخ المقرئين، دخل المشرق فحج وزار مصر وعاد إلى بلاده فتوفي بها، (سنة: ٤٤٤هـ)، له عدة مؤلفات منها : (التيسير)، و (المقنع)، و (جامع البيان)، و (الوقف والابتداء)، و (البيان في عد آي القرآن)، و (المحكم في النقط)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٢٠٦/٤).

٣ . توجيه مشكل القراءات العشرية والفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً، لداني، ص ٢٦.

٤ . انظر: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، لمحمد أحمد الجمل، رسالة دكتوراه، دار الفرقان الفرقان للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٣٢.

## المطلب الثاني:

### القراءات القرآنية عند الإمامين

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿كَهَيَّعَ ۙ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكَرِيَّا ۚ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: ﴿كَهَيَّعَ﴾ بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال، وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء وبتفخيمهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما، وقرئ بإدغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الشربيني: "وقرأ نافع<sup>(٣)</sup> بإمالة الهاء والياء بين بين وأمالهما محضة شعبة<sup>(٤)</sup> والكسائي<sup>(٥)</sup> وأمال الهاء محضة أبو عمرو<sup>(١)</sup> وابن عامر<sup>(٢)</sup> وحمزة<sup>(٣)</sup>،

١ . سورة مريم: الآية: ١-٢.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٥٢/٥).

٣ . هو الإمام الكبير الحجة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولد سنة: (٧٠هـ)، أصله من أصبهان، كان عالماً بوجوه القراءات متبعاً لآثار الأئمة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، كان صاحب دعاية، طيب الأخلاق، كان زاهداً، جواداً صلى في مسجد الرسول - ﷺ - ستين سنة، قرأ على سبعين من التابعين، وتتلذذ عليه خلق كثير منهم: الإمام مالك بن أنس، وورش وقالون، وغيرهم، توفي سنة: (١٦٩هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، (٣٣٦/٧)، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، ص ١٠٧، وغاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٣٥١هـ، (٢/٣٣٠).

٤ . هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام مولى واصل الأحمد، وكان حنطاً بالنون، اختلف في اسمه على عشرة أقوال، أصحها قولان، كنيته، وما رواه أبو هشام الرفاعي، وحسين بن عبد الأول، أنهما سألاه عن اسمه فقال شعبة، وقال النسائي وغيره: اسمه محمد. وقيل: مطرف. وقيل: رؤية، وسالم وعتيق وعطاء، وحماد، وُلد سنة: (٩٥هـ)، قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم توفي في جمادى الأولى سنة: (١٩٣هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي، (٨٠/١-٨٣).

٥ . هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي كان عالماً بالعربية والقرآن والآثار. قال عبد الرحمن بن موسى: سألت الكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأنني أحرمت في كساء. وقال آخرون: ينسج كساء، أو يجلس في مجلس حمزة، فإذا أراد أن يقرأ فيقول: اعرضوا على صاحب الكساء، فسمي لذلك، وهو أشبه للصواب. قال يحيى بن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي، وكان ينتقل في

وللسوسي<sup>(٤)</sup> في الياء خلاف في الإمالة محضة والفتح، والباقون؛ وهم ابن كثير<sup>(٥)</sup> وحفص<sup>(٦)</sup> بفتحهما بلا خلاف، ولجميع القراء في العين المدّ والتوسط<sup>(١)</sup>.

البلاد، ومات برنوبيه سنة: (١٨٩هـ)، انظر: طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي، (المتوفى: ٧٨٢هـ) تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٨٤/١).

١. هو أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام مقرئ أهل البصرة واسمه زيان على الأصح وقيل العريان وقيل يحيى وقيل محبوب وقيل جنيد وقيل عيينة وقيل عثمان وقيل عياد وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جهم بن خراعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني، ولد أبو عمرو سنة: (٦٨هـ)، و توفي أبو عمرو سنة: (١٥٤هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، لشمس الدين الذهبي، (٥٨/١).

٢. هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم بن داود أبو عيسى ويقال: أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ ضابط محرر حاذق، ولد سنة: (١٣٠هـ)، وعرض القرآن على حمزة وهو أخص أصحابه وأضبطهم وأقومهم بحرف حمزة وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة، عرض عليه خالد بن خالد وغيره قال يحيى بن عبد الملك كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فإذا جاء سليم قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا فقد جاء سليم، توفي سنة: (١٨٨هـ)، انظر: غاية النهاية، لشمس الدين الجزري، (٣١٨/١).

٣. هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميمهم الزيات أحد القراء السبعة، ولد (سنة: ٨٠هـ)، وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، قال يحيى بن معين: سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة، وكان إماما حجة ثقة ثبًا رصيا، فيما بكتاب الله، بصيرا بالفرائض، خبيرا بالعربية، حافظا للحديث، عابدا زاهدا خاشعا قانتا لله ورعا عديم النظير توفي سنة: (١٥٦هـ)، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين الجزري، (٢٦١-٢٦٣)، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي، (١٢١٩/٣).

٤. هو أبو شعيب السوسي صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي الرقي المقرئ قرأ القرآن على اليزيدي، مات في أول سنة: (٢٦١هـ)، وقد قارب تسعين سنة رحمه الله تعالى، انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي، ص ١١٥، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٣٤/١).

٥. هو عبد الله بن كثير أبو معبد المكي الداري، ولد بمكة سنة: (٤٥هـ)، ولقي الكثير من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري وأنس بن مالك، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن السائب ومجاهد بن جبر، روى عنه القراءة إسماعيل القسطنطيني، وحمام بن سلمة، وسفيان بن عيينة، وأبو العلاء بن عمرو، توفي سنة: (١٢٠هـ)، بمكة وحضر جنازته جمع كبير، انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (١٢٠ - ١٢١)، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (٢٩/١).

٦. هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاصري البزاز ويعرف بحفيص، أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، ولد سنة: (٩٠هـ)، قال الداني وهو الذي أخذ قراءة عاصم عن الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ أيضا بها، قال أبو هاشم الرفاعي كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم وقال الذهبي أما القراءة فنقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث قلت يشير إلى أنه تكلم فيه من جهة

## الدراسة:

تبين لنا اختلاف القراء في قراءة: ﴿كَهَيْعَصَ﴾؛ كما ذكره الإمامان أبو السعود والخطيب الشربيني، ونظراً لتوسع القراءات، فإن الباحث يورد القراءات الموافقة والمخالفة للإمامين على النحو الآتي:

الأول: حرفي الهاء والياء قرأت بالإمالة قرأها أبو بكر والكسائي بإمالة فتحة الهاء والياء من ﴿كَهَيْعَصَ﴾ وابن كثير وأبو جعفر<sup>(٢)</sup>، ويعقوب<sup>(٣)</sup> وحفص بفتحهما وابن عامر وحمزة وخلف<sup>(٤)</sup> بفتح الهاء وإمالة الياء، وأبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء. ونافع أمال الهاء والياء بين بين<sup>(٥)</sup>.

الثاني: اختلفوا في ﴿كَهَيْعَصَ﴾<sup>(١)</sup> ذكرُ قرأ ابن كثير بتبيين الدال التي في هجاء صاد وقرأ أبو عمرو ﴿كَهَيْعَصَ﴾<sup>(١)</sup> ذكرُ يدغم الدال في الذال ونافع لا يدغم

---

الحديث توفي سنة: (١٨٠هـ)، انظر: غاية النهاية، لشمس الدين الجزري، (٢٥٥/١)، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (٣٩/١).

١ . السراج المنير، للشربيني، (٤١٣، ٤١٢).

٢ . يزيد بن القعقاع المخزومي، المدني، الإمام الثقة، الضابط، قال ابن الجزري: «كان أبو جعفر تابعياً كبير القدر، انتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة المنورة، توفي سنة: (١٢٨هـ)، انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (١٧٨ / ١)، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (٤٦/١).

٣ . هو الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين. قارئ أهل البصرة في عصره، برع في الإقراء. ولاء البصري، ولد في سنة: (١١٧هـ)، وتوفي سنة: (٢٠٥هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي، ص ٩٤، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (٤٨/١).

٤ . هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدي ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادي، أصله من فم الصلح بكسر الصاد أحد القراء العشرة واحد الرواة عن سليم عن حمزة ولد سنة: (١٥٠هـ)، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، رويناه عنه أنه قال أشكل علي باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته أو قال عرفته مات في جمادى الآخرة سنة: (٢٢٩هـ)، ببغداد، انظر: غاية النهاية، لشمس الدين الجزري، (٢٧٤/١).

٥ . تحرير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (المتوفى: ٨٣٣هـ)، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - الأردن - عمان، ط١، ١٤٢١هـ، ص ٤٥٢.

الدال التي في هجاء صاد في الذال من ﴿ذَكَرُ﴾، وروى عنه بفتح الهاء والياء ويدغم، وروى عن وورش<sup>(١)</sup>، وقالون<sup>(٢)</sup> عن نافع دال الصاد غير مبينة وموضعها ذال ﴿ذَكَرُ﴾<sup>(٣)</sup>، وأبو جعفر ويعقوب وعاصم<sup>(٤)</sup>: يظهر دال الهجاء عند الذال، والباقون يدغمونها<sup>(٥)</sup>.

## الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له، و نافع هو الذي لقّبه به لشدة بياضه، وقد ذكره الذهبي ضمن قراء الطبقة الخامسة، وقال: كان «ورش» أشقر، سمينا، مربوعا، يلبس مع ذلك موقرة، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي سنة: (١٩٧هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي ص ٩١، و النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (١/ ١١٣).

٢ . هو عيسى بن مينا، المدني معلّم العربية، ويكنى أبا موسى، و «قالون» لقب له، يروى أن «نافعا» لقّبه به لجودة قراءته، لأن «قالون» بلسان «الروم»، ولد «قالون» سنة: (١٢٠هـ)، وتوفي بالمدينة المنورة سنة: (٢٢٠هـ)، وكان قالون قارئ المدينة المنورة، ونحويها، وكان أصمّ لا يسمع البوق فإذا قرئ عليه القرآن سمعه، قال قالون: قرأت على نافع قراءته غير مرّة، وكتبها عنه، ذكره الإمام الذهبي ضمن علماء الطبقة الخامسة ضمن القراء الكبار، انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي، ص ٩٣، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (١/ ٢٧).

٣ . السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ، ص ٤٠٦.

٤ . هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهذلة الأسدي مولاهم الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي جلس موضعه ورحل إليه العالم من الأقطار، جمع بين الإتقان والفصاحة والتجويد وحسن الصوت، ويقال: أن بهذلة اسم أمه، وهو مولى لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن قيس بن أسد، مات بالكوفة سنة: (١٢٨هـ)، وهو من التابعين، روى عن أبي رمثة صاحب النبي ﷺ -، وروى عنه من التابعين عطاء بن أبي رباح، وأدرك أربعة وعشرين من الصحابة، وليس أحد من القراء السبعة أكثر رواية للحديث والآثار من عاصم، وكان فصيحاً نحوياً، انظر: شرح طيبة النشر في القراءات، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١/ ١١) وطبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، لعبد الوهاب بن يوسف، (١/ ٨٤).

٥ . تحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين الجزري، ص ٤٥٢.

٦ . سورة طه: الآية: ١٢.

قال الإمام أبو السعود: ﴿طَوَى﴾ بضم الطاء غير منون، وقرئ منوناً، وقرئ بالكسر منوناً وغير منون، فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة، وقيل: هو كثنى الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداعين أو قُدس مرة بعد أخرى<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الشربيني: ﴿طَوَى﴾: قرأه هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير تنوين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة مع العلمية وقيل: لأنه معدول عن طاو فهو مثل عمر للعدل عن عامر وقيل: إنه اسم أعجمي ففيه العلمية والعجمة، والباقون بالتنوين فهو مصروف باعتبار المكان ففيه العلمية فقط وعند هؤلاء ليس بأعجمي<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

يتمثل اختلاف القراءة في هذه الآية في كلمة: ﴿طَوَى﴾، وقد تبين ما نقله الإمامان في قراءة هذه الكلمة، ونورد هنا من وافقهما من القراء أو خالفهما، وذلك على النحو الآتي:

قرأ القراء بضم الطاء<sup>(٣)</sup>، قرأ ابن عامر والكوفيون ﴿طَوَى﴾ هنا وفي النازعات بالتنوين إلا أنه يكسر هناك لالتقاء الساكنين<sup>(٤)</sup>. باعتبار المكان وإعرابه بدل الوادي، والباقون بغير تنوين<sup>(٥)</sup>، حيث قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿طَوَى﴾ بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وأمال أبو عمرو طَوَى بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وأمال أبو

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/٧-٨).

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٥٣).

٣ . الدر النثير والعذب النمير، لعبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي المالقي (المتوفى: ٧٠٥هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، أصل الكتاب: أطروحة دكتوراه للمحقق، دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، ١٤١١هـ، (٣/١٧٤).

٤ . الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ، (٢/٥٥٧).

٥ . شرح طيبة النشر، لابن الجزري، ص ٢٧٣.

عمرو ﴿طَوَى﴾ بين بين وقفاً ووصلاً، وورث كذلك والفتح عنه فيها قليل، وإذا وقف حمزة والكسائي عليها أمالها محضة، والباقون وهم: قالون وابن كثير وابن عامر وعاصم في الوقف بغير إمالة<sup>(١)</sup>.

### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو سعود: قرئ (يوحى) على صيغة الغائب مبنياً للمفعول، وأياً ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورة الوحي<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشربيني: قرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء<sup>(٤)</sup>.

### الدراسة:

يذكر الإمامان في هذه الآية أن كلمة ﴿نُوحِيَ﴾ تقرأ بالنون وكسر الحاء مبنياً للفاعل؛ وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول<sup>(٥)</sup>، أي: (يوحى)، حيث قرأ «حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف» ﴿نُوحِيَ﴾ بنون العظمة، وكسر الحاء، مبنياً للفاعل، وقرأ الباقر «يوحى» بالياء التحتية، وفتح الحاء، مبنياً للمفعول<sup>(٦)</sup>.

---

١ . المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، لعمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشار الشافعي المصري (المتوفى: ٩٣٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٢٤٨.

٢ . سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/٦٣).

٤ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٥٠٢).

٥ . فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، لمحمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، دار البيان العربى - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ، (٣/٤٦٨).

٦ . القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، (١/٣٥١).

وقراءتهم لمناسبة السياق في قوله تعالى قبل في الآية نفسها وما أَرْسَلْنَا و ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ ﴿نُوحِي﴾ والمصدر المنسبك من ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ في محل نصب مفعول، أي: إلا نوحى إليه كونه لا إله إلا أنا، وقرأ الباقون «يوحى إليه» بالياء التحتية، وفتح الحاء، مبنيًا للمفعول، و ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ «يوحى»<sup>(١)</sup>.

### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: ﴿مَنْسَكًا﴾ فُرى بكسر السين أي: موضع نُسْكٍ<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشرييني: قرأ حمزة والكسائي ﴿مَنْسَكًا﴾ هنا وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين فيكون بمعنى الموضع، والباقون بفتحها مصدر بمعنى: النسك<sup>(٤)</sup>.

### الدراسة:

في هذه الآية يتمثل اختلاف القراءات في كلمة: (منسك)، وقد قرأ «حمزة والكسائي وخلف» ﴿مَنْسَكًا﴾ بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها، وهما لغتان بمعنى واحد، ومعناه النسك، والمراد به هنا: الذبح، ويصلح أن يكون اسم مكان، أي: مكان النسك، أو اسم زمان، أي: وقت النسك، والفتح هو القياس، والكسر سماعي<sup>(٥)</sup>.

### الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، للمحيسن، (٢/ ٣٣٢)

٢ . سورة الحج: الآية: ٣٤.

٣ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٠٦).

٤ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٥٥٢).

٥ . القراءات وأثرها في علوم العربية، للمحيسن، (١/ ٢٥٣).

٦ . سورة المؤمنون: الآية: ٢٠.

قال الإمام أبو السعود: ﴿سَيْنَاءٌ﴾ قرئ بالكسر والقصر<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الشرييني: ﴿طُورِ سَيْنَاءٌ﴾، من كسر سين سيناء هو نافع وابن كثير وأبو عمرو، ومن قرأ بفتح السين وهم الباؤون لم يصرفه؛ لأنّ الألف للتأنيث كصحراء<sup>(٢)</sup>.

#### الدراسة:

يتمثل اختلاف القراءة في هذه الآية في كلمة: (سيناء)، وقد قرأ الكوفيون وابن عامر قرءوا من ﴿طُورِ سَيْنَاءٌ﴾ بفتح السين القراءة<sup>(٣)</sup>، وقرأ غيرهم بكسرها<sup>(٤)</sup>. وقرأ «نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر» «سيناء» بكسر السين على وزن «فعلاء» والهمزة بدل ياء، وليست للتأنيث، اذ ليس في كلام العرب «فعلاء» بكسر الفاء، وهمزته للتأنيث، من هذا يتبين أن الهمزة في ﴿سَيْنَاءٌ﴾ في قراءة من كسر السين بدل من ياء، وهو معرفة اسم للبقعة، فلم ينصرف للعلمية والتأنيث، وقرأ الباؤون ﴿سَيْنَاءٌ﴾ بفتح السين، على وزن «فعلاء» كحمراء<sup>(٥)</sup>.

والملاحظ هنا كما تبين من خلال هذا المطلب أن أبا السعود يذكر القراءات ولا يشير إلى القراء، بخلاف الخطيب الشرييني، فإنه يذكر القراءة ويعزوها إلى القراء، غير أن كليهما لا يذكر المصدر الذي نقل منه القراءة.

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ( ١٢٨/٦ ).

٢ . السراج المنير، للشرييني، ( ٥٧٥/٢ ).

٣ . سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لأبي القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: ٨٠١هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٣، ١٣٧٣هـ، ص ٣٠٠.

٤ . الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السوادى السوادى للتوزيع، ط٤، ١٤١٢هـ، ص ٣٢٦.

٥ . القراءات وأثرها في علوم العربية، للمحيسن، (١/ ٥٩٣).

**المبحث الثاني:**  
**أسباب النزول عند الإمامين:**  
وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول.**

**المطلب الثاني: أسباب النزول عند الإمامين.**

## المطلب الأول:

### التعريف بأسباب النزول

#### الفرع الأول: معنى أسباب النزول:

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: فوائد أسباب النزول:

زعم قوم أن الاشتغال بمعرفة أسباب النزول لا طائل تحته، لأنه بحث تاريخي، وهذا خطأ بين، فإن معرفة الظروف والمقتضى تعين على فهم المعنى فالنص إذا ورد عقيب واقعة أو سؤال علم أنه سيق ابتداء من أجل ذلك، كان نصاً بيناً فيما نزل فيه، وفوق ذلك فإن لأسباب النزول فوائد متعددة، منها:

بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمّة.

معرفة مَنْ نزلت فيه الآية على التعيين، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُيَ أَفٍّ لَّكَمَا﴾<sup>(٢)</sup>.

تيسير الحفظ لآيات الكتاب وتسهيل الفهم لمعانيها، فمما لا شك فيه أن بدون معرفة سبب النزول أو الحادثة التي نزلت بسببها الآية أو الظرف التي لا بدت نزولها فإنه لا يتيسر حفظها إذا كانت من النوع الذي لا يفهم إلا بالرجوع إلى سبب النزول،

١ . انظر: مناهل العرفان، للزرقاني، (١/١٠٦).

٢ . سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

ذلك ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة  
والأمكنة كل ذلك من دواعي انتقاش الأشياء في الذهن وتقريرها<sup>(١)</sup>.

### طريقة معرفة أسباب النزول:

لا يصح القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا  
على الأسباب، ولا يتوقَّر هذا إلا لصحابة رسول الله ﷺ، فعنهم وحدهم يؤخذ هذا  
العلم<sup>(٢)</sup>.

وقال الواحدي<sup>(٣)</sup>: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع  
ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن عملها وجدُّوا في الطلب"<sup>(٤)</sup>.

---

١ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٢٣/١).

٢ . انظر: مناهل العرفان، للزرقاني، (١١٤/١).

٣ . سبقت ترجمته، ص ٧٠.

٤ . اسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى

سنة: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٨.

## المطلب الثاني:

### أسباب النزول عند الإمامين

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْهُدَىٰ إِلَهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: روي أن جُنْدَبَ بْنَ زَهِيرٍ - رضي الله عنه - قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إني لأعمل العملَ لله تعالى فإذا اطلعَ عليه سرّني، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه» فنزلت تصديقاً له، وروي أنه - صلى الله عليه وسلم - قال له: «لك أجران أجر السرِّ وأجر العلانية» (٢) وذلك إذا قصد أن يُقتدى به، وعنه عليه السلام: «اتقوا الشرك الأصغر» قيل: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء (٣) «(٤)».

قال الإمام الشرييني: روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرّني فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقاً»، وروي أنه قال له: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية» وذلك إذا قصد أن يقتدي به، الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك» والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة (٥).

#### الدراسة:

ذكر الإمامان سبب نزول هذه الآية، وذلك حين سئل - صلى الله عليه وسلم - عن العمل الذي يعمل الإنسان ابتغاء وجه الله، فإذا اطلع عليه الناس سره ذلك، فنزلت تصديقاً على فعله، وهي تبين أن الدافع لعمله هو الإخلاص لله دون سواه، أي: اعترضه في عبادته عارض، وهو أنه في أثناء عبادته اطلع عليه رجل آخر فرآه في عبادته فأثنى عليه

١ . سورة الكهف: الآية: ١١٠.

٢ . سنن ابن ماجه، باب الثناء الحسن، برقم (٤٢٢٦)، (١٤١٢/٢).

٣ . المستدرک علی الصحیحین، کتاب الرقاق، برقم (٧٩٣٧)، (٣٦٥/٤).

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٥١/٥).

٥ . السراج المنير، للشرييني، (٤١٢-٤١١/٢).

فهل يدخل في دائرة الرياء، وقد أخبره رسول الله ﷺ أَنَّ العبرة بمقصده والدافع لعمله، فإن قصد بعمله وجه الله فله الأجر مرتين: أجر السر وأجر العلانية، وإن قصد غير الله فالله لا يقبل عملاً فيه لغيره منه نصيب، وفي الحديث عن أبي ذر، أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيحمده الناس عليه، ويثنون عليه به؟ فقال رسول الله ﷺ: "تلك عاجل بشرى المؤمن" (١).

وقد ذكر الإمام ابن كثير حديثاً عن طاووس قال: قال رجل: يا رسول الله، إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ - شيئاً. حتى نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢).

وقد ذكر الواحدي هذه الأحاديث في أسباب النزول (٣).

### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٤).

قال الإمام أبو السعود: نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مالٌ فاقتضاه فقال: لا، حتى تكفر بمحمد، قال: لا والله لا أكفر به حياً ولا ميتاً ولا حين بُعثت، قال: فإذا بُعثت جنني فيكون لي ثمة مالٌ وولدٌ فأعطيك، وفي رواية قال: لا أكفر به حتى يميتك ثم تُبعث، فقال: إني لميتٌ ثم مبعوثٌ؟ قال: نعم، قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالاً وولداً فأقضيكَ فنزلت (٥).  
لم يذكر الإمام الشرييني سبب نزول هذه الآية.

١ . مسند أحمد، مسند أبي ذر رضي الله عنه ، برقم (٢١٣٨٠) ، (٣٥ / ٣٠٥).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥ / ٢٠٥).

٣ . أسباب النزول، للواحدي، ص ٢٩٩.

٤ . سورة مريم: الآية: ٧٧.

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٥ / ٢٧٩).

## الدراسة:

من الواضح أن أبا السعود يشير إلى سبب النزول دون الشرييني، وقد أورد هذا السبب الواحدي، وأورد هذا الحديث<sup>(١)</sup>، وكذلك أورده الطبري<sup>(٢)</sup>، وإليه أشار ابن عباس في تفسيره لهذه الآية<sup>(٣)</sup>، ولعل عدم ذكر سبب النزول لدى الشرييني يعود إلى أنه هنا في هذه الآية اهتم بمعاني الألفاظ ودلالاتها أكثر من اهتمامه بأسباب النزول، كذلك فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

## الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: يروى أنه ﷺ كان يقوم بالليل حتى تورمت قدماه، فقال له جبريل - عليه السلام - : أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا، أَي: مَا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لَتَتَعَبَ بِنَهْكَ نَفْسِكَ وَحَمْلِهَا عَلَى الرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةِ وَالشَّدَائِدِ الْفَادِحَةِ، وَمَا بُعِثْتَ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَةِ السَّمْحَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَالنُّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ قَالَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ شَقِيٌّ حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَيْكَ لِتَشْقَى بِهِ، فَرَدَّ ذَلِكَ بِأَنَّا مَا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِمَا قَالُوا: وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَنْسَبُ؛<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام الشرييني: قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله، فأنزل الله عليه هذه الآية، وأمره أن يخفف على نفسه، فقال تعالى: ﴿مَا

١ . أسباب النزول، للواحدي، ص ٣٠٢.

٢ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١٨ / ٢٤٥).

٣ . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ص ٢٥٩.

٤ . سورة طه: الآية: ٢.

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٣/٦).

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ أي: لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي: خفف عن نفسك، فقد ورد أنه - ﷺ - صلى الليل حتى تورمت قدماه، فقال له جبريل - عليه السلام - ابق على نفسك، فإن لها عليك حقاً، ما أنزلناه لتهلك نفسك بالصلاة وتذيقها المشقة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وروى أنه - عليه السلام - كان إذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام، وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا: إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك؛ أي: لتتعب وتتعبد، وما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت، وقيل: إن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، وكان رسول الله - ﷺ - في ذلك الوقت مقهوراً تحت ذل الأعداء، فكأنه تعالى قال لا تظن أنك تبقى أبداً على هذه الحالة، بل يعلو أمرك، ويظهر قدرك، فإننا ما أنزلنا عليك القرآن لنبقى شقياً فيما بينهم، بل لتصير معظماً مكرماً<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان في سبب نزول هذه الآية ما ورد في الحديث المذكور آنفاً، والملاحظ أن المراد بالشقاء هو التعب الذي كان يجده - ﷺ - في العبادة، حيث كان يجهد نفسه ويقوم حتى تتورم قدماه، فنزلت الآية تدعوه عليه الصلاة والسلام إلى أن يؤدي حق نفسه كما يؤدي حق ربه سواء بسواء، دون أن يطغى هذا على ذاك، فما نزل القرآن عليه ليشقى، وهذا هو القول الأول.

والقول الثاني: أن الآية نزلت رداً على المشركين الذين قالوا: إن النبي - ﷺ - شقي بالدعوة التي جاء بها؛ لأنه ترك دين آبائه.

وقد ذكر الرواية الأولى ابن عباس<sup>(٢)</sup> وذكر الروایتين معاً الطبري<sup>(٣)</sup>، وذكر البغوي الرواية الثانية في دعوى المشركين، ورد على من ذكر الرواية الأولى، حيث قال: فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً كثيراً، كما ثبت في

١ . السراج المنير، للشربيني، (٢/٤٤٨).

٢ . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٢٦٠.

٣ . جامع البيان، للطبري، (١٨/٢٦٦).

الصحيحين، عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (١) (٢).

ويتبين للباحث من كلام المفسرين بعد عرض الأقوال أن الراجح ما ذكره الإمام البغوي، وهو أن الله رد على المشركين في هذه الآية في دعواهم أن رسول الله ﷺ شقي بالدعوة، وأما من قال بأنه شقي من تكاليف الشرع بالدعوة والعبادة، فقول بعيد خصوصاً وأن النبي ﷺ كان هذا حاله حتى لقي ربه.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝﴾ (٣).

قال الإمام أبو السعود: روي أنها نزلت في أعراب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صحَّ بدنه، وتجت فرسه مهراً سريعاً، وولدت امرأته ولداً سويّاً، وكثر ماله وماشيته؛ قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه؛ قال: ما أصبت إلا شراً وانقلب، وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشأَم بالإسلام؛ فأتى النبي ﷺ فقال: أفلني، فقال -رضي الله عنه-: «إنَّ الإسلام لا يُقال» (٤)، فنزلت، وقيل: نزلت في المؤلفِ قلوبهم (٥).

١ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، برقم (٧١)، (٢٥/١)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧)، (٧١٩/٢).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٢٧٢).

٣ . سورة الحج: الآية: ١١.

٤ . التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٢٩ هـ، (١٥/٢٣)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، (٦٨/١٩).

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٩٧/٦).

قال الإمام الشرييني: عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاعم بالإسلام، فأتى النبي ﷺ فقال: أقلني، فقال: إن الإسلام لا يقال، فنزلت»<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

بيّنت هذه الآية حال من يعبد الله لمصلحة آنية ظاهرة فإن لم يحصل عليها عاد إلى غيره، وقد ذكر أبو السعود روايتين، تفرد بالأولى، واتفق معه الشرييني في الرواية الثانية، وهي قصة اليهودي الذي أسلم ثم تشاعم بالإسلام، وقد ذكر ابن الجوزي كلا القولين اللذين ذكرهما أبو السعود؛ الأول: في أحد الأعراب، والثاني: في رجل من اليهود<sup>(٢)</sup>، وذكر هذين القولين . أيضاً. الواحدي في أسباب النزول<sup>(٣)</sup>.  
من خلال عرض الأقوال تبين للباحث أنه لا تعارض بين هذه الروايات؛ لأن التعبير القرآني يتسع لهذا كله، ويمكن أن تشمل النص جميع ما ذكر؛ حينما ينقلب الإنسان عن الدين، فالقرآن ليس محصوراً بزمان معين، ولا بمكان مخصوص.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/٥٤٠-٥٤١).

٢ . زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٣/٢٢٥).

٣ . أسباب النزول، للواحدي، (٢٢ - ٢٤).

**المبحث الثالث:**

**الناسخ والمنسوخ عند الإمامين:**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: التحريف بالناسخ والمنسوخ.**

**المطلب الثاني: الناسخ والمنسوخ عند الإمامين.**

## المطلب الأول

### التعريف بالناسخ والمنسوخ

#### النسخ والبداء:

فعل الإنسان أو توجيهه لغيره بأمر أو طلب مبني على تقديره وهذا التقدير قد يكون صواباً فيمضي فيه ويرشد إليه، وقد يكون خطأ فيعدل عنه ويحذر منه والتقدير الخطأ مبني على جهل الإنسان بالعواقب وقصور معرفته فيما يؤول إليه الأمر.

ثم إن الإنسان خلق قاصر في فهمه ناقص في علمه مجبول على الخطأ لا ينجو منه مهما تعلم وعرف والله تعالى عليم علمه سابق لكل حدث ومحيط بكل شيء. وقد خلق الله الإنسان كذلك مجبول على العجلة والسرعة، وقد أخبر عنه خالقه بقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾<sup>(٢)</sup>، والعجلة من الشيطان وهي مظنة الخطأ وباب الوقوع فيه ويقابل العجلة التأني والحلم والله حليم خبير. وعلى هذا فالإنسان في فعله أو توجيهه لغيره لديه مشكلتان:

الأولى: خطأ التقدير ابتداء في فعله أو توجيهه.

الثانية: عدم المعرفة انتهاء لما سيؤول إليه الأمر، فقد يفعل الفعل ويأمر الأمر ثم تكون النهاية عكس ما أراد، وهذا هو الذي أراده العلماء بالبداء، وهو لا شك قصور ونقص في الإنسان.

أما ربنا سبحانه فله العلم المسبق بما كان وبما سيكون وبما لم يكن لو كان لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء وهو الحكيم في فعله وفي توجيهه لغيره تنزه عن العبث والجهل، وهو سبحانه صاحب الأمر يأمر ما يشاء لمن يشاء متى شاء وإذا غابت حكمة أمره عن خلقه، فهي نتيجة لقصور علمهم وفهمهم.

١ . سورة الأنبياء: الآية: ٣٧.

٢ . سورة الإسراء: الآية: ١١.

وقد تجلت حكمته في أمره الذي بناه على مصلحة خلقه في الدارين من توجيه أمر  
لقوم ثم رفع الأمر وذلك بتغير الزمان والمكان والأشخاص لحكمة قدرها يعلمها الخلق  
أو لا يعلمون فمهمتهم تنفيذ الأمر والتسليم المطلق للخالق سبحانه.

ولا ريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجدد ظروفهم  
وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم، والنواسخ والمنسوخات كانت كلها  
معلومة لله من قبل ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه<sup>(١)</sup>.

والنسخ منه تعالى لما فيه من الصلاح لعباده، فهو يأمرهم بأمر في وقت لما فيه  
من صلاحهم في ذلك الوقت، وقد علم أنه يزيلهم عن ذلك في وقت آخر لما علم فيه  
من صلاحهم في ذلك الوقت الثاني<sup>(٢)</sup>.

### تعريف النسخ:

**النسخ في اللغة:** إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس،  
ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقبه. قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ  
بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، ونسخ الكتاب: «نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وقد  
يعبر بالنسخ عن الاستنساخ. قال تعالى: ﴿كُنَّا نَسَخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>،  
ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها، فالثانية ناسخة والأولى منسوخة<sup>(٦)</sup>.

**والنسخ في الاصطلاح:** عرفه الإمام ابن الجوزي بقوله: "رفع الحكم الذي ثبت

١ . مناهل العرفان، للزرقاني، (١٨٢/٢).

٢ . علوم القرآن عند ابن عبد البر، للقحطاني، (٢٤٤/١).

٣ . سورة البقرة: الآية: ١٠٦.

٤ . سورة الجاثية: الآية: ٢٩.

٥ . المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان  
عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٨٠١.

٦ . تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،  
دار العلم للملايين - بيروت، ط٤/٤: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٤٥٥/٢.

تكليفه للعباد إما بإسقاطه إلى غير بدل أو إلى بدل<sup>(١)</sup>. وقال الإمام ابن جزى: هو "رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل"<sup>(٢)</sup>.

### مشروعيته:

قال تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أنه دخل يوما مسجد الجامع بالكوفة، فرأى فيه رجلا وقد تحلق الناس عليه يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهاي والإباحة بالحظر فقال له علي -عليه السلام- أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت، وأخذ بأذنه ففتلها وقال لا نقص في مسجدنا بعد<sup>(٦)</sup>. ومروا ابن عباس -رضي الله عنهما- بقاض يقضي، فركضه برجله قال أتدري ما الناسخ من المنسوخ؟ قال لا قال هلكت وأهلكت<sup>(٧)</sup>.

قال الزركشي: "قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف

---

١ . نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ، ص ١٢٧.

٢ . التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، ص ٢١.

٣ . سورة البقرة: الآية: ١٠٦.

٤ . سورة الرعد: الآية: ٣٩.

٥ . سورة النحل: الآية: ١٠١.

٦ . الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ، ت: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/١، ١٤٠٤هـ، ص ١٩.

٧ . الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الظاهري، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،

منه الناسخ والمنسوخ"<sup>(١)</sup>. وقال ابن عبد البر<sup>(٢)</sup>: "ليس من العلوم كلها علم هو أوجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وكافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعلم به لازم ديانة، والمنسوخ لا يُعمل به، ولا ينتهي إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه أو على عباد الله أمراً لم يوجبه الله عز وجل، أو يضع عنه فرضاً أوجبه الله عز وجل"<sup>(٣)</sup>.

### ضوابطه

**أولاً:** لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي، والخبر الذي ليس بمعنى الطلب لا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد<sup>(٤)</sup>.

**ثانياً:** لا يكون النسخ إلا فيما يتدافع ويتعارض ولا سبيل إلى نسخ قرآن بقرآن، أو سنة بسنة، ما وجد إلى استعمال الآيتين أو السُّنَّتين سبيل.

**ثالثاً:** لا يحكم بنسخ شيء من القرآن إلا ما قام عليه الدليل الذي لا مدفع له، ولا يحتمل التأويل، فالنسخ لا يثبت مع الاحتمال ولا يقطع بنسخ شيء من القرآن إلاً بدليل لا معارض له أو إجماع<sup>(٥)</sup>.

**رابعاً:** صرح المحققون من العلماء بأن كثيراً مما ظنه المفسرون نسخاً ليس به وإنما هو مجمل آخر بيانه لوقت الحاجة، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره، أو مخصوص من عمومهم، أو حكم عام لخاص أو لمداخلة معنى في معنى<sup>(٦)</sup>.

**خامساً:** غير جائز وجود الناسخ والمنسوخ في خطاب واحد؛ لأن النسخ لا يصح

١ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٢/٢٩).

٢ . هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، مولده: في سنة: (٣٦٨هـ) في شهر ربيع الآخر، وطلب العلم، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، فكان فقيهاً عابداً متهجداً، مات أبو عمر ليلة الجمعة ربيع الآخر، سنة: (٤٦٣هـ)، واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام - رحمه الله - انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٨/١٥٣-١٥٦).

٣ . علوم القرآن عند ابن عبد البر، للقحطاني، (١/٩١).

٤ . الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٣/٦٨).

٥ . علوم القرآن عند ابن عبد البر، للقحطاني، (١/٢٧٨).

٦ . مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ص ٢٧٣.

إلا بعد استقرار الحكم والتمكن من الفعل<sup>(١)</sup>، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرداً<sup>(٢)</sup>.  
سادساً: الاستثناء والتخصيص لا يدخل في النسخ؛ لأنه رفع حكم جزئي.

## فوائد

١. إظهار الربوبية، فالتصرف له تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد<sup>(٣)</sup>، ويطلع الإنسان على حكمة الله في تربيته للخلق وسياسته للبشر وابتلائه للناس.
٢. آية ودلالة قاهرة على صدقه ﷺ في الناسخ والمنسوخ، وليردّ بذلك قول مَنْ حكى عنه أنّ ذلك افتراءً من الرسول في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فهذا عندنا أحدُ أخذِ آياتِ الرسول ﷺ<sup>(٥)</sup>.
٣. أنه ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام خصوصاً إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها.
٤. التدرج في سير التشريع الإسلامي مراعاة لمصالح العباد إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس<sup>(٦)</sup>.
٥. الفرق بالعباد والصالح لهم، ورفع المشقة عن العباد، برعاية المصالح، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(٧)(٨)</sup>.
٦. الابتلاء لمعرفة كمال اتباع الناس للنصوص، فالمؤمن كامل الإيمان يسلم، والمنافق يجادل، وهو امتحان الحرية، ليمتاز أهلُ الطاعة من أهل العناد.

- 
١. أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (٧٨/٢).
  ٢. الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (١٥٢/١).
  ٣. انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (١٢١/١).
  ٤. سورة النحل: الآية: ١٠١.
  ٥. الانتصار للقرآن، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: د/ محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (٤١١/١).
  ٦. مباحث في علوم القرآن للقطان، ص٢٤٦.
  ٧. سورة البقرة: الآية: ١٨٥.
  ٨. انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، (١٢١/١).

٧. بيان فضل هذه الأمة؛ إذ بلغ من كمال اتباعها أنها تتبع حتى ما نسخ لفظة ولا تجده في المصحف. وبيان لكمال العبودية .

### أنواعه

لا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب، ونسخ السنة بالكتاب كالقصة في صوم عاشوراء برمضان وغيره، واختلف في نسخ الكتاب بالسنة وحذاق الأمة على الجواز وذلك موجود في قوله ﷺ: لا وصية لوارث<sup>(١)</sup>.

ويجوز أن ينسخ الأخف بالأتقل والأثقل بالأخف، فالأثقل بمضاعفة الأجر ورفع الدرجات بالصبر وامتنال الأمر، والأخف للرفقة والرحمة مع جزيل الأجر من الله تعالى الكريم الجواد، فالنسخ حينئذ تحول العباد من حلال إلى حرام أو حرام إلى حلال ومن مباح إلى محظور ومن محظور إلى مباح ومن خفيف إلى ثقیل ومن ثقیل إلى خفيف كل ذلك لما يعلم الله تعالى من المصلحة لعباده<sup>(٢)</sup>.

### المنسوخ من القرآن

على ثلاثة أقسام: الأول: ما نسخ رسمه وحكمه لحديث سهل بن حنيف أن رجلاً كانت معه سورة، فقام من الليل يقرؤها فلم يقدر عليها فأتى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ عنها نسخت البارحة<sup>(٣)</sup>. الثاني: ما نسخ رسمه وبقي حكمه: لحديث عمر -رضي الله عنه- أنه قال: وآية الرجم لا تضلوا عنها، فإن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا، وأنها قد أنزلت، وقرأناها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة ولولا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي<sup>(٤)</sup>. الثالث: ما نسخ حكمه وبقي رسمه: وهو ما تكلم فيه

١ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٣٢/٢).

٢ . انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمربي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرّم المقدسي الحبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم - الكويت، ط بدون، ت بدون، ص ٤٣.

٣ . انظر: شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ، والحديث، باب مشكل قوله تعالى: { ما ننسخ من آية أو ننسها }، برقم (٢٠٣٤)، (٢٧٠/٥).

٤ . صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلي في الزنا إذا أحصنت، برقم (٦٤٤٢)، برقم (٦٤٤٢)، (٥٠٣/٦).

المفسرون<sup>(١)</sup>.

## معرفة الناسخ والمنسوخ:

١- النقل الصريح عن النبي ﷺ - أو عن صحابي كحديث: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها<sup>(٢)</sup>، وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة: " أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نسخ بعد<sup>(٣)</sup> .

٢- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

٣- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ. لا يعتمد النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين<sup>(٤)</sup>. قال الزركشي: "ما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك من فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ والمكي أكثر من المدني"<sup>(٥)</sup>. وقال ابن حزم: "نزول المنسوخ بمكة كثير ونزول الناسخ بالمدينة كثير وليس في أم الكتاب شيء منهما"<sup>(٦)</sup>.

## أركان النَّسخ.

يتبين من تعريف النَّسخ أن له أركاناً أربعة: وهي: أداة النَّسخ، والناسخ، والمنسوخ، والمنسوخ عنه.

أما أداة النَّسخ: فهو القول الدال على رفع الحكم الثابت. والناسخ هو الله تعالى؛ لأنه الرافع المطلق للحكم على وفق مشيئته، والمنسوخ هو الحكم المرفوع، والمنسوخ عنه: هو الْمُتَعَبَّدُ (المطالَب) المكلف بالحكم الشرعي، ومن أمثلة المنسوخ: نسخ وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة النبي ﷺ، وحكم الوصية للوالدين

١ . نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ص ٣٣.

٢ . المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الجنائز، برقم (١٣٨٧)، (٥٣١/١).

٣ . صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى: { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا. . }، برقم (٢٨١٤)، (٢٣٩/٧).

٤ . مباحث في علوم القرآن، للقطان، ص ٢٤٠.

٥ . البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٨٧/١).

٦ . الناسخ والمنسوخ، لابن حزم، (١٩/١).

والأقربين، وحكم التبرص حولاً كاملاً في حق المتوفى عنها زوجها<sup>(١)</sup>، ويقال: إن آية السيف في سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾<sup>(٢)</sup> نَسَخَتْ مائة وثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>،

والناسخ في الحقيقة هو الله -ﷻ-، وقد يُطلق لفظ (الناسخ) مجازاً على الحكم الشرعي، أو على المعتقد لنسخ الحكم، أو على نفس النصّ الناسخ. المثال الأول: يُقال: وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء، فهو ناسخ مجازاً.

والمثال الثاني: يُقال: فلان ينسخ القرآن بالسنة، أي: يعتقد ذلك فهو ناسخ. والمثال الثالث: آية السيف المذكورة نسخت آيات السلم والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي ناسخة.

### حكمة الله في النَّسخ

الآن وقد عرّفنا النَّسخ وأركانه، يجدر بنا أن نُبين حكمة الله تعالى فيه، لأن معرفة الحكمة تريح النفوس، وتزيل اللبس، وتعصم من الوسوسة والدس، لاسيما في موضوعنا الذي كثر منكروه، وتصيدوا لإنكاره الشبهات من هنا وهناك، ولأجل تفصيل القول في الحكمة نذكر - كما ذكرنا آنفاً - أنَّ النَّسخ وقع بالشرعية الإسلامية، ووقع فيها على معنى ان الله تعالى نسخ بالإسلام كل دين سبقه، ونسخ بعض أحكام هذا الدين ببعض.

١ . انظر: المستصفى من علم الأصول: للإمام أبو حامد بن محمد، (المتوفى سنة: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: (٧٨/٢)، والإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسين علي بن علي بن محمد الآمدي، (المتوفى سنة: ١٣٨٧هـ)، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، مصر - القاهرة، (١٦٣/٢).

٢ . سورة التوبة: من الآية: ٥.

٣ . انظر: الموجز في الناسخ والمنسوخ، لابن خزيمة، المظفر بن الحسين بن زيد بن علي، دار السعادة - مصر، ملحق بكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، ط ١، ١٣٢٣هـ، ص ٢٦٤.

أما حكمته - سبحانه - في انه نسخ به الأديان كلها، فترجع إلى ان تشريعه أكمل تشريع يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها، بعد ان بلغت أشدها واستوت، وبيان ذلك ان نوع الإنسان تقلّب كما يتقلب الطفل أدواراً مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حال يناسبه، غير الحال التي تناسب دوراً غيره، فالبشر أول عهدهم بالوجود، كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة، وضعفاً وجهالة، ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويداً رويداً، ومروا في هذا التحول أو مرت عليهم أعراض متباينة، من ضالة العقل، وعماية الجهل، وطيش الشباب، وغشم القوة، على تفاوت في ذلك بينهم، اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم تبعاً لهذا التفاوت، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه، وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه، جاء هذا الدين الحنيف ختاماً للأديان، ومتمماً للشرائع، وجامعاً لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية ومرونة القواعد جمعاً وفق بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين، ونظّم علاقة الإنسان بالله - تعالى - وبالعالم كله من أفراد واسر وجماعات وأمم وشعوب وحيوان ونبات وجماد، مما جعله بحق ديناً عاماً خالداً إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها<sup>(١)</sup>.

---

١ . انظر: مناهل العرفان، للزرقاني، (٢/١٩٤-١٩٥).

## المطلب الثاني

### الناسخ والمنسوخ عند الإمامين

#### الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: "قوله تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: لله تعالى ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس، ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي: جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة (٢). وقال الإمام الشربيني: (لما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث أنه مفعول لأجله صحت إضافته إليه، وعن مجاهد أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٣) (٤).

#### الدراسة:

ذكر الإمامان معنى الآية ووضح الشربيني أن الآية منسوخة، روى عن مجاهد، وأما النحاس فذكر النسخ ورجح عدمه (٥)، وقال ابن حزم: إنها منسوخة بقوله تعالى:

١ . سورة الحج: الآية: ٧٨.

٢ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٢٢).

٣ . سورة التباين: الآية: ١٦.

٤ . السراج المنير، للشربيني، (٢/ ٥٦٨).

٥ . الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط ١، ١٤٠٨هـ، ص ٥٧٧.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقال ابن الجوزي: فيها قولان: **القول الأول**: أنها منسوخة لأن فعل ما فيه وفاء الحق لله لا يتصور من أحد، واختلف هؤلاء في ناسخها على قولين:

**الأول**: أنه قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، والثاني: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

**والقول الثاني**: أنها محكمة لأن حق الجهاد الجد في المجاهدة، وبذل الإمكان مع صحة القصد، فعلى هذا هي محكمة، ويوضحه أن الله تعالى لم يؤمر بما لا يتصور، فبان أن قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ تفسير لحق الجهاد، فلا يصح نسخ<sup>(٣)</sup>. والذي يظهر للباحث بعد عرض كلام المفسرين ويرى أنه الراجح هو أن الآية محكمة، وليست منسوخة، وإنما وضحتها الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، والله تعالى لا يأمر إلا بمقدور.

#### الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

**قال الإمام أبو السعود**: وهو الصفح عنها، والإحسان في مقابلتها، لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن في الدين، وقيل: هي كلمة التوحيد، والسيئة الشرك، وقيل: هو الأمر بالمعروف، والسيئة المنكر، وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة؛ لما فيه من التنصيص على التفضيل<sup>(٥)</sup>.

١ . نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ص ٣١.

٢ . سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

٣ . نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ص ١٩٦.

٤ . سورة المؤمنون: الآية: ٩٦.

٥ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦/ ١٤٩).

وقال الإمام الشرييني: من الأقوال والأفعال بالصفح والمدارة، ﴿السَّيِّئَةُ﴾: أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة، وقيل: محكمة لأن المدارة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة<sup>(١)</sup>.

#### الدراسة:

ذكر الإمامان في تفسير هذه الآية الأمر بالإحسان والصفح، أما ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ فلم يذكره أبو السعود؛ بينما ذكر الشرييني ما قيل في ناسخها من آية السيف، وذكر القول الآخر دون ترجيح، وقد ذكر هذه الآية ابن جزي، وبين أن هذه الآية محكمة، وأن المنسوخ منها مسالمة الكفار<sup>(٢)</sup>، وبه قال ابن عطية<sup>(٣)</sup>، وذكر الشوكاني الأقوال دون ترجيح<sup>(٤)</sup>.

والذي يظهر للباحث من خلال ما ذكره المفسرون أن الآية محكمة، وليست منسوخة، وأن العفو والصفح هو في حق المؤمنين.

#### الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام أبو السعود: بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره

وقد نسخ في حق المحصن قطعا وكيفينا في تعيين الناسخ القطع بأنه - ﷺ - قد رجم ماعزا أو غيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الإيضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي - رضي الله عنه - جلدها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله - ﷺ - وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢ / ٥٩٠).

٢ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٢ / ٥٧).

٣ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤ / ١٥٥).

٤ . فتح القدير، للشوكاني، (٣ / ٥٨٨).

٥ . سورة النور: الآية: ٢.

٦ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦ / ١٥٦).

وقال الإمام الشرييني: ﴿الرَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾ أي: ضربة يقال: جلده إذا ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام، والرقيق على النصف مما ذكر، ولا رجم عليه لأنه لا يتنصف<sup>(١)</sup>.

**الدراسة:**

ذكر الإمامان حكم الزاني غير المحصن، والذي بيّنته هذه الآية أن حكمه مائة جلدة أمام الناس، وذكر الشرييني في إقامة هذا الحد ما بيّنه في كيفية إقامة الحد عليه وجلده، وحكم مرضه وغير ذلك من التفاصيل التي تناولها بتفصيل أكثر من أبي السعود.

وقد ذكر ابن كثير شروط من يقام عليه الحد، وهو أن يكون حراً بالغاً عاقلاً. وأضاف قول الجمهور في التغريب خلافاً لأبي حنيفة<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن عطية أن هذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى في سورة النساء، وأن هذه الآية في غير المحصنين وقال: (واختلفوا في الناسخ؛ فقالت فرقة: الناسخ السنة المتواترة في الرجم، وقالت فرقة: بل القرآن الذي ارتفع لفظه وبقي حكمه، وهو الذي قرأه عمر في المنبر بمحضر الصحابة: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»، وقال: إنا قرأناه في كتاب الله، واتفق الجميع على أن لفظه: رفع وبقي حكمه، وقيل: ليس في هذه الآية نسخ، بل سنة الرجم جاءت بزيادة، فالمحصن على رأي هذه الفرقة يجلد ثم يرجم، وهو قول علي بن أبي طالب وفعله بشراحة، ودليلهم قول النبي ﷺ - «والثيب بالثيب جلد مائة والرجم<sup>(٣)</sup>»، ويرد عليهم فعل النبي ﷺ - حيث رجم ولم يجلد، وبه قال جمهور الأمة إذ فعله كقوله، رفع الجلد عن المحصن، وقال ابن سلام وغيره: هذه الآية خاصة في البكرين<sup>(٤)</sup>، وذكر الكلبي حكم غير المسلمين والخلاف في ذلك<sup>(٥)</sup>.

١ . السراج المنير، للشرييني، (٢/ ٥٩٥).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٦).

٣ . السنن الكبرى، للبيهقي، باب: ما يستدل به على أن السبيل هو الجلد، برقم (١٦٩٠٨)، (٨/ ٣٦٦)، وسنن ابن ماجه، باب: حد الزنا، برقم (٢٥٥٠)، (٢/ ٨٥٣).

٤ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٤/ ١٦١).

٥ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٢/ ٥٩).

والراجح من أقوال العلماء بعد بيانهم وذكر الخلاف في ذلك أن هذه الآية محكمة ناسخة لآيات النساء في الحبس والإيذاء، وأنها مبينة في السنة بالجلد والتغريب.

#### الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود: والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيِّمَ مِنْكُمْ﴾ (٢)؛ فإنه متناول للمسافحات، ويؤيده ما روي أنه - ﷺ - سئل عن ذلك فقال: «أوله سفاح، وآخره نكاح، والحرام لا يحرم الحلال» (٣)، وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان (٤).

وقال الإمام الشربيني: "ومعنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا تزني إلا بزاني أو مشرك، وقال يزيد بن هارون (٥): إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان، عن عائشة - رضي الله عنها -: إن الرجل إذا زنا بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية، وإذا باشرها كان زانياً، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان أبداً، وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة، والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود، وقال سعيد بن المسيب وجماعة منهم الشافعي - رحمه الله تعالى -: إن حكم الآية منسوخ،

١ . سورة النور: الآية: ٣.

٢ . سورة النور: الآية: ٣٢.

٣ . السنن الكبرى، للبيهقي، باب: ما يستدل به على قصر الآية، برقم (١٣٨٧٨)، (٢١٥/٧)، وسنن الدارقطني، باب: المهر، برقم (٣٦٨١)، (٤٠٢/٤).

٤ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (١٥٧/٦).

٥ . هو يزيد بن هارون بن زاذان مولى بجيلة كنيته أبو خالد كان مولده سنة: (١١٨هـ)، ومات بعد أن كف سنة: (٢٠٦هـ)، وكان من خيار عباد الله ممن كان يحفظ حديثه كله، انظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام

فقهاء الأقطار، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي

(المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،

ط١، ت ١٤١١هـ، ص ٢٨١.

وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### الدراسة:

تكلم المفسرون في هذه الآية فيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ، وذكر بعضهم أن هذه الآية منسوخة، وأن الآية ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾ نسختها، وممن قال بهذا أبو السعود حيث إن هذه الآية ليست على إطلاقها، فهي إما مخصوصة أو منسوخة قال النحاس: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قال: "يزعمون أنها نسخت بالآية التي بعدها ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾ فدخلت الزانية في أيام المسلمين، وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء، وأهل الفتيا يقولون: إن من زنا بامرأة فله أن يتزوجها، ولغيره أن يتزوجها"<sup>(٢)</sup>. وذكر ذلك ابن حزم في كتابه الناسخ والمنسوخ<sup>(٣)</sup>.

وذكر ذلك أيضاً ابن الجوزي في كتابه نواسخ القرآن<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر ابن جزى في معنى الآية: أنه لا يجامع الزانية إلا زان أو مشرك، وقيل: لا يتزوجها إلا زان أو مشرك، وهو منسوخ، ثم قال: والصحيح الأول<sup>(٥)</sup>.

ومما تبين من أقوال المفسرين ومن صنف في الناسخ والمنسوخ أن الراجح من أقوالهم هو أن هذه الآية منسوخة، وأن الناسخ لها قول الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾، إضافة إلى أنه لم يقل أحد: إن من وقعت في الزنا حرم عليها الزواج من أحد فيما بعد.

### الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . السراج المنير، للشريبي (٢ / ٥٩٨).

٢ . الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص ٥٨٢.

٣ . الناسخ والمنسوخ، لابن حزم، ص ٤٧.

٤ . نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ص ١٩٨.

٥ . التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزى، (٢ / ٦٠).

٦ . سورة النور: الآية: ٢٧.

**قال الإمام أبي السعود:** إثر ما فصل عن الزنا وعن رمي العفاف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالماجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير إذن<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام الشربيني:** التي تسكنونها، فإن المؤجر والمعير لا يدخلان إلا بإذن، وعن ابن مسعود: عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم، وعن الشعبي: ليست منسوخة، فقل له: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان، وعن سعيد بن جبير: إن الناس يقولون: هي منسوخة والله ما هي منسوخة، ولكن الناس تهاونوا بها، وقال قوم: هي منسوخة<sup>(٢)</sup>.

### الدراسة:

ذكر الإمامان معني الآية، وفيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ فقد ذكر الشربيني كلام العلماء فيها، وما نقل عن الصحابة ومن بعدهم، وظاهر كلامه وترجيحه أن الآية ليست منسوخة؛ بينما ذكر الإمام أبو السعود المعني دون بيان الناسخ والمنسوخ فيها، بما يعني أن الآية ليست منسوخة عنده، وعليه فإن بيان الإمامين في معنى الآية أنها محكمة، وقد قال بهذا القول ابن الجوزي، وقال: عامة، (وقد خصصت بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>)<sup>(٤)</sup>، ولم يذكرها ابن حزم في كتابه الناسخ والمنسوخ، وذكر النحاس القولين؛ فقال: للعلماء في هذه الآية قولان؛ فمنهم من قال: لما قال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(٥)</sup>، كان هذا عاماً في جميع البيوت، ثم نسخ من هذا، واستثنى فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

١ . إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٦ / ١٦٨).

٢ . السراج المنير، للشربيني، (٢ / ٦٣٩).

٣ . سورة النور: الآية: ٢٩.

٤ . نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ص ١٩٩.

٥ . سورة النور: الآية: ٢٧.

مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ<sup>١</sup>، ومنهم من قال: الآيتان محكمتان، فقلوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾<sup>٢</sup>؛ يعني: به البيوت التي لها أرباب وسكان، والآية الأخرى في البيوت التي ليس لها أرباب يعرفون ولا سكان، فالقول الأول يروى عن ابن عباس، وعكرمة<sup>(١)</sup>، ورجح ابن سلامة<sup>(٢)</sup> أن الآية منسوخة بقلوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ<sup>(٣)</sup>﴾.

والذي يظهر للباحث من كلام المفسرين أن الراجح هو أن الآية محكمة وليست منسوخة؛ باعتبار أن حكمها لم يسقط العمل به في الاستئذان وطلب الدخول في البيوت غير المسكونة، وإنما نستطيع القول: إن هذه الآية عامّة، وقد خصصت بالآية الأخرى في البيوت غير المسكونة.

١ . الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص ٥٨٦.

٢ . ابن سلامة: هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وبها وفاته سنة: (٤١٠هـ)، كانت له حلقة في جامع المنصور، له كتب، منها " الناسخ والمنسوخ في القرآن، وغيرها، انظر: معجم المطبوعات، لسركيس، (١/١٢٠)، والأعلام، للزركلي، (٨/٧٢).

٣ . الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، مكتبته الرشد / شركة الرياض - الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ، ص ٢١.

**الخاتمة:**

**وفيها:**

**أهم النتائج والتوصيات**

## خاتمة:

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى على ما مَنَّ به عليّ من إتمام هذا البحث، الذي عنوانه: «إرشاد العقل السليم لأبي السعود والسراج المنير للخطيب الشربيني من الجزء السادس عشر إلى الجزء الثامن عشر "دراسة تحليلية مقارنة"».

وقد كان من توفيق الله -ﷻ- أن توصلت من خلال دراستي هذه إلى النتائج والتوصيات، أوجزها فيما يلي:

### أولاً: النتائج:

❖ عاش الإمامان في القرن العاشر الهجري، في بلدين مختلفين وبيئتين مختلفتين.

❖ عرف أبو السعود بين أقرانه ومعاصريه بأنه أبو حنيفة الثاني، والمعلم الثاني، وخطيب المفسرين. بينما الخطيب الشربيني عرف بين أقرانه ومعاصريه بأنه شافعي المذهب، فقد درس المذهب الشافعي، وكانت تلمذته على علماء الشافعية في ذلك العصر.

❖ إن عقيدة الإمامين - رحمهما الله - عقيدة سليمة صافية تتوافق مع عقيدة السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة.

❖ إن الإمام أبا السعود خلف مصنفات في العقيدة والتفسير والفقه والشعر، وكان يكتب بثلاث لغات «العربية والتركية والفارسية»، وتتميز كتاباته بالأسلوب العالي الرفيع.

❖ كذلك الإمام الشربيني له مصنفات عديدة في التفسير والفقه وغيرها، وكانت كتبه من الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي.

- ❖ إن العصر الذي عاش فيها الإمام أبو السعود كان عصر جهاد وفتوحات وغزوات، وقد وصلت الدولة العثمانية في ذلك القرن إلى ذروة مجدها وأوج عظمتها في ثلاث قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا.
- ❖ أما عصر الإمام الشرييني فإن الحالة السياسية في مصر كانت مضطربة وأن الحالة الاجتماعية هي الأخرى كانت مضطربة أيضاً.
- ❖ إن سلاطين آل عثمان كانوا يعتنون كل الاعتناء بالعلم والعلماء ويحترمونهم، ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين والدولة، ولم يفصلوا بين الدين والسياسة.
- ❖ يعتبر تفسير أبي السعود من أشهر كتب التفسير بالرأي الجائز.
- ❖ أما تفسير الخطيب الشرييني فقد جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
- ❖ اعتمد الإمامان على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات صحة أقوالهما ودعمها بالحجج العقلية والبراهين المنطقية.
- ❖ إن الإمامين كانا يستشهدان في أغلب المواضع بنفس الآيات القرآنية وبنفس الأحاديث النبوية كأنهما يستقيان من ينبوع.
- ❖ إن الإمامين استخدمتا كثيراً من مباحث اللغة من معان ونحو بالقدر الذي يبين ويوضح معنى الآية المفسرة، وكذلك الاستشهاد بالشعر في كثير من المعاني التي يذكرانها، وتميز أبو السعود بالبلاغة والفصاحة والسبك العجيب.
- ❖ إن الإمامين ذكرا أقول من قبلهم؛ ونقلنا عن بعض التفاسير السابقة.
- ❖ اهتم الإمام أبو السعود في تفسيره بسبك العبارات، والعناية بحسن التعبير، والدقة في اختيار الألفاظ للدلالة على المعاني المراد.
- ❖ كان الإمام أبو السعود يورد الأقوال دون نسبتها غالباً، فالأهم عنده إبراز المعنى، ويرجح أحياناً، بينما اقتصر الإمام الشرييني على ذكر الراجح من الأقوال، ولم يغفل بعضها، بل كان يورد بعضها مسبقاً بكلمة: «قيل» لكن الأول أولى وأظهر عنده.

❖ إن الإمام أبا السعود عند ذكر الأحكام الفقهية يمر عليها بإيجاز، بينما الإمام الشرييني يتناولها بالتفصيل.

❖ إن الإمامين وجهها تفسيريهما للآيات الكونية والقصص والأمثال القرآنية نحو أخذ العظة والعبرة دون الخوض كثيراً في المرويات الواردة، والاكتفاء بمعنى الآية غالباً.

❖ إن الإمامين اهتما بذكر أسباب النزول، إلا أن الإمام الشرييني أحياناً يطيل في ذكرها.

❖ إن الإمامين من القائلين بالناسخ ووقوعه في القرآن الكريم وأنهما يوردان الآية المنسوخة والناسخ لها.

❖ اهتم الإمامان بالقراءات القرآنية في تفسيريهما، فكان أبو السعود يتطرق إليها لكن بإيجاز ليوضح المعنى؛ فيقول: وقرئ...، دون عزوها، بينما الإمام الشرييني يذكر القراءات السبع من طريق الشاطبية، واكتفى بها، ونسب كل قراءة إلى أصحابها.

### ثانياً - التوصيات:

يمكن للباحث أن يقدم بعض التوصيات للباحثين، عسى أن تكون لهم نبراساً وسراجاً منيراً، ومن هذه التوصيات ما يأتي:

❖ تحقيق التفسيرين وتخريج الأحاديث الواردة فيهما ودرجتها.

❖ أن تكون هناك دراسات مستقلة تختص بالمنهجية التي انتهجها الإمامان في تفسيريهما والتوسع فيها مما يساهم في تغطية عجز المصادر التي لم تتوفر لهما.

❖ إخراج تفسير جامع بين إرشاد العقل السليم والسراج المنير ليكون مرجعاً مهماً للباحثين تحت أي مسمى كان.

❖ العناية بدراسة الإسرائيليات، وتنقية كتب التفسير منها.

❖ أن يقوم قسم القرآن وعلومه بالكلية، بتبني دراسة وتحقيق كتب التفسير المهمة والمتداولة على أن يقوم بذلك التحقيق طلبة الدراسات العليا.

❖ توسيع دراسات التفسير المقارن حتى تشمل بقية التفاسير المغمورة لإشهارها وتعريف الأمة بها.

❖ عدم التسليم بالمقولة السائدة بأن اللسان العربي والذوق الأدبي قد اعتراهما الفساد والضعف في البيئات الإسلامية غير العربية، وأن تتم مراجعة هذه المقولة على ضوء جلة العلماء الأعلام والمجتهدين الأفذاذ في كافة فروع اللغة والأدب، الذين ظهروا في تلك البيئات المتهمة، ليس فقط في عصور القوة والازدهار، بل وحتى في عصور التخلف والجمود، وفي مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والعربية، ولنا في شيخ الإسلام أبي السعود خير دليل.

❖ البحث عن تراث علمائنا الأفذاذ الذين ما زلت مخطوطاتهم رهينة الأرفف والأدراج والقيام بتحقيقها لترى النور ويرتوي من ينبوعها الصافي كل متعطش للعلم.

❖ دعم المكتبات العامة بكل جديد من البحوث والتحقيقات التي تساعد الباحث والقارئ في الوصول إلى حاجته بسرعة وسهولة.

فرحم الله الإمامين على آثارهم وجهادهم، وغفر الله لنا ولهم على ما ظهر من خطأ، فلكل علم هفوة، ولكل جواد كبوة، وكل واحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب الحوض المورود ﷺ.

هذا، وأسأل الله العظيم أن يجمع لنا ولجميع المسلمين بين الحق والصواب والثواب، ويرزقنا الحكمة وفصل الخطاب، وأن يعيدنا من الخطأ والزلل في القول والاعتقاد والعمل، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا آخرها، وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

# الفهارس العامة :

- ❖ فهرس الآيات القرآنية.
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية .
- ❖ فهرس الأماكن والبلدان.
- ❖ فهرس الأشعار.
- ❖ فهرس الأعلام.
- ❖ فهرس المصادر والمراجع .
- ❖ فهرس الموضوعات.

م	فهرسة الآيات القرآنية الآية	رقمها	الصفحة	رقم السورة
سورة البقرة				
١.	﴿لَا تَأْخُذْهُُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	٢٥٥	١٥٣	٢
٢.	﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾	٩٨	١٦٢	٢
٣.	﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	١٧٣	٢
٤.	﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾	١٩	٢١٢	٢
٥.	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾	٢٠٣	٢٣٩	٢
٦.	﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾	١٧٧	٢٦٧	٢
٧.	﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٣٠٨	٢
٨.	﴿مِثْلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	١٧	٣٢٣	٢
٩.	﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكُفِّرُ عَوْنٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	٦٨	٣٢٣	٢
١٠.	﴿* مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾	١٠٦	٣٥٧	٢
١١.	﴿* مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٠٦	٣٥٨	٢
١٢.	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٣٦٠	٢
١٣.	﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٣٦٦	٢
سورة آل عمران				

١٤.	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُضْ عَلَيَّ﴾	٥٥	٧٠	٣
١٥.	﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾	١٢٢	١٢٨	٣
١٦.	﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢١	٢٠٥	٣
١٧.	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾	٥٩	٢٢٣	٣
سورة النساء				
١٨.	﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾	٧١	١٢٨	٤
١٩.	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	١٧٤	٣٢٨	٤
سورة المائدة				
٢٠.	﴿كَانَا يَأْكُلُ الْطَّعَامَ﴾	٧٥	١٨٢	٥
٢١.	﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾	٧١	٢٠٤	٥
٢٢.	﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾	٩٠	٢٤٥	٥
سورة الأعراف				
٢٣.	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾	١٣٦ , ١٣٥	١٢٧	٧
٢٤.	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	٦٩	١٤٧	٧
سورة التوبة				
٢٥.	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيَلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾	٢٨	٢٥٤	٩
٢٦.	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيَلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾	٢٨	٢٥٦	٩

			فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٣٨﴾	
٩	٣٦٣	٥	﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾	٢٧
سورة هود				
١١	٧٠	٨	﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾	٢٨
١١	١٢٧	٤٦	﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾	٢٩
١١	١٢٨	٤٦	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِئْ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾	٣٠
سورة يوسف				
١٢	٤٠	٥٢	﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾	٣١
١٢	٣٠٣	٦	﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾	٣٢
سورة الرعد				
١٣	١٤٦	٣٠	﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾	٣٣
١٣	٣٥٦	٣٩	﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾	٣٤
سورة إبراهيم				
١٤	٢٢٥	٤٠	﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾	٣٥
١٤	٣٢١	٤٥	﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾	٣٦
سورة الإسراء				
١٧	١٧٤	١٠٦	﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾	٣٧

١٧	١٧٣	٩	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٣٨.
١٧	٣٥٤	١١	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	٣٩.
سورة الكهف				
١٨	١٧٠	٧٩	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾	٤٠.
١٨	٢٠٣	١٠٢	﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾	٤١.
١٨	٢٠٣	١٠١	﴿كَانَتْ﴾	٤٢.
١٨	٢٠٣	١٠٢	﴿وَكَانُوا﴾	٤٣.
١٨	٢٠٩	١١٠	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾	٤٤.
١٨	٣٠٩	٩٤، ٨٣	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾	٤٥.
١٨	٣٤٧	١١٠	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾	٤٦.
سورة مريم				
١٩	٢٢٢	٢٩	﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	٤٧.
١٩	١٣٥	٣٦	﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾	٤٨.

١٩	١٣٥	٣٠	﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾	٥٩.
١٩	١٣٩	٦٥	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٥٠.
١٩	١٥٧	٦٤	﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٥١.
١٩	١٥٨	٣٥	﴿إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٢.
١٩	١٥٨	٣٦	﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾	٥٣.
١٩	١٨٢	٤٠	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾	٥٤.
١٩	١٨٣	٦٨	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾	٥٥.
١٩	١٨٦	٦٧، ٦٦	﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾	٥٦.
١٩	٢٠٥	٨٣	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُثُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾	٥٧.
١٩	٢٢١	٣١	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾	٥٨.
١٩	٢٢٣	٥٥	﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾	٥٩.
١٩	٢٣١	٢٦	﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾	٦٠.

١٩	٢٣٢	٢٨، ٢٧	﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْخُذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾	.٦١
١٩	٣٠٠	٨،٢	﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ﴿٢٩﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣٠﴾﴾	.٦٢
١٩	٣٣٦	٢،١	﴿كَمِيعَص ﴿٣١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ﴿٣٢﴾﴾	.٦٣
١٩	٣٤٨	٧٧	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾	.٦٤
سورة طه				
٢٠	٤٦	٤٤	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	.٦٥
٢٠	١٤٣	١٤	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾	.٦٦
٢٠	١٤٤	١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	.٦٧
٢٠	١٤٨	١١١	﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾	.٦٨
٢٠	١٥٤	٤٦	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾﴾	.٦٩
٢٠	١٥٥	٩٨	﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٩٨﴾﴾	.٧٠
٢٠	١٩٤	٤٠	﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ﴿٤٠﴾ فَرَجَعْنَاكَ	.٧١

			إِلَىٰ أَمْكٍ كَيْ تَقَرَّعَيْهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٦١﴾	
٢٠	٢١٤	٧٣	﴿إِنَّا أَنَا مَنَابِرُ بِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَ نَاعِيَهُ مِن السَّحَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾	٧٢
٢٠	٢١٤	٧٢	﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾	٧٣
٢٠	٢٢٣	١٣٢	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾	٧٤
٢٠	٢٨٠	٥٣	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾	٧٥
٢٠	٣٤٩	٢	﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾﴾	٧٦
سورة الأنبياء				
٢١	١٦١	٢٠	﴿يُسَبِّحُونَ﴾	٧٧
٢١	١٦٥	١٠	﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾	٧٨
٢١	١٦٧	٥٠	﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	٧٩
٢١	١٦٩	١٠٥	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾	٨٠
٢١	١٧٥	٢٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾	٨١
٢١	١٧٦	٤١	﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾﴾	٨٢

٢١	١٨٦	١	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾	٨٣.
٢١	٢٠٧	٣٦	﴿ وَإِذَارَهُ الْكَافِرُونَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾	٨٤.
٢١	٢١٦	٣	﴿ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾	٨٥.
٢١	٢٢٥	٧٣	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾	٨٦.
٢١	٣٤١	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	٨٧.
٢١	٣٥٤	٣٧	﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾	٨٨.
سورة الحج				
٢٢	٧٣	١٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٨٩.
٢٢	١٦٢	٧٥	﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	٩٠.
٢٢	١٨٨	٤٧	﴿ وَاسْتَغْلِبُواكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ	٩١.

			يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾	
٢٢	١٩٦	٧٠	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾	٩٢.
٢٢	٢١٠	٣١	﴿خَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾	٩٣.
٢٢	٢٢٦	٤١	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾	٩٤.
٢٢	٢٢٨	٤٠	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿٤٠﴾﴾	٩٥.
٢٢	٢٣٣	٢٧	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾	٩٦.
٢٢	٢٣٦	٢٨	﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾﴾	٩٧.
٢٢	٢٣٩	٢٩	﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾	٩٨.
٢٢	٢٤١	٣٠	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُشْتَلَى	٩٩.

			عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾	
٢٢	٢٤٥	٣٢	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣١﴾	١٠٠
٢٢	٢٤٥	٣٦	﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾	١٠١
٢٢	٢٤٧	٣٣	﴿لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى تُمْحَلُّوا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٢﴾	١٠٢
٢٢	٢٩٥	٦٣	﴿الَّتِي رَأَى اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٣٣﴾	١٠٣
٢٢	٣٢٣	٧٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾	١٠٤
٢٢	٣٤٢	٣٤	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾	١٠٥
٢٢	٣٦٣	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	١٠٦
سورة المؤمنون				
٢٣	١٤٦	٣٢	﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٥﴾	١٠٧
٢٣	١٦٢	٢٤	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا﴾	١٠٨

٢٣	١٩٠	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوَقْلُوبُهُمْ رِجْلَةً ۖ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾	١٠٩
٢٣	١٩٠	٥٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾	١١٠
٢٣	١٩٠	٥٨	﴿بِأَيِّتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾	١١١
٢٣	١٩٢	٧٤	﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِّرُنَّ ﴿٧٤﴾﴾	١١٢
٢٣	١٩٨	١٨	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾	١١٣
٢٣	٢٠١	٤٣	﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُون ﴿٤٣﴾﴾	١١٤
٢٣	٢١٢	٩٢	﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾	١١٥
٢٣	٢٨٥	١٩٠ ١٨	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾	١١٦
٢٣	٢٨٨	١٤٠ ١٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾﴾	١١٧
٢٣	٢٩٠	٢٠	﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّاتِ كَلِيلٍ ﴿٢٠﴾﴾	١١٨
٢٣	٢٩٢	٢٠	﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّاتِ كَلِيلٍ ﴿٢٠﴾﴾	١١٩
٢٣	٢٦٤	٩٦	﴿أَدْعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾	١٢٠

٢٤	١٥٢	٦٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾	١٢١
٢٤	٢٢٨	٣٧	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾	١٢٢
٢٤	٢٥٧	٣٣	﴿وَلَيْسَتَعَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْنِيََهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ	١٢٣
٢٤	٢٦٣	٢٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	١٢٤
٢٤	٢٦٧	٢٨	﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	١٢٥
٢٤	٢٦٩	٢٩	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾	١٢٦
٢٤	٢٧٤	٢٢	﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٢٧
٢٤	٢٨٢	٤٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾	١٢٨
٢٤	٢٩٢	٤٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ	١٢٩

			<p>مَنْ يَمْشِ عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِ عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾</p>	
٢٤	٢٩٦	٤٣	<p>﴿الَّذِينَ تَرَى الظُّلُمَاتِ يَنْزِعْنَ مِنَ الظُّلُمَاتِ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا نُورًا فَتَرَى الْوَدَّاقَ يَخْرُجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾</p>	١٣٠
٢٤	٣١٤	١١	<p>﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾</p>	١٣١
٢٤	٣٢٦	٣٥	<p>﴿* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾</p>	١٣٢
٢٤	٣٦٥	٢	<p>﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾</p>	١٣٣
٢٤	٣٦٨	٢٧	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾</p>	١٣٤
٢٤	٣٦٩	٢٩	<p>﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣١﴾﴾</p>	١٣٥
٢٤	٣٦٩	٢٧	<p>﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾</p>	١٣٦
سورة الفرقان				
٢٥	١٧٢	١	<p>﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾</p>	١٣٧
٢٥	١٧٨	٢٠	<p>﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾</p>	١٣٨

٢٥	١٧٩	٧	﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ فِي الْأَسْوَاقِ﴾	١٣٩
٢٥	١٧٩	٧	﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾	١٤٠
٢٥	٣١٢	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	١٤١
سورة الشعراء				
٢٦	٢١٤	٤١	﴿أَيْنَ لَنَا الْأَجْرُ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾	١٤٢
٢٦	٢١٤	٤٤	﴿بِعِزَّةِ فَرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	١٤٣
٢٦	٢٢٣	٢١٤	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	١٤٤
سورة القصص				
٢٨	١٥١	٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	١٤٥
٢٨	١٩٥	٢٧	﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾	١٤٦
٢٨	١٩٥	٢٩	﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾	١٤٧
٢٨	٢١٥	٣٥	﴿وَمَنْ أَتَّبَعُكُمْ مَا الْغَالِبُونَ﴾	١٤٨
سورة الروم				
٣٠	١٢٦	١٤	﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ بَنَفَرُوتُ﴾	١٤٩
سورة الأحزاب				
٣٣	٤١	٣٨	﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾	١٥٠
٣٣	٢٦٤	٥٣	﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	١٥١

٣٣	٣٠٢	٢٧	﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾	١٥٢
سورة الصافات				
٣٧	٢١٨	٩٦	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	١٥٣
سورة الزمر				
٣٩	١٦٣	٣	﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾	١٥٤
٣٩	١٦٩	٧٤	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾	١٥٥
٣٩	١٧٠	٧٤	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾	١٥٦
٣٩	١٩٩	٢١	﴿فَسَلَكَهُ يَتَّبِعُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٥٧
٣٩	٢٨٦	٢١	﴿فَسَلَكَهُ يَتَّبِعُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٥٨
٣٩	٣٢٢	٢٧	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	١٥٩
سورة غافر				
٤٠	٣٠٣	٥٣	﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾	١٦٠
سورة فصلت				
٤١	٢٧٤	٣٤	﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	١٦١
سورة الشورى				

٤٢	١٥٦	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	١٦٢
٤٢	١٨٧	١٧	﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	١٦٣
سورة الزخرف				
٤٣	١٦٥	١٠	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	١٦٤
٤٣	١٦٥	٤٤	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	١٦٥
سورة الجاثية				
٤٥	١٨٥، ١٨٤	٢٨	﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾	١٦٦
٤٥	٣٥٥	٢٩	﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	١٦٧
سورة الحجرات				
٤٩	٢٦٨	٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	١٦٨
سورة ق				
٥٠	١٦٠	٢٩	﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١٦٩
سورة الذاريات				
٥١	١٨٥	٢٣	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾	١٧٠
سورة القمر				
٥٤	١٧٣	١٦	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾	١٧١
سورة التغابن				
٦٤	٣٦٣	١٦	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٧٢
سورة التحريم				

١٧٣	﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٢٢٣	٦٦
سورة الملك				
١٧٤	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٥﴾﴾	٣٠	١٩٩، ٢٠٠	٦٧
سورة الجن				
١٧٥	﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٣٥ - ١٣٧	٧٢
سورة النازعات				
١٧٦	﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾	٣٠	١٦٩	٧٩
سورة الضحى				
١٧٧	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٢﴾﴾	٣	١٥٨	٩٣
سورة البينة				
١٧٨	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾	٥	١٤٢	٩٨

## فهرسة الأحاديث النبوية

م	طرف من الحديث	الصفحة
٣٧	اتقوا الشرك الأصغر.....	٣٤٦
١٨	إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة.....	٢٥٢
١٧	إذا تزوج أحدكم عج شيطانه.....	٢٥٢
٤	إذا نظر أحدكم من فضل عليه في المال والجسم.....	١٨٠
٢٧	أستأذن على أمتي؟ قال : نعم.....	٢٦٣
٢٩	استأذن رجل على رسول الله فقال.....	٢٦٤
٢٨	الاستئذان ثلاثاً.....	٢٦٤
٢	اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث.....	١٤٨
٢١	اطلبوا الغنى في هذه.....	٢٥١
٣٩	إن الإسلام لا يُقال.....	٣٥٠
٦	إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنها ر.....	١٩٨
٣١	إن الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان.....	٢٦٩
٣٥	إن الله لا يقبل ما شورك فيه.....	٣٤٦
٤٥	أوله سفاح وآخره نكاح.....	٣٦٦
٥	بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين.....	١٨٧
١٩	تزوجوا الولود الودود.....	٢٥٣
٢٦	التسليم أن يقول : السلام عليكم.....	٢٦٢
٢٥	ثلاث حق الله عونهم.....	٢٥٩
١٠	الحاج الراكب له بكل خطوة يخطوها.....	٢٣٤
٢٠	الدنيا متاع وخير متاعها.....	٢٥٣
٣٢	رجعنا من الجهاد الأصغر.....	٢٧٥

٣٨	الرجل يعمل العمل فيحمده الناس.....	٣٤٧
٧	رُفِعَ القلم عن ثلاثة.....	٢٢٠
١١	ساق رسول الله مائة بدنة.....	٢٣٦
١٣	صلى رسول الله الصبح لما سلم.....	٢٤٣
١٢	عدلت شهادة الزور الاشرار بالله.....	٢٤١
٣٣	العماء ورثة الانبياء.....	٣٠٢
٣٤	كان رسول الله إذا أراد سفراً.....	٣١٤
٤٣	كنت نهيتكم عن زيارة القبور.....	٣٥٩
٤٠	لا وصية لوارث.....	٣٥٨
٣٦	لك أجران أجر السر.....	٣٤٦
٣	لما سئل رسول الله عن أصحاب الكهف وذوي القرنين.....	١٥٦
١٤	اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة.....	٢٥١
٢٤	ليقل أحدكم فتاي وفتاتي.....	٢٥٧
٢٢	المكاتب عبد ما بقي عليه.....	٢٥٧
١٦	من أحب فطرتي فليستن.....	٢٥٢
٣٠	من اطلع في بيت قوم.....	٢٦٧
١	من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها.....	١٤٢
٤١	نُسخت البارحة.....	٣٥٨
٢٣	هو لها صدقة ولنا هدية.....	٢٥٧
٤٤	والثيب بالثيب جلد مائة.....	٣٦٥
٤٢	وآية الرجم لا تضلوا عنها.....	٣٥٨
٨	يا أيها الناس حجوا بيت ربكم.....	٢٤٠
٩	يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج.....	٢٤٢



## فهرسة الأماكن والبلدان

الصفحة	البلد	م
٦٠	ازنيق أو أزنيك	١.
٢٩	الآستانة	٢.
٤	الأسكليبي	٣.
٢٨	أماسية	٤.
٣٦	أمد	٥.
٥٥	أنقرة	٦.
٣٦	آينة كول	٧.
٤٩	بحر الأرخبيل	٨.
٥٠	بلاد فارس	٩.
٤٩	بلجراد أو بلغراد	١٠.
٨٧	سنيكة	١١.
٤٩	سواحل مروه أو موره	١٢.
٤٩	طرطوس	١٣.
٥٤	غاليبولي	١٤.
٥١	فيينا	١٥.
٣٥	قبرص	١٦.
٣٩	القرم	١٧.
٣٠	قسطنموني	١٨.
١٠	القسطنطينية	١٩.
٤٨	قونية	٢٠.
٤٩	المجر	٢١.
١٠٥	مرو	٢٢.
٣٣	مغنيسيا	٢٣.
٥١	النمساء	٢٤.
٥١	نهر الدانوب	٢٥.
١٠٥	يكي شهر	٢٦.

فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصفحة	البيت	م
١٠	*** نشرت على الآفاق دُرّ فوائدي	١
١١	*** لمن الدنا وتضعضعت أركانها	٢
٢١	*** والعلم بكى مذكيل في تاريخه	٣
٢٣٣	إن الخليط أجودوا البين فانجدوا	٤
٢٥٥	*** فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي	٥
٢٨٣	*** وظلم ذوي القربى أشد مضاضة	٦

فهرسة الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١.	إبراهيم بن أبي بكرى أبو الشريف	٨٨
٢.	إبراهيم بن السرى الزجاج	١٢٦
٣.	إبراهيم بن يزيد النخعى	٢٥٠
٤.	ابن آجروم	٩٧
٥.	ابن الجزرى محمد بن محمد	٣٣٣
٦.	ابن تغرى بردى	١٠٣
٧.	ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم	١١٢
٨.	ابن عبد البر النمري	٣٥٧
٩.	ابن عربى ابو بكر محيى الدين	٣١
١٠.	ابن هشام أحمد بن عبد الرحمن	٩٧
١١.	أبو الحسن إبراهيم البقاعى	١٥٦
١٢.	أبو الحسن على الماوردى	١٢٥
١٣.	أبو الحسن على بن حمزة الكسائى	٣٣٥
١٤.	ابو بكر عاصم بن أبى النجود	٣٣٨
١٥.	أبو حنيفة النعمان بن ثابت	١٩
١٦.	ابو زكريا يحيى الفراء	١٢٤
١٧.	أبو سليمان حمد الخطابى	١٥٠
١٨.	أبو شعيب السوسى	٣٣٦
١٩.	أبو عبد الله حسين الحليمى	٩٥
٢٠.	أبو عمر الدانى	٣٣٤
٢١.	ابو عمرة بن العلاء المازنى	٣٣٦

١٢٤	أبو محمد الحسن البغوي	٢٢.
١٢٣	أبو محمد عطاء بن أبي رباح	٢٣.
٣٣٧	أبو محمد يعقوب بن إسحاق	٢٤.
٩٥	أبي إسحاق الشيرازي	٢٥.
٩٤	أبي الشجاع الأصفهاني	٢٦.
١٥١	أحمد بن الحسين البيهقي	٢٧.
١٠	أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبّي	٢٨.
١٢٤	أحمد بن حنبل	٢٩.
٩١	أحمد بن علي العسقلاني	٣٠.
١٠٧	أحمد بن علي المقرئ	٣١.
٣٣٢	أحمد بن فارس بن زكريا	٣٢.
٦٨	أحمد بن محمد الثعلبي	٣٣.
٢٦	إسحاق باشا	٣٤.
٧	إسماعيل بن محمد البغدادي	٣٥.
١٠٢	الأمير بلباي	٣٦.
٤٨	الأمير جم	٣٧.
٣١	إياس ياشا	٣٨.
١٤	بازيد الثاني بن السلطان محمد الثاني	٣٩.
١٠٣	جان بلاط	٤٠.
٩٣	جلال الدين المحلي	٤١.
٩٣	جلال الدين أبو الفضل السيوطي	٤٢.
١٠١	الحاجي بن الأشرف	٤٣.
١٩٠	الحسن البصري	٤٤.

٣٢	الحسن بن محمد البوريني	.٤٥
٣٣٦	حفص بن سليمان بن المغيرة	.٤٦
٣٣٦	حمزة بن حبيب الزيات	.٤٧
١٢	خالد بن زيد الانصاري	.٤٨
٧٦	الخطيب الإسكافي	.٤٩
٧٦	الخطيب البغدادي	.٥٠
٣٣٧	خلف بن هشام بن ثعلب	.٥١
٦	خير الدين بن محمود الزركلي	.٥٢
٢٦	داوود باشا	.٥٣
٩	رستم باشا	.٥٤
٢٤١	زيد بن أسلم العمري	.٥٥
١١١	سعيد بن المسيب المخزومي	.٥٦
١٦٩	سعيد بن جبير	.٥٧
٥٩	السلطان أورخان	.٥٨
١١٥	السلطان برسبای	.٥٩
٨٧	السلطان غوري	.٦٠
١٠٢	السلطان قلاوون	.٦١
١٠٦	السلطان محمد الفاتح	.٦٢
١٢	سليم الثاني بن السلطان سليم الأول	.٦٣
١٩	سليمان القانوني	.٦٤
١٠٥	سليمان بن عبد الملك بن مروان	.٦٥
١٠٠	شجرة الدر	.٦٦
٨٨	شرف الدين السنباطي	.٦٧

٣٣٥	شعبة ابو بكر بن عياش	٦٨.
٦٧	شمس الدين محمد بن احمد القرطبي	٦٩.
٩٠	الشهاب الحجازي	٧٠.
١٤٨	صدى بن عجلان الباهلي	٧١.
٣١٤	صفوان بن المعطل	٧٢.
١٢٣	الضحاك بن مزاحم	٧٣.
٤	طاش كبرى زاده	٧٤.
٢٥٤	طلحة بن عبيد الله بن مطرف	٧٥.
١٠٣	طومان باي	٧٦.
١١٥	الظاهر بيبرس	٧٧.
١٦٩	عامر بن شراحيل الشعبي	٧٨.
١١٤	عبد الرحمن بن حسن الجبرتي	٧٩.
٤	عبد القادر بن شيخ العيدروس	٨٠.
٥	عبد اللطيف زاده	٨١.
١٢٤	عبد الله بن ابي داود	٨٢.
٣٠	عبد الله بن عمر البيضاوي	٨٣.
٩٧	عبد الوهاب بن احمد الشعراني	٨٤.
٢٨١	عكرمة بن عبد الرحمن القرشي	٨٥.
١٠٥	علاء الدين السلجوقي	٨٦.
٨	علاء الدين علي بن محمد القوشجي	٨٧.
٦٧	علي بن أحمد الواحدي	٨٨.
١٢٤	علي بن عمر الدارقطني	٨٩.
٩	علي بن لالي بالي بن محمد منق	٩٠.

٢٤	علي بن محمد الجرجاني	٩١.
٦٧	عماد الدين اسماعيل بن كثير	٩٢.
١٧٢	عمر بن علي بن عادل	٩٣.
٦٦	فخر الدين الرازي	٩٤.
٩	القاسم بن علي بن محمد الحريري	٩٥.
٣٣٨	قالون عيسى بت مينا	٩٦.
١٠٤	قانصوه الغوري	٩٧.
١٠١	القائد برقوق	٩٨.
١٠٥	قتيبة بن مسلم الباهلي	٩٩.
١١١	مالك بن أنس بن مالك	١٠٠.
١٢٣	مجاهد بن جبر أبو الحجاج	١٠١.
١١	محمد ابن السلطان سليمان السلطان	١٠٢.
١٩	محمد السيد حسين الذهبي	١٠٣.
٩	محمد بن احمد المولى قطب الدين	١٠٤.
٧٧	محمد بن إدريس الشافعي	١٠٥.
٩٠	محمد بن اسماعيل البخاري	١٠٦.
١٣٩	محمد بن السائب الكلبي	١٠٧.
٧٧	محمد بن أمين المحبي	١٠٨.
٣١٩	محمد بن بهادر الزركشي	١٠٩.
٦٧	محمد بن جرير الطبري	١١٠.
٢٥	محمد بن عبد الحي اللكنوي	١١١.
٩٨	محمد بن عبد الرحمن الغزي	١١٢.

٨١	محمد بن عبد العظيم الزرقاني	١١٣
٩٥	محمد بن عبد الله ابن مالك	١١٤
٣١	محمد بن علي ابن عربي	١١٥
٣٣٣	محمد بن علي التهانوي	١١٦
٦	محمد بن علي الشوكاني	١١٧
١٢٣	محمد بن علي بن أبي طالب	١١٨
١٢	محمد بن علي بن يوسف الفناري	١١٩
١٣	محمد بن فرامرز الملا خسرو	١٢٠
٣١	محمد بن محمد البابرتي	١٢١
٣٣٢	محمد بن محمد الزبيدي	١٢٢
٦٩	محمد بن يوسف أبي حيان	١٢٣
٧٦	محمد لن عبد الرحمن القزويني	١٢٤
٩٦	محمود بن أحمد الزنجاني	١٢٥
٦٦	محمود بن عبد الله الألوسي	١٢٦
٦٣	محمود بن عمر الزمخشري	١٢٧
٩٤	محيي الدين أبو زكريا النووي	١٢٨
١٢٤	مسلم بن الحجاج النيسابوري	١٢٩
٢٦	مصطفى باشا	١٣٠
١٨	مصطفى بن أحمد بن محمد الفازابادي	١٣١
١٣	مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة	١٣٢
١٧٩	مقاتل بن سليمان بن بشير	١٣٣
١٠٢	الملك خشقدم	١٣٤
٢٠	المولى سنان الدين الاماسي	١٣٥

٣٣٥	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم	١٣٦
٥	نجم الدين الغزي	١٣٧
١٠٠	نجم الدين أيوب	١٣٨
١١٢	النوري الطبري	١٣٩
٣٦٩	هبة الله بن سلامة	١٤٠
٣٣٨	ورث عثمان بن سعيد المصري	١٤١
٣١	يحيى بن زكريا بن بيرام	١٤٢
٣٣٧	يزيد بن العققاع المخزومي	١٤٣
٣٦٦	يزيد بن هارون	١٤٤
٢٤	يوسف بن أبي بكر السكاكي	١٤٥
٦	يوسف بن اليان سرقيس	١٤٦

## فهرسة المصادر والمراجع

م	أسماء المصادر والمراجع
	القرآن الكريم
١.	أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠هـ.
٢.	الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون، ١٩٧٤
٣.	إتمام الأعلام، نزار أباطة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
٤.	الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، لشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ) تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ،
٥.	أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ،
٦.	الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسين علي بن علي بن محمد الآمدي، (المتوفى سنة: ١٣٨٧هـ)، ط ١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، مصر - القاهرة،
٧.	الأدب في العصر المملوكي، لمحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط بدون، ت بدون، ص ٥٩، والعصر المماليكي في مصر والشام، لسعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦م،
٨.	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١/ ٣).
٩.	اسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى سنة: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٩٩٢م،
١٠.	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م،

١١.	أسماء الكتب، لعبد اللطيف بن محمد رياض زاده، (ت: ١٠٨٧هـ)، تحقيق: محمد التنجي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٣م.
١٢.	الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ،
١٣.	أصول التاريخ العثماني، لأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٦هـ،
١٤.	أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط بدون، ت بدون،
١٥.	الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط بدون،
١٦.	الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م، (١/ ٢٥٧).
١٧.	الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني، هيئة الكتاب، ط ١٤٢٦هـ، (١/ ٣).
١٨.	إكمال الأعلام بتلخيص الكلام، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، (المتوفى: ٦٧٢هـ): تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م،
١٩.	إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لمغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ
٢٠.	الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.
٢١.	الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسين الباشا، مكتبة

	النهضة المصرية، ط بدون، ١٩٥٧م.
٢٢.	الألقاب والوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية، لمصطفى بركات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٣.	الانتصار للقرآن، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: د/ محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٤.	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البیضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٥.	الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص٨، ٩، وكشف الظنون، لحاجي خليفة،
٢٦.	ببليوغرافية أبي السعود، لآتسر التركي، ميللي، ط بدون، ١٩٦٧م، ص ٥، و هدية العارفين، للبغدادي، (٢/٤٣٨)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (١٢/٢٧٧).
٢٧.	بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، ط بدون، ت بدون،
٢٨.	البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط بدون، ١٤٢٠هـ،
٢٩.	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسنی الأنجری الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط بدون، ١٤١٩هـ،
٣٠.	البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، حققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

٣١.	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط بدون.
٣٢.	البدر المنير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ) تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
٣٣.	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،
٣٤.	بغية الوعاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ط بدون.
٣٥.	تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، حققه: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط بدون،
٣٦.	تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤/٤: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٢
٣٧.	تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
٣٨.	تاريخ آداب اللغة العربية، لرجي زيدان، (ت: ١٣٣٢هـ)، دار المعارف، مصر ١٩١٣ هـ - ١٩١٤ م،
٣٩.	تاريخ سلاطين آل عثمان، يوسف بن همام آصاف، (ت: ١٣٥٧هـ)، تحقيق: بسام الجابي، دار البصائر، دمشق، ط ٣، ١٤٠٥هـ، ص ٦٣، ٦٥، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، لفريد المحامي.
٤٠.	تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (ت: ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت، ط بدون، ت بدون،
٤١.	تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية -

	بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ،
٤٢.	تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (ت: ١٤٢٩هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٩٨٣م،
٤٣.	تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.
٤٤.	تراجم الأعيان من أبناء الزمان، للحسن بن محمد البوريني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط بدون، ١٩٥٩م،
٤٥.	التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ،
٤٦.	التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ،
٤٧.	تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ،
٤٨.	تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي ببيزون - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
٤٩.	تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ،
٥٠.	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ،

٥١.	تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ،
٥٢.	تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٥٣.	التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، المتوفى، (١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط بدون.
٥٤.	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان،
٥٥.	التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد، (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، ط١، ١٤١٢هـ،
٥٦.	التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ،
٥٧.	جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرئووط و بشير عيون، مكتبة الحلواني، ط١
٥٨.	جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرئووط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١،
٥٩.	جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ،

٦٠.	جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ،
٦١.	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ،
٦٢.	الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (المتوفى: ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ،
٦٣.	حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ١، ١٩٦٧م،
٦٤.	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ثم صورتها: دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، ١٤٠٩هـ،
٦٥.	الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، لعلي باشا مبارك، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، مصر المحمية، ط ١، ١٣٠٦هـ،
٦٦.	الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، لثقل سائر بن زيد الشمري، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م،
٦٧.	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين محمد المحبي الدمشقي الحنفي، (ت: ١١١١هـ)، دار صادر، وهي مصورة على الطبعة المطبوعة بالمطبعة الوهبية، بمصر، ١٢٨٤هـ،
٦٨.	الدر النثير والعذب النمير، لعبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي المالقي (المتوفى: ٧٠٥هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، أصل الكتاب: أطروحة دكتوراه للمحقق، دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، ١٤١١هـ،
٦٩.	الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد محمد

	الصَّلَبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٨م،
٧٠.	الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، لإسماعيل باغي، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٧١.	ديوان الإسلام، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، المتوفى: ١١٦٧هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م،
٧٢.	الرتب والألقاب المصرية، أحمد تيمور، دار الكتاب العربي، مصر، ط ١، ١٩٥٠م، ص ٦٦، والألقاب والوظائف العثمانية، ص ١٥٠.
٧٣.	روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، ط بدون، ت بدون،
٧٤.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادى، (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون،
٧٥.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ،،
٧٦.	سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لأبي القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادى ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: ٨٠١هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٣، ١٣٧٣هـ،
٧٧.	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ،
٧٨.	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

٧٩.	سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، (١٦، ١٧/٤)، وشذرات الذهب، للحنبلي،
٨٠.	سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط بدون، ت بدون،
٨١.	سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ
٨٢.	سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٣،
٨٣.	شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط بدون، ١٤٠٤هـ.
٨٤.	شذرات الذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، تحقيق: محمود أرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م
٨٥.	شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط بدون، ت بدون،
٨٦.	شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ
٨٧.	شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، ط بدون، ١٩٩٣م،
٨٨.	شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، حققها، وضبط غريبها، وشرح مبهمها، مجموعة من

	الأساتذة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ،
٨٩.	شرح طبية النشر في القراءات، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،
٩٠.	شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ،
٩١.	الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبرى زاده، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥م، لطاش كبرى زاده، ص ٤٤٠.
٩٢.	صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج؛ أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
٩٣.	صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ،
٩٤.	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دون ط،
٩٥.	الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الحنفي، (ت: ١٠١٠هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م،
٩٦.	طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبه (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ،
٩٧.	طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلار الشافعي، (المتوفى: ٧٨٢هـ) تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،
٩٨.	طبقات المفسرين، لأحمد محمد الأدنه وي، (ت: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان

بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٩٩٧.	
٩٩. طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، (المتوفى: ٩٤٥هـ)، راجع النسخة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣هـ،	
١٠٠. العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، للمولى علي بن بالي؛ المعروف بمنق، (ت: ٩٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.	
١٠١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون،	
١٠٢. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٣٥١هـ،	
١٠٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ،	
١٠٤. فاتح القسطنطينية محمد الفاتح، لعلي الصلابي، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.	
١٠٥. فاتح القسطنطينية محمد الفاتح، لعلي الصلابي، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م،	
١٠٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ط بدون، ١٤١٢هـ،،	
١٠٧. الفتح السماوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ) تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض	
١٠٨. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ،	

١٠٩	فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، لمحمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، دار البيان العربي - القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ،
١١٠	الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن أمين اللكنوي الأنصاري الهندي، (ت: ١٣٠٤هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٤هـ،
١١١	فيض القدير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث برقم (١١٤٩)،
١١٢	قانون نامة آل عثمان، لخليل ساحلي أوغلو، ترجمة مجلة دراسات الجامعية الأردنية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، نيسان ١٩٨٦م،.
١١٣	القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ،
١١٤	قضاة مصر في القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادي عشر الهجري، للدميمي، تحقيق وتعليق ودراسة، عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ويوسف مصطفى المحمودي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ١
١١٥	قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم - الكويت، ط بدون، ت بدون،
١١٦	كشاف اصطلاحات الفنون، لتهانوي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط، بدون، ١٩٦٦م،.
١١٧	كشف الظنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، (ت: ١٠٦٧)، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٢م،
١١٨	الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط ٢، ١٤١٣م،.
١١٩	الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو

١٢٠	إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ،
١٢١	الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ،
١٢٢	الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م،
١٢٣	لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ،
١٢٤	لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان،
١٢٥	اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ،
١٢٦	لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، ت: ٩٧٣هـ، مكتبة محمد المليجي الكتبي، وأخيه، مصر، ط بدون، ١٣١٥هـ.
١٢٧	مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٢٤، ٢٠٠٠م،
١٢٨	مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،
١٢٩	المجتمع العربي أسورة في مطلع العصر العثماني، ليلى الصباغ، وزارة الثقافة، دمشق، ط بدون، ١٩٧٢م،

١٢٩	المجلد في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لكاملة الكواري، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٢م،
١٣٠	مجلد اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٣١	محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ،
١٣٢	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ،
١٣٣	مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ،
١٣٤	المختار المصون من أعلام القرون، لمحمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٩٩٥م.
١٣٥	مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
١٣٦	مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ،
١٣٧	المستصفى من علم الأصول: للإمام أبو حامد بن محمد، (المتوفى سنة: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: (٧٨/٢)،
١٣٨	مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م،
١٣٩	مسند أحمد ، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
١٤٠	مصنف عبد الرزاق الصنعاني، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ،
١٤١	معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ،

١٤٢	معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ
١٤٣	معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ،
١٤٤	معجم ابن المقري، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمّن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ،
١٤٥	معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ،
١٤٦	معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت، ط بدون، (٤/ ٣٤٧)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس، بيروت.
١٤٧	معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف بن إليان بن موسى سركيس، (ت: ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، بمصر، ١٩٢٨م. .
١٤٨	معجم المفسرين، «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.
١٤٩	المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرو، دار الدعوة، ط بدون، ت بدون.
١٥٠	معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، لمحمد محمد محمد سالم محيسن، توفي ١٤٢٢هـ، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٥١	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ
١٥٢	مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ،
١٥٣	مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي، (ت: ٩٥٣هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
١٥٤	المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٥٥	المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م،

١٥٦	مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، طبع بالمطبعة الحسينية المصرية، ط بدون، ١٩٢٩م، ص ٢٨١،
١٥٧	مقدمة الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ١
١٥٨	مقدمة الطبعة الأولى، شرح ديوان المتنبي، لأحمد بن حسين المتنبي، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.
١٥٩	المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، لعمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشار الشافعي المصري (المتوفى: ٩٣٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٦٠	مناهج المفسرين، لمنيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط بدون، ٢٠٠٠م.
١٦١	المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، ت: ٨٤٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٨م.
١٦٢	المواظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٦٣	الموجز في النسخ والمنسوخ، لابن خزيمة، المظفر بن الحسين بن زيد بن علي، دار السعادة - مصر، ملحق بكتاب النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، : ط ١، ١٣٢٣هـ.
١٦٤	الموسوعة العربية العالمية، مجموعة مؤلفين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، بلا تاريخ: (٧٢ / ٦١)، و تاريخ الدولة العثمانية، للدكتور علي حسون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
١٦٥	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ.
١٦٦	الموسوعة الميسرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط ٤، ١٤٢٠هـ.
١٦٧	موطأ مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط بدون، ١٤٠٦هـ،

١٦٨	موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، لشيخ الإسلام في زمن الدولة العثمانية مصطفى صبري، المتوفى (١٣٧٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦٩	الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، مكتبة الرشد / شركة الرياض - الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ،
١٧٠	الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،
١٧١	الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، ت: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١/١، ١٤٠٤هـ،
١٧٢	الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ،
١٧٣	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، (ت: ٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ت بدون.
١٧٤	النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٧٥	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
١٧٦	نظم العقيان في الأقيان في أعيان الأعيان، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة: ٩١١هـ، تحقيق: فليب حنين، المكتبة العلمية، بيروت، ط بدون
١٧٧	نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ،
١٧٨	النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٧٩	هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت: ١٣٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط بدون.
١٨٠	الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٨١	الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٤، ١٤١٢هـ.
١٨٢	الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، لمحمد أحمد الجمل، رسالة دكتوراه، دار الفرقان للنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م
١٨٣	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خُلَّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط بدون.

## فهرسة الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	استهلال	ت
٢.	إهداء	ث
٣.	شكر وتقدير	ج
٤.	مستخلص البحث	ح
٥.	Abstract	خ
٦.	المقدمة	ذ
٧.	الباب الأول: التعريف بالإمامين أبي السعود والخطيب الشربيني	١
٨.	الفصل الأول: التعريف بالإمام أبي السعود وعصره وتفسيره	٢
٩.	المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي السعود.	٣
١٠.	المطلب الأول: نسبه، ومولده، ونشأته	٤
١١.	المطلب الثاني: صفاته، وعقيدته، ومذهبه	١٦
١٢.	المطلب الثالث: وفاته	٢٠
١٣.	المبحث الثاني: مكانة الإمام أبي السعود العلمية.	٢٣
١٤.	المطلب الأول: طلبه للعلم.	٢٤
١٥.	المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه	٢٨
١٦.	المطلب الثالث: مؤلفاته، وآثاره العلمية	٣٨
١٧.	المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه	٤٣
١٨.	المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام أبي السعود	٤٧
١٩.	المطلب الأول: الحالة السياسية	٤٨
٢٠.	المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية	٥٣
٢١.	المطلب الثالث: الحالة الثقافية	٥٦
٢٢.	المبحث الرابع: التعريف بتفسير الإمام أبي السعود	٦١
٢٣.	المطلب الأول: التعريف بالكتاب	٦٢

٢٤	المطلب قيمته العلمية	٦٥
٢٥	المطلب الثالث مصادره في التفسير	٦٧
٢٦	المطلب الرابع: منهجه في التفسير	٧٠
٢٧	الفصل الثاني: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني وعصره وتفسيره	٧٣
٢٨	المبحث الأول: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني	٧٤
٢٩	المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته	٧٥
٣٠	المطلب الثاني: صفاته وعقيدته ومذهبه	٧٩
٣١	المطلب الثالث: وفاته	٨٣
٣٢	المبحث الثاني مكانة الإمام الخطيب الشربيني العلمية	٨٤
٣٣	المطلب الأول: طلبه للعلم	٨٥
٣٤	المطلب الثاني : شيوخه وتلامذته	٨٧
٣٥	المطلب الثالث: مؤلفاته وآثاره العلمية	٩٤
٣٦	المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه	٩٧
٣٧	المبحث الثالث: التعريف بعصر الإمام الخطيب الشربيني	٩٩
٣٨	المطلب الأول: الحالة السياسية	١٠٠
٣٩	المطلب الثاني: الحالة الإجتماعية	١٠٧
٤٠	المطلب الثالث: الحالة الثقافية	١٠٩
٤١	المبحث الرابع: التعريف بالإمام الخطيب الشربيني	١١٧
٤٢	المطلب الأول: التعريف بالكتاب	١١٨
٤٣	المطلب الثاني : قيمته العلمية	١٢١
٤٤	المطلب الثالث: مصادره في التفسير	١٢٣
٤٥	المطلب الرابع: منهجه في التفسير	١٢٧

١٢٩	الباب الثاني: الدراسة المقارنة بين تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود والسراج المنير للخطيب الشربيني من الجزء السادس عشر إلى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم	٤٦
١٣٠	الفصل الأول: آيات العقائد عند الإمامين	٤٧
١٣١	المبحث الأول: آيات الإيمان	٤٨
١٣٣	المطلب الأول: آيات الإيمان بالله	٤٩
١٥٦	المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة	٥٠
١٦٤	المطلب الثالث: الإيمان بالكتب السماوية	٥١
١٧٤	المطلب الرابع: آيات الإيمان بالرسول	٥٢
١٨١	المطلب الخامس: آيات الإيمان باليوم الآخر	٥٣
١٩٣	المطلب السادس : آيات الإيمان بالقدر	٥٤
٢٠١	المبحث الثاني: آيات الكفر والشرك والسحر	٥٥
٢٠٢	المطلب الأول: آيات الكفر	٥٦
٢٠٨	المطلب الثاني: آيات الشرك	٥٧
٢١٣	المطلب الثالث: آيات السحر	٥٨
٢١٨	الفصل الثاني: الأحكام الفقهية عند الإمامين	٥٩
٢١٩	المبحث الأول: آيات العبادات	٦٠
٢٢٠	المطلب الأول: آيات الصلاة والزكاة	٦١
٢٣٠	المطلب الثاني: الصوم والحج	٦٢
٢٤٩	المبحث الثاني: آيات المعاملات والآداب والأخلاق	٦٣
٢٥٠	المطلب الأول: آيات المعاملات الإجتماعية	٦٤
٢٦٢	المطلب الثاني: آيات الآداب	٦٥
٢٧٢	المطلب الثالث: آيات الآخلاق	٦٦

٢٧٧	الفصل الثالث: الآيات الكونية والقصص والأمثال	٦٧
٢٧٨	المبحث الأول الآيات الكونية	٦٨
٢٧٩	المطلب الأول: آيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار	٦٩
٢٨٧	المطلب الثاني: آيات خلق الإنسان والكائنات	٧٠
٢٩٤	المطلب الثالث: آيات نزول المطر وتصريف الرياح	٧١
٢٩٨	المبحث الثاني آيات القصص	٧٢
٢٩٩	المطلب الأول: آيات قصص الأنبياء	٧٣
٣٠٨	المطلب الثاني: آيات قصص القرآن	٧٤
٣١٨	المبحث الثالث: آيات الأمثال	٧٥
٣١٩	المطلب الأول: التعريف بالأمثال القرآنية	٧٦
٣٢٢	المطلب الثاني: آيات الأمثال	٧٧
٣٣٠	الفصل الرابع: علوم القرآن عند الإمامين	٧٨
٣٣١	المبحث الأول: القراءات القرآنية عند الإمامين	٧٩
٣٣٢	المطلب الأول: التعريف بالقراءات القرآنية	٨٠
٣٣٥	المطلب الثاني: القراءات القرآنية عند الإمامين	٨١
٣٤٢	المبحث الثاني: أسباب النزول عند الإمامين	٨٢
٣٤٣	المطلب الأول: التعريف بأسباب النزول	٨٣
٣٤٦	المطلب الثاني: أسباب النزول عند الإمامين	٨٤
٣٥٢	المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ عند الإمامين	٨٥
٣٥٣	المطلب الأول: التعريف بالناسخ والمنسوخ	٨٦
٣٦٢	المطلب الثاني: الناسخ والمنسوخ عند الإمامين	٨٧
٣٧٠	الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات	٨٨

٣٧١	الخاتمة	٨٩
٣٧٢	التوصيات	٩٠
٣٧٦	فهرسة الآيات القرآنية	٩١
٣٩٣	فهرسة الأحاديث النبوية الشريفة	٩٢
٣٩٦	فهرسة الأماكن والبلدان	٩٣
٣٩٧	فهرسة الأبيات الشعرية	٩٤
٣٩٨	فهرسة الأعلام	٩٥
٤٠٥	فهرسة المصادر والمراجع	٩٦
٤٢٣	فهرسة الموضوعات	٩٧